

رُحِّلْتِي مَعِ الْجَمَاعَةِ الصَّامِدَةِ

أحمد أبو شادي

A
h
m
e
d

M
a
d
y



تقديم

الشيخ محمد عبد الله الخطيب

مكتبتنا

عالم لا ينتهي من الكتب



Sunday 7/8/2011
Riyadh

هذا الكتاب

سياحة مع الماضي القريب، تستقصي أحداث فترة عصيبة مرت بها الحركة الإسلامية خلال محنة ١٩٥٤، وبعدها محنة ١٩٦٥، عاشها المؤلف وتأثر بها وسجل منها ما استطاع بقلمه المؤمن متحريراً الصادق والموضوعية عازفاً عن بذىء القول، وفحش اللفظ تاركاً للأيام تكشف ما عجز عن تسجيله.

وكما يقول المؤلف بصدق:

«إنها ليست أقاصيص للتسلي، أو نوادر للتفكه وشغل الفراغ، وإنما هي دروس وعبر، وعلامات على الطريق، ومنازل تهدي السالكين طريق الدعوة، فتذكر ناسياً وتثبت على الطريق من التبست عليه السبل، وتقى شباب الصحوة من القلق والاضطراب، وتنبه الأمة إلى حقيقة دورها في تقويم مسار الإنسانية الحائرة».

نسأل الله عز وجل أن يتقبل منه هذا الجهد ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الناشر

دار التوزيع والنشر الإسلامية

٨ ميدان السيدة زينب ت : ٣٩١١٩٦١ - ٣٩٠٠٥٧٢ ص.ب : ١٦٣٦



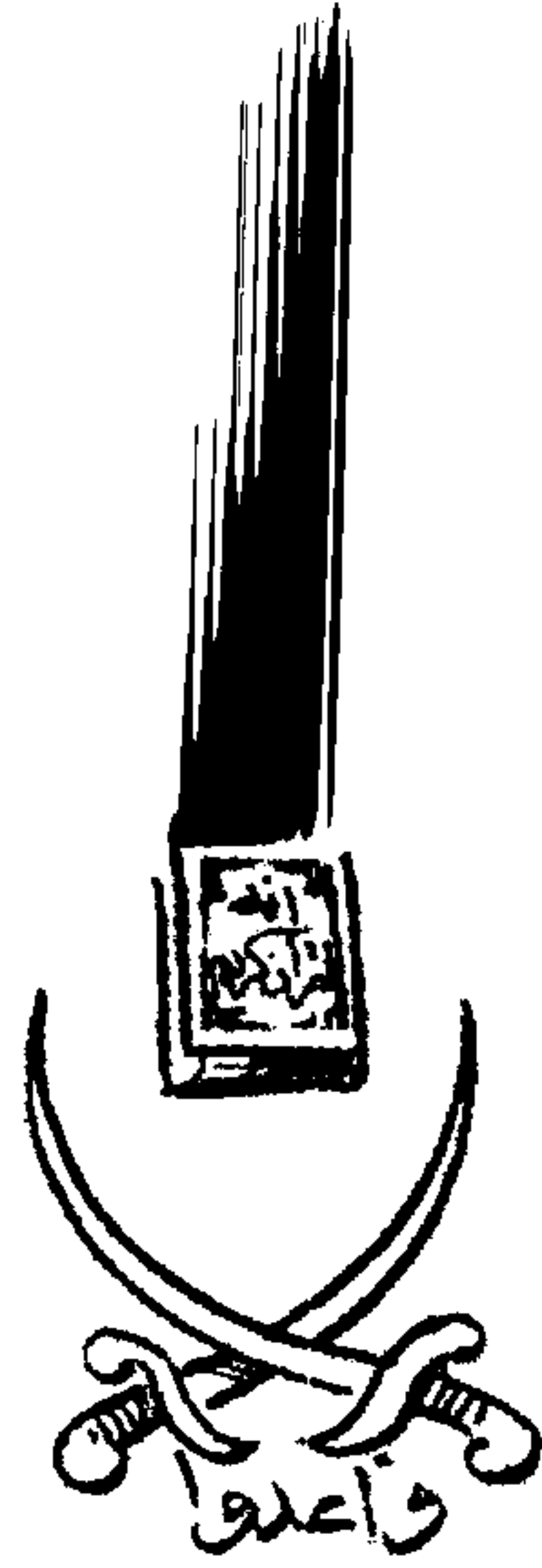
تالی قریبہ

رَجُلْتِي مَعَ

الْجَمَاعَةِ الصَّالِحَةِ

تَأَلِيفُ

أَحْمَدُ أَبُو شَادِي



علم الإخفاء سَطَعَتْ فِي الأَرْجَاءِ
تَحْوِ بِنُورِكَ حُلُكَةَ الظُّلْمَاءِ
فَحَمَلْتِ مِنْ صُورِ الجِهَادِ إِشَارَةَ
تَبْقَى مَسْلُطَةً عَلَى الأَعْدَاءِ
سِيفَانِ بَيْنَهُمَا الكِتَابُ كَأَنَّهُ
رَمْزِي طَمَعْنِ مَرَقَدِ الشُّهَدَاءِ

الإقرار

إلى روح أخى وصنو نفسى الأستاذ:

محمد كمال إبراهيم

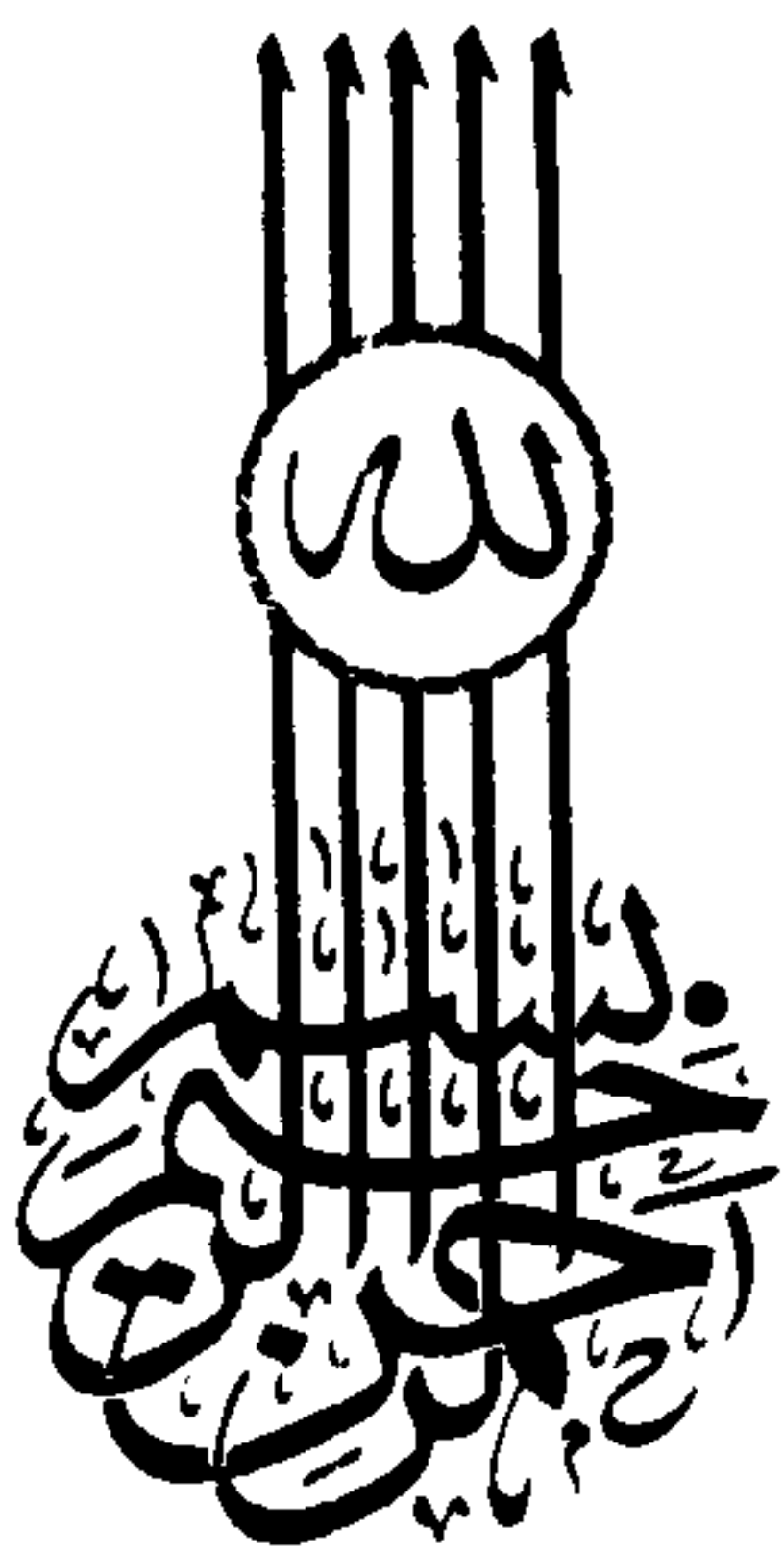
إقراراً بفضله، وتخليداً لذكوره،

ووفاءً بالعهد بينى وبينه، ودعاءً إلى

الله أن ينزله منازل الأبرار الصالحين،

«فى مقعد صدق عند ملك مقتدر».

المؤلف



تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين،
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم
الدين.

وبعد ...

فإن الأخ الأستاذ أحمد أبو شادي - حفظه الله وأطال في عمره وبارك
فيه - من الذين عايشوا دعوة الإسلام في سرائها وضرائها، وما زلت أذكره
في محنة ١٩٦٥ ونحن في السجن الحربى، وفي قمة الأهوال، يمشى بين
الإخوان تالياً لآيات القرآن الكريم بصوته الندى، يثبّت القلوب ويقوّى
الإيمان واليقين، ويذكّر بالرعيّل الأول من حملة المنهج الإلهى، الذين
أوذوا فصابروا ورابطوا وصبروا، حتى جاءهم نصر الله، كانت كلماته فى
هذا الهجير كالنسمات، ترطب القلوب، وتنعش الصدور، وتقوى الهمم،
وتذكّر بالله رب العالمين وبسلطانه وبقوته وقدره النافذ الذى لا يُقهر ولا
يُغلب.

واليوم يابى الأخ أحمد - أكرمه الله - إلا أن يأخذنا معه فى سياحة
حبيبة حول تاريخ هذه الجماعة المباركة، التى صنعت تاريخاً وربّت أمة،
وردّت عوادي الشر من هنا وهناك، وكشفت أعداء هذه الأمة، وفضحت
اتجاهاتهم... نعم لقد حمت وصانت جماعة الإخوان المسلمين هذه الأمة

من الضياع، وحفظتها بإذن الله تعالى من القضاء عليها، وتحويلها إلى أمة مشلولة فكرياً وثقافياً وإسلامياً.. لقد وقفت في وجه الاستعمار، ووجه التغريب والتبشير بكل ألوانه، وفي وجه تجفيف المنابع بكل وسائله، وفي وجه الصليبية والصهيونية بالذات بكل ضراوتها وإجرامها، ونازلتها في ميدان الجهاد.

نعم وقف الإمام حسن البنا بعقيدة الإسلام الصافية، وبالفهم الصحيح للإسلام الشامل، ومعه الأبرار من الدعاة أمام جميع هذه الطوائف المنحرفة، واستطاعوا أن يردوا عدوانها، وأن يُثبِتوا زيفها ويُحصِنُوا الأمة من كيدها ومكرها.

أقول: يأخذنا الأخ أبو شادي في سياحة يطلق عليها «رحلته مع الجماعة الصامدة».

وهي سياحة مع الماضي القريب.....

حول ذكريات الصبا والطفولة، وأحوال الأسرة المباركة التي نشأ فيها، ويعطينا صورة عن هذه الفترة، وصلة الأمة بقرآنها العظيم، واحتفالها بشهر رمضان، والقارئ الراتب، وأمانى الآباء بالنسبة لأبنائهم، ويشرح للشباب تاريخ الجماعة وقيادتها في الفترات المختلفة من خلال مشاهداته، ثم نراه يهتم بالأحداث من حوله ويعمل على رصدها، ويعلق عليها، ويبين وجه الصواب فيها، ونصحه في ميدان المحن التي مرت بالجماعة، وما فيها من ضيق وبلاء، وشدائد وأهوال، كما تحدث عن جرأة الظالمين، وعدوانهم على كل القيم، واستهتارهم بكل الأوضاع.

وفى الفصل الثالث ...

تحدث عن محنة من نوع آخر، وهى استغلال جوانب الضعف عند البعض وجرّهم إلى (زحلوقة) التأييد، ويمنّونهم بالإفراج، وتظل الوعود حبراً على ورق، ويظل الأخ يتنازل ويتراجع حتى يهوى إلى القاع، ويعتزل إخوانه، ويترك الصلاة فى جماعة، وقد يترك تلاوة القرآن وقيام الليل.. وهكذا حتى يذوب البائس المسكين ويتحطم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويتحدث فى الفصل الرابع ...

عن ضرورات الإنسان المعتقل التى مُنع منها، مثل قضاء الحاجة، وآلام البق وأسرابه التى تملأ كل مكان، وشكلها المخيف، والوسائل التى استخدمها الإخوان للقضاء عليها.

وفى الفصل الخامس ...

تحدث عن بعض النماذج من الإخوان، وتمسكهم بهذا الحق، وصبرهم على الأذى، واحتمالهم لمرارة السجن وما فيه من كرب وأهوال.. وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

وأشار إلى موقف الأبطال الشهداء، وكيف استقبلوا هذه اللحظات فى ثبات وإيمان وصدق، رضوان الله عليهم، فلقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهؤلاء مثل للوفاء والرجولة والشرف.

ثم تحدث الأخ أبو شادى عن الصورة الأخرى .. صورة الغدر ونسيان الجميل، وقطع اليد التى ساندت وامتدت بالخير والمساعدة والتعاون .. تحدث عن التفنن فى ألوان الأذى وتلفيق التهم، وتدبير الفتن للأطهار والأبرار الذين يريدون لآمتهم بل للعالم كله السعادة والرقى والخير.

وفى الفصل السادس

تحدث عن بعض الرجال الذين حفظوا الوفاء لقيادتهم، وأورد بعض النصوص التى سجلوها، ومن خلال كلامهم يستطيع الجيل الحاضر أن يرى ملامح الشخصية الملهمة التى وفقها الله عز وجل، فى أن تضع أسس العمل الإسلامى ونظرياته فى القرن العشرين، ملتزمة فى ذلك كل الالتزام الدقيق بالإسلام ونظامه .

لقد استطاع الإمام الشهيد رضوان الله عليه أن ينقل من بطون الكتب والأوراق الزاد الذى يعيش عليه المسلم، بعد أن ظل حبيساً فى الأدراج وعلى الأرفف .. لقد حول نظم الإسلام وأخلاقياته وسلوكه إلى واقع حى يسير على ظهر الأرض، ويراه الناس بأعينهم مثل : نماذج الأخوة، ونماذج الجهاد، ونماذج فعل الخير العام لكل المسلمين .

وفى الفصل السابع ...

أورد المؤلف مختارات من شعراء الدعوة، الذين أشادوا بالعمل الإسلامى، وذكروا بالقضايا الإسلامية وعلى رأسها قضية فلسطين وبيت المقدس، وما يدبره العدو، والمطالبة بتحريك رائد للعالم الإسلامى لمواجهة هذا الطوفان الصهيونى الغادر، ولن يستطيع أحد أن يواجهه إلا الإسلام والأيدى المتوضئة التى تحرص على الشهادة فى سبيل الله .

أخى القارىء الكريم...

بعد هذه السياحة مع الكاتب الكريم الذى طاف بنا هنا وهناك...
أقول: إن هذه الذكريات الغالية التى حواها الكتاب جزء منى ومنك،
وتبصرة للشباب، وتذكرة لأولى الألباب.

وفى النهاية ..

أسأل الله أن يجزى الأخ أحمد أبو شادى عنا خير الجزاء، فقد ذكرنا
بالأيام الخوالى، وما كان فيها، فأحيا فينا مشاعر كانت ساكنة، وأيقظ منا
نفوساً كانت نائمة..

جزاه الله خيراً، وبارك فى عمره وحياته، وتقبل منه هذا الجهد المبارك،
وجعله فى ميزان حسناته.. اللهم آمين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد عبد الله الخطيب

من علماء الأزهر الشريف

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين،
والصلاة والسلام على من أرسله رحمة للعالمين، وحجة على الخلق
أجمعين. وبعد

فهذه أحداث عايشتها، ووقائع ماثلة عاينتها، ودروس غالية وعيتها،
ليس للخيال فيها نصيب، وليست أقاصيص للتسلى، أو نوادر للتفكه
وشغل الفراغ، أو ألغازاً يجهد الذهن فى حلها، وإنما هى دروس وعبر،
وعلامات على الطريق، ومنارات تهدى السالكين، أقدمها لرجال الدعوة
الذين عاصروها كلها أو بعضها، فتذكر ناسياً، وتثبت على الطريق من
التبست عليه السبيل فداخله الشك فى نصر الله للمؤمنين.

ثم إلى شباب الصحوة المباركة الذين تتقاذفهم الفتن وتتنازعهم
المذاهب من حولهم، فيقعون صرعى القلق والاضطراب.

ثم إلى الأمة الحيرى على مفترق الطرق والتي سطرت على هام الزمان
آيات المجد والفخار، لتعرف قدرها كما سجله الله لها من فوق صفحات
كتابه: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ... ﴾ [آل عمران: ١١٠].

بل إلى كل مسلم ينشد العزة لأمته ويؤمن بالسيادة لها فى الدنيا
والسعادة فى العقبى.

والله أسأل أن يبارك هذا الجهد المتواضع، وأن يجعله فى الميزان يوم تزل
الأقدام . إنه سميع الدعاء .

الفقير إلى عفو ربه
أحمد أبو شادى

الفصل الأول

من ذكريات الطفولة والصبا

كان والدى - رحمه الله - رغم اشتغاله بالزراعة، محباً للقرآن، تالياً له،
حفيماً بحضور دروس الفقه التي كان يلقيها الشيخ عبد الرحيم الشاذلى
ومن بعده ابنه الشيخ محمد، كل ليلة فى المسجد الجامع ما بين المغرب
والعشاء، كما كان حريصاً على ترتيب أحد القُرَّاء من أبناء القرية لإحياء
ليالى رمضان فى « المنضرة »^(١)، وأهل الناحية يفتدون لسماع القرآن حتى
يحين وقت السحور.. وكان إحياء ليالى رمضان بتلاوة القرآن ديدن
الكثيرين من أهل القرية، وللقرآن فيها دوى كدوى النحل، وكان يسهر
عندنا الشيخ عمر القصرأوى أو الشيخ داود عودة الذى كان أيضاً القارىء
الراتب على مدار السنة، يأتى إلى دارنا بين الحين والحين، فيجلس فى
المنضرة يقرأ ما تيسر له من القرآن، وخاصة يوم الخميس، حيث تعد له
الوالدة ما تيسر من الفطائر، وربما تقدم له شيئاً من الفاكهة أو الحلوى أو
غيرها تزعم أن جدى كان يحبها، ثم خلفه ابنه الشيخ محمد الذى لا
يزال إلى يومنا هذا قارئاً راتباً فى دارنا، وكنا متقاربين فى السن، ومن ثم
كان التنافس بيننا، يتلو كل منا ربع حزب بالتناوب، ويهرع الناس إلى بيتنا
يقضون السهرة.. يستمعون لآيات الله تتلى عليهم خاصة من الشيخ
أحمد الذى كان - ولا يزال - مولعاً بتقليد سيدنا الشيخ عوض فودة
- رحمه الله - شيخ المقرئين فى القرية، وكان الناس يطلقون عليه « فلاح
القرآن » لجودة تلاوته وحسن أدائه، ووالدى يشرح لهم ما غمض عليهم،
والجميع فى نشوة وبهجة.

(١) المنضرة: غرفة الاستقبال.

وكان الشيخ عبد الوهاب وهدان - رحمه الله - عمدة القرية عالماً فذاً وخطيباً مفوهاً ومحدثاً لبقاً، رغم أنه لم يتخرج في الأزهر أو في مدرسة، وكان من عاداته في ليالي رمضان أن يمر على البيوت يرافقه شيخ البلد أحياناً وخفير يحمل «كلوب»، وآخر يحمل سلة مليئة بالبرتقال واليوسفي أو فاكهة من الفواكه السائدة يوزعها على صغار القراء تشجيعاً لهم، كل على حسب مستواه في التلاوة والحفظ، وفي الصباح يلتقى الصغار يتباهون بما نالوا من جوائز كانت على بساطتها في نظرنا كبيرة، لأنها تعبر عن معنى كبير، وكان رحمه الله يمر يوم العيد فينقذ القراء الصغار العيادية، فيعطي هذا قرشين، وهذا ثلاثة، وهذا خمسة، وربما فاز أحدنا «بالبريزة»، وقد نلتها مرة فكدت أطير من شدة الفرح، وما أحب أن لى بها جنيهاً من الوالد، والبريزة في ذلك الوقت كان لها شأن أى شأن.

وكانت أمنية والدي أن يرانى فى المسجد الجامع خطيباً يقرع الآذان بزواج الوعظ، ويلقن الناس دروس الفقه، ومن ثم لم يدخر وسعاً فى تهيئتي لهذا الأمر، فدفعنى فى سن الخامسة إلى كُتّاب القرية، حيث سيدنا الشيخ عوض بقامته المديدة وصوته القوى، يمسك عصاً اصطلاح على تسميتها بالمقرعة، وهى عصاً من جريد النخل شقت من أحد طرفيها، يستحث بها الصغار على القراءة والحفظ، فتُحدث قرعة غير مصحوبة بالآلام تذكر.. وكانت الكتاتيب فى ذلك الوقت خاضعة لإشراف مجلس المديرية، وما زالت تلك الأنشودة التى كنا نستقبل بها مفتش المديرية حين يأتينا زائراً ماثلة فى ذهنى، لا يكاد المفتش يدلف إلى داخل الكتاب حتى ينتصب الصغار وقوفاً ليرددوا هذا النشيد:

أهلاً بخير مـفـتـشٍ
أهلاً ببدرٍ مـشـرقٍ
أهلاً بصاحبِ هـمـةٍ
ساعٍ لخـيـرٍ رُقـيـنا
كُتـبـنا بتـفـهـنةٍ
الآن صار كـجـنةٍ
يا حـبـذا من نـعمـةٍ
بشـرى لنا.. بشـرى لنا

«وتفهنة» مسقط رأسى واسمها الكامل «تفهنة العزب» - مركز زفتى
غربية.

وقد عزف والدى عن إلحاقى بالمدرسة الإلزامية كى أتفرغ للقرآن، ولم
يعبأ بما فرض عليه من مخالفات مالية دفعها دون اكتراث، وحظر على أهل
الدار أن يكلفنى أحدهم بأى أمر مهما كان بسيطاً قائلاً: أنا وهبته للقرآن
وبس.

أما سيدنا فكان يحظى بالخير الوفير مما تُخرجه لنا الأرض، وتُدركه علينا
ذوات الضرع، حتى خراف الشيخ التى كان مغرمًا بتربيتها كان ينالها من
الخير نصيب، يقتطع لها والدى من حقل البرسيم قدرًا يحدده، فهو وقف
لا يجوز المساس به وإلا راحت البقرة أو الجاموسة ضحية لهذا التعدى
الآثم.. وكان الشيخ لا يحرم من قدر من الفطائر أو زوج من البط أو الأوز

إذا ختمت جزءاً من القرآن، فضلاً عما يناله نقداً حين يبيع والدى القطن.

الحفل الكبير:

كان يوماً تشرئب له الأعناق، حين يحدد الشيخ موعداً للاحتفال بختم الصبى القرآن، فيحضر الوالد قراطيس الكرملة والفوندام وقرطاس ملبس للشيخ خاصة، وفي الكتاب يجتمع عدد كبير من أهل الناحية، ويجلس الشيخ على دكته العتيقة، ويقف الفتى بين يدي سيدنا بين إعجاب الحاضرين وفرح الأقربين يتلو بصوت عال خواتيم سورة البقرة، ويبلغ التأثير مداه والفتى يتلو قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ... ويقبل الفتى يد الشيخ ثم تنهال التهاني على الفتى الصغير، بينما يوزع الشيخ الكرملة على الحاضرين ويستبقى لنفسه الفوندام والملبس، وينصرف الجميع ولا حديث لهم إلا هذا الحدث الكبير.. وتصنع الوالدة ملء حلة المولد - وهي كبيرة تتسع لخروف كبير - الأرز باللبن يوزع منه على الجيران، ويوضع قدر منه في ساحة الكتاب فينهال عليه الصبية يلعقونه بأصابعهم حتى يأتوا عليه ويصير الوعاء أنظف من الصينى بعد غسله.

هأنذا قد ختمت القرآن ولما أتجاوز العاشرة، وها هو سيدنا يشرع في تعليمي مع آخرين أحكام التجويد وطرفاً من قواعد الإملاء وهأنذا أتجاوز

الحد الأدنى لسن القبول بالأزهر بأشهر قليلة، وكان يشترط في المتقدم لامتحان القبول بالسنة الأولى الابتدائية حفظه للقرآن الكريم كله مجوداً مع الإمام بقواعد الإملاء والتدريب على الخط الرقعة منه والنسخ، فضلاً عن إتقانه مادة الحساب على القواعد الأربع (جمع وطرح وضرب وقسمة ومسائل عليها)، وكانت هذه المادة غير واردة في برنامج سيدنا بالمرّة، وكان أترابى فى الكُتّاب قد قضوا مرحلة الإلزام فى المدرسة وبرعوا فيها، ورأيتنى أمام الأستاذ عبد الشافى ابن سيدنا، وكان قد قطع شوطاً فى الدراسة بمدرسة المعلمين ولم يتمها، فانصرف إلى عمل « قبانى » يزن محاصيل القطن والقمح وما إليها . . شرع يدرس لنا الحساب دون مراعاة الفرق بينى وبين هؤلاء الرفاق فيكتب المسائل على السبورة ويطلب من الجميع حلها فيسارع الجميع بالحل، وأرانى عاجزاً مما أوقعنى فى حرج بالغ إذ لم يسبق لى أن تلقيت أبجديات هذه المادة التى وكأنها قُدت من صخر.

وتقدمت لامتحان القبول بالمعهد الأحمدي بطنطا ونجحت بتفوق فى كل المواد عدا الحساب، وكانت صدمة عنيفة خيبت آمالى وآمال والدى على الأخص، وكانت دهشة الجميع بالغة ولم يصدقوا أنى رسبت . . كيف وقد كنت أشنف أسماعهم بالقرآن فى المسجد الجامع . . أتلوه بصوت حسن وإجادة لا يرقى إليها أى من هؤلاء الناجحين . .

وانكفأت على نفسى، ولزمت البيت هرباً من السنة الناقلين والشامتين، خاصة عوام الفلاحين الذين كانوا يلاحقوننى بهذا الوصف البغيض « ساقط » . . ولم أعد أذهب إلى المسجد، وخفّت ذلك الصوت

الندى الشجى الذى كان ينطلق بين جنبات المسجد بين إعجاب المعجبين
وثناء المادحين، حتى اللعب البرىء مع أترابى فى الليالى المقمرة حُرمت
منه، وإذا تصادف خروجى تلاحقنى عبارات التأنيب والتبكييت من الكبار
والصغار على سواء فتزداد همومى، ولم أنج من تأنيب والدى كلما وقعت
عيناه علىّ، ويجتمع الجميع على العشاء وأنا قابع فى ركن آخر من الدار
كثيباً حزيناً لا أذوق للأكل ولا للنوم طعماً، حتى والدى التى كانت تفخر
بى راحت بدورها تصب علىّ عبارات التقريع من مثل قولها: هو انت
نافع؟ دا الفرخ الفصيح م البيضة بيصيح.. ولا أجرؤ أن أشكو إليها قسوة
والدى، وإذا شكوت تلسعنى بقولها: الراجل - تقصد والدى - عمل آخر
جهده، هو انت نافع؟

وزاد من همومى أن كان لشقيقتى الكبرى ابن يكبرنى بسنتين وكان
مستواه فى حفظ القرآن وتجويده دون مستواى بكثير، ولكنه سبقنى إلى
المعهد الأحمدى لمعرفة الحساب، وكان رحمه الله وسيماً يبدو متألّقاً فى
الكاكولة والعمامة حين يأتى لزيارة جده وجدته (والدى) فى العيد،
فيحظى منهما بالعيدية وهو فرح مسرور.. أما أنا فكان قدوم العيد يحرك
المواجه وينكأ الجراح، فلا أحظى بشيء قليل مما يحظى به الأولاد حتى
القرويون من لبس الجديد والفرح بالعيد.

كان معهد المنشاوى باشا بطنطا (معهد أهلى) يستقبل الراسبين فى
امتحان المعهد الأحمدى، وكذلك من تجاوز الحد الأقصى للقبول (١٦
سنة) ولم تكن لذلك المعهد منزلة ومكانة المعهد الأحمدى الذى كان
لاسمه دوى كدوى الطبل، ونظرة الناس إلى كل من المعهدين مختلفة

تماماً، وأشار بعضهم على والدى أن ألتحق بهذا المعهد كنوع من التقوية توطئة للالتحاق بالمعهد الأحمدي في العام المقبل، وكانت فرصة طيبة للخروج من هذا السجن الذي فُرض علىّ والبُعد عن تبكيت الأهل وسخرية الجاهلين، وقضيت السنة الأولى بمعهد المنشاوي وفي آخر العام - ولأول مرة - أذوق طعم النجاح، ولكنه نجاح ممزوج بالمرارة، فما لم تكن في المعهد الأحمدي، فلا عبرة بنجاحك ولو حصلت على النهايات الكبرى.

ثم عدت من جديد لاستأنف دراسة الحساب لدى الأستاذ عبد الشافي الذي كرر معي نفس الدور، وكان لا بد من سبيل للخروج من المأزق الصعب الذي كاد يعصف بكيانى كله، ولا أحد إلا الله وحده يدرى ما أقاسى .. جمعت أمري مع زميل لى مرّ معي بنفس الدور ورحنا نفكر معاً فى مخرج، فاهتدينا إلى التوجه إلى الشيخ عبد الفتاح خليل ناظر المدرسة الذي اشتهر ببراعته فى الحساب ولا يكاد يرسب أحد ممن هم تحت يده، واتفقنا على ترك الأستاذ عبد الشافي والتوجه إلى الناظر، فالأمر يتعلق بمستقبلنا، وبسط كل منا الأمر لوالده فكانت الموافقة، وذهبنا إلى الرجل وكان عند حسن الظن به، فشرحنا له ظروفنا وأنا نرغب فى البدء من أول السلم، فطمأننا كثيراً وشعرنا بأن عقدتنا فى سبيلها إلى الحل، وكدنا نظير من الفرح إذ أطل علينا فجر مستقبل جديد ينير لنا الطريق إلى النجاح المنشود.

فرحة ما تمت :

ما إن علم سيدنا بالأمر حتى أرسل إلينا يستدعينا من بيت الشيخ

عبد الفتاح، وما كنا نملك إلا الانصياع لأمره، فهو الرجل الذى كنا نفرق من مجرد رؤيته حين يمر بنا عرضاً، وذهبنا إليه وقلوبنا الصغيرة ترتجف من هول ما سوف يحل بنا .. وهناك نصبت لنا المشنقة - أعنى الفلقة - وتلقينا نصيباً وافراً من عصاه الغليظة، وأغلق دوننا باب الأمل وحل اليأس فى قلوبنا .. والمؤسف أننى حين شكوت إلى والدى أقر تصرف الشيخ باعتباره صاحب الفضل فى حفظ القرآن وتجويده وتستحيل مخالفة أمره، وعصا الفقى من الجنة .. وعدنا إلى عبد الشافى لتتم المأساة فصولها وأرسل فى امتحان القبول للمرة الثانية، بينما نجح زميلى سيد بعد استعانتة سراً بقريب له فى دراسة الحساب وحقق أمنيته فى الالتحاق بالمعهد الأحمدى، ولم يكن بد من المضى فى الدراسة بمعهد المنشاوى، وقد نقلت إلى السنة الثانية وأمرى لله، علماً بأن نظام الدراسة بذلك المعهد كان يقضى باجتياز الطلاب المرحلة الابتدائية نقلاً من سنة إلى أخرى، وفى السنة الرابعة يعقد الامتحان فى المعهد الأحمدى فى مقرر السنوات الأربع، وعقدت العزم على بذل أقصى جهد ممكن شأنى شأن الطلاب الذين تجاوزوا سن القبول بالأحمدى والتحقوا بالمنشاوى، فإذا ما قدر لى النجاح فى الشهادة الابتدائية التقيت مع الجميع فى معهد طنطا الثانوى وهناك تتساوى الرؤوس .. وعند صفو الليالى يحدث الكدر .. فبينما أنا مقبل على الدراسة لا أتوانى عن التحصيل، إذ فاجأتنا إدارة الجامع الأزهر بقرار غريب لا أدرى حتى الآن الباعث عليه، إذ قررت اعتبار الطلاب الوافدين لرسوبهم فى امتحان القبول فى الأحمدى هذا العام بالذات مستمعين فقط ولاحق لهم فى الامتحان آخر العام، فأرسلت إدارة معهد المنشاوى إلى إدارة الجامع الأزهر لتصحيح الوضع فجاء الرد أنه قرار مشيخة

الأزهر ولا سبيل إلى الرجوع فيه، فأوصد الباب في وجهي وقررت العودة إلى البلد... وما دريت أنني بعودتي أعود إلى السجن من جديد.. في البلد لقيت من الأهل والناس ما لقيت حتى انتهى العام الدراسي وعاد الطلاب لقضاء الإجازة الصيفية بين الأهل، وتواترت البشائر بنجاحهم.. ومررت بمرحلة أليمة قاسية يعجز القلم عن وصفها.. كنت أتحاشى الخروج حتى لا تُوجّه إليّ سهام العوام، فلا أنا طالب ألتقى بالطلاب في ناديهم، ولا أنا فلاح أشارك شباب الفلاحين اللعب في الليالي المقمرة.. ووجدتني وحيداً معزولاً تحيط بي الهموم من كل جانب، وفكر والدي في عمل يناسبني، فعزم على أن يفتح لي دكاناً ثم عدل عن الفكرة.. وفي خلال ذلك زارنا - قَدْرًا - قريب لنا يعمل في القاهرة، فرجاه والدي أن يبحث لي عن عمل يلائمني، فأنا أحفظ القرآن وأجيد الخط النسخ والرقعة، ولم يلبث والدي أن تلقى خطاباً من ذلك القريب أنه اهتدى إلى عمل لي في مطبعة - يعمل فيها ابنه - بأجر يومي ٢٥ مليمًا (خمسة تعريفة) وهي ثمن رطل لحم ضاني إذ ذاك!! ورحب والدي بالفكرة خاصة أن الرجل ذكر له أن هذا الأجر مبدئي وقابل للزيادة، وربما يتمكن أحمد في المستقبل من إنشاء مطبعة فيكون له شأن، إلا أن والدتي رحمها الله وبعاطفة الأم عارضت ذلك بشدة قائلة: يسكن فين؟ ومع مين؟ وازأى يعيش؟ ولا نأمن أن يصدمه تروماى أو عربية.. فنزل والدي على رغبتها وعدل عن الفكرة.

ولرُبَّ نازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى

ذَرَعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْخُرْجُ

ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحَكَمَتْ حَلَقَاتُهَا

فُجِرَتْ وَكُنْتُ أَظْنُهَا لَا تُفْرَجُ

وبدا فى الأفق شعاع جديد من أمل .. زار والدى رجل فاضل هو
المرحوم الأستاذ أحمد رضوان المدرس بمدرسة البلد ذات ليلة، فهاله أن
رأنى أقدم القهوة للضيوف، فسأل والدى مستغرباً: مش ده الشيخ
أحمد؟ .. وعهده بى أننى لا شك من المتفوقين، وكان من المعجبين جداً
بقراءتى فى المسجد وفى المحافل .. فرد الوالد: والله احنا عملنا اللى علينا،
ولكن أحمد ابنى لعبى .. وهنا كان الكيل قد طفح ولم يعد فى قوس
الصبر منزع، ووجدتنى منخرطاً فى بكاء شديد وقلت دون تردد: بل أنت
السبب فى كل ما حصل، وذكرت قصتى مع الأستاذ عبد الشافى والشيخ
عبد الفتاح ناظر المدرسة وما أصابنى من إيذاء على يد الشيخ عوض،
وهمت بالانصراف ولبكائى نشيج ووجيب، فلحق بى الرجل وطيب
خاطرى وبدا عليه التأثر الحالى، وقال لوالدى: يا عم الحاج: الشيخ أحمد
على حق .. شخص ليس عنده أى فكرة عن الحساب يوضع مع جماعة
قتلو المادة دراسة وجاءوا للمراجعة والتمكن .. هذا ظلم .. الشيخ أحمد
على حق .

ولأول مرة منذ سنتين أسمع كلمة إنصاف - رحم الله الأستاذ أحمد
رضوان وجزاه عنى خيراً - ثم اقترح أن أتقدم إلى امتحان القبول للمعهد
الأحمدى للمرة الثالثة ولا تزال سنى مناسبة، وأبدى استعدادة لتدريس
مادة الحساب متطوعاً، فرفضت ذلك بشدة، إذ على فرض نجاحى فى
القبول سألتحق بالسنة الأولى بينما سبقنى إلى السنة الثالثة من كانوا

دونى منزلة فى القرآن بكثير، بل منهم من كنت أنوب عن سيدنا فى تسميع القرآن له .. وقلت : مستحيل لو كان المعهد الأحمدي هو الجنة!! .. فعاد الرجل يقترح التقدم إلى المدرسة الابتدائية، فاستنكر الوالد ذلك لما وقر فى نفسه أن طلاب المدارس لا دين لهم .. إما الأزهر وإلا فلا . وعاد الرجل يدلل للوالد بأن ليس كل الطلاب هكذا، وضرب له أمثلة بطلاب من البلد يتمتعون بسمعة طيبة، وكان الوالد يعرفهم، فاقتنع بالفكرة بعد لآي .. وبعد أيام توجهت مع الوالد إلى زفتى حيث مدرسة « أمير الصعيد الابتدائية الخاصة » وأجرى لى امتحان فى القراءة والإملاء والخط، فاقتراح الناظر بعد أن أدرك مستوى إلحاقى بالسنة الثالثة، ويمكن الاتفاق مع مدرس اللغة الإنجليزية فينهي معى مقرر السنة الثانية خلال الفترة الباقية من الإجازة .. ولم يكن الإنجليزي مقرراً على السنة الأولى إذ ذاك، وأبديت استعدادى لذلك، إذ أقفز فى أول العام إلى السنة الثالثة فأتساوى بنظرائى فى المعهد الأحمدي وأحصل على الشهادة الابتدائية معهم وتمحى عنى وصمة الرسوب، وكانت فكرة جيدة حقاً، غير أن والدى خشى ألا أوفق فالتحقت بالسنة الثانية .

أشرفت نفسى بالأمل بعد ضياع وطول معاناة، وأقبلت على الدراسة بهمة ونشاط، وتفوقت على أقرانى من أبناء بلدتى، إذ كان ترتيبى فى السنة الثانية الخامس ثم تربعت على كرسى الأولوية فيما بعدها، واستعدت ثقتى بنفسى، وحصلت على الشهادة الابتدائية وذقت طعم النجاح بحق .. ولست أنسى يوم أقبل البشير بالنجاح .. كان فراشو المدرسة يطوفون بدراجاتهم على القرى يوزعون الشهادات على

الناجحين، ويومها أقام والدي لهم مائدة دعا إليها بعض الأقارب والجيران
بين فرحة الأهل والأحباب .. أحمد أفندي خد الشهادة... وانطلقت
الزغاريد ونُفح الفراشون نفحة فرحوا بها كثيراً.

كانت صورة عبد الجليل مالك ومحمد الأغا تتراءى أمام عيني، وكانا
قد حصلنا على الشهادة الابتدائية من نفس المدرسة والتحقنا بالجيش وصار
كل منهما بلوك أمين (بلوكامين) .. يا سلام .. متى أحظى بهذه الرتبة
التي كانت منتهى ما أتمنى بعد رحلة العذاب؟.

المعلم القدوة

ومن جميل الذكريات في تلك المدرسة أن كان الشيخ أحمد عامر
مدرس اللغة العربية والدين من خيرة المعلمين، علماً وخلقاً وديناً، يحرص
على غرس القيم الفاضلة في نفوس تلاميذه بصورة عملية، فيصحبهم إلى
دورة المياه حين يقترب وقت الصلاة، فيعلمهم الوضوء، وكيفية الصلاة ثم
يؤمهم .. وكان يرافقهم إلى مكتبة المدرسة فيرشدهم إلى ما يرقى
بمعلوماتهم، ويحبب إليهم الاطلاع والتزود من الثقافة، بل كان يفرض
حفظ مختارات من القرآن بتفسيرها من خارج المقرر، ويضع ذلك في
الاعتبار عند رصد الدرجات وينتقى مختارات من الإملاء والإنشاء
والمحفوظات مما لا يتسنى لغيره، ففي وصف ليلة مقمرة أملى علينا هذه
اللوحة الفنية وأوصى بحفظها .. أذكر منها:

كانت السماء صافية الإهاب، زرقاء الجلباب، قد بدا فيها القمر كما
يبدو الملك يصحبه الجلال وتكتنفه العظمة، فدب الحياء إلى الكواكب

فتواتر بالحجاب، اللهم إلا قليلاً كان يهب هنا وهناك كأنه رقباء الملك.
ومن المحفوظات هذه التوجيهات الغالية التي تركت آثارها على سلوك
الكثيرين:

الرزقُ مضمونٌ على واحدٍ
مفتاحُ الأشياءِ في قبضتِه
قد يُرزقُ العاجزُ معَ عجزِه
ويُحرَمُ الكيسُ معَ فطنتِه
لا تنهَرِ المسكينَ يوماً أتى
فقد نَهَاكَ اللهُ عن نُهرتِه
من أطلقِ القبولَ بلا مُهلةٍ
لا شك أن يعثرَ في عجلتِه
من شرب الخمرَ شفاءً له
فلا شفاه اللهُ من علتِه
من جعل الحقَ له ناصراً
أيده اللهُ على نصرتِه

ومنها:

اتقِ الأحمقَ أن تصحبه
إنما الأحمقُ كالثوب الخلقُ

كَلِمًا رَقَعَتْ مِنْهُ جَانِبًا
مَرَّ مِنْهُ الرِّيحُ وَهَنًا فَنَاخِرُقُ

ومنها:

عاشر من الناس كبار العقول
وجانب الجهال أهل الفضول
واشرب نقيع السم من عاقل
واسكب على الأرض دواء الجهول

وغير ذلك كثير

ومن الطرائف التي لا تنسى، أن أحد التلاميذ المشاغبيين اعتاد أن يسير خلف هذا الأستاذ وهو يغادر قاعة الدرس بعد الحصّة ويخرج لسانه ساخرًا، وعلم الأستاذ بذلك من بعض التلاميذ، فأبدى عدم اكتراثه بالأمر، فيما راح يرقب سلوك عبد العزيز حتى تأكد بنفسه من الواقعة.

وفي درس المحفوظات ركز على عبد العزيز وضيق عليه الخناق حتى بدا عجزه جليًا وقد كان من المتفوقين، فعلت الحمرة وجهه ونكس رأسه خجلًا، عند ذلك بادره الأستاذ بقوله: قل يا عبد العزيز! فلا يملك جوابًا، ويكرر الأمر ويزداد عبد العزيز خجلًا.

عند ذلك قال له: يا واد يا عبد العزيز.. أنا بلغني أن لسانك بيحصل مناخيرك.. صحيح؟.. ويموت عبد العزيز في جلده.

وهكذا لقنه درسًا أبلغ من ضرب السياط دون أن يؤنبه أو يعاقبه، فنعم المربي والمعلم.. رحمه الله رحمة واسعة.

بين عهدين

الوفد والإخوان «المسلمون»

كان لحزب الوفد الذى أسسه الزعيم سعد زغلول عقب ثورة ١٩١٩ شعبية طاغية انتظمت الأمة كلها بجميع طوائفها وفئاتها، وامتدت فى أرجاء البلاد طولاً وعرضاً وشمالاً وجنوباً، حتى لم يعد فى مصر جبهة مناهضة، وانطلقت الألسنة من عقالها تمجد الوفد وتسبح بحمده، حتى بدت على ألسنة الجماهير العريضة مقولات: «مكتوب على ورق الفول.. يحيا سعد زغلول»، «يحيا الوفد ولو فيها رفا»، «لو رشح الوفد حجراً لانتخبناه»، «الجاموسة بتاعتنا بتقول: سع... د».

كان أحد الوفديين واسمه أبو العينين جعفر مرشحاً لعضوية مجلس النواب فى إحدى دوائر المنوفية، فسأل أحد الفلاحين صاحبه عمّن سينتخب؟ فرد عليه بما يفيد أنه سينتخب منافس جعفر.. فقال له: يا شيخ انتخب جعفر.. دا حتى الجاموسة بتاعتنا بتقول: جع... قر.

وتفتحت عيناي على مواكب النحاس باشا وهو يستقل القطار من القاهرة إلى بلدته سمند ماراً فى طريقه ببلدتنا التى خرجت عن بكرة أبيها تستقبل زعيم الأمة وخليفة سعد ورفيق جهاده، وانطلقت حناجر الشباب تشق عنان السماء تهتف للرئيس الجليل ورفاقه من رجالات الهيئة الوفدية:

يحيا النحاس باشا .. يعين زعيم الأمة .. يحيا صبرى علم الوفد ..
يعيش فؤاد سراج الوفد .. يعيش نجيب هلال الوفد .. يحيا النحاس باشا ..
ويشير أحدهم إلى النحاس هاتفاً .. يحيا العلم الزاهر .. ويتبعه آخر:
يحيا الشمس الساطعة .. وثالث: يحيا الكوكب المنير... فى حماس
منقطع النظير.

شاهدت ذلك ولما أتجاوز الخامسة عشرة من عمري، وتعلقتُ بهذه
المظاهر البراقة، والتي كانت من شعارات حزب الوفد... أما مهمة الحزب
والغرض الذى أنشئ من أجله، فلم يخطر لى على بال .. الجميع
يصفقون .. والجميع يهتفون .. والجميع تابعون لا يدرون إلى أين يُساقون
.. وكلهم فى الحب « وفد » دون تفكير .. (واللى يتجاوز أمنا نقول له
يا عمنا) .. (وإذا لقيت بلد بتعبد العجل حش وارمى له) .. وهى أمثلة
تحمل فى طياتها الدعوة إلى اسلبية ومجاراة الحاكم مهما كان جائراً،
خلافاً لما تعلمناه فيما بعد فى موكب الدعوة أن يكون المسلم إيجابياً،
يأبى الضيم، ويرفض الذل والهوان، وألا يفكر بعقل غيره .. فى الحديث
«من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منى» «لايكن أحدكم إمعة
يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن
وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا
إساءتهم» .. إن الأمة التى تهاب، أن تقول للظالم: يا ظالم، بطن الأرض خير
لها من ظهرها - وفى رواية قد تودع منها» رواه الترمذى .. وقبل ذلك كله
وبعده قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ
كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَتْ فُتْهَا جِرُوا

فِيهَا فَأَوْلَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأَوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ
أَنْ يَغْفُرَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴿ [النساء: ٩٧-٩٩] .

وما من شك أن المقربين من رموز الوفد كانت لهم امتيازات ومنافع لا يدركها من هم في مثل سنى، وزاد من إعجابى بالنحاس باشا براعته الخطابية وفنه فى الإلقاء مع أسلوب -جزل فخم يتسم بالسجع والمحسنات البديعية، خاصة وهو يخطب فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف، ويكرر فى كل فقرة من الخطاب الذى أعد له بإتقان وعناية عبارة « سيدى يا أبا الزهراء» .. وكنت بحكم نشأتى أميل إلى كل ما يتصل بالدين، ولا زلت أحفظ قدراً غير يسير من خطابه الذى ألقاه عقب اغتيال أمين عثمان باشا الذى كان يشغل منصب وزير المالية فى وزارة الوفد فى الأربعينيات، والمقرب جداً من الإنجليز، وصاحب العبارة المشهورة (إن مصر تزوجت بريطانيا زواجا كاثوليكيا) .. يعنى زواجا مؤبداً لا يقبل الانفصام.

قال النحاس بعد المقدمة ينعى الفقيد: اللهم لاراد لقضائك، ولا مفر من ابتلائك، دقت عن الأفهام حكمتك، وارتفعت فوق مستوى العقول قدرتك، فأنت وحدك الباقي والخلق فانون، وأنت وحدك القادر والكل عاجزون .. جرى تقديرك الأزلى أن تصاب مصر فى ابن لها وفى، أحوج ما تكون إلى جهاده وكفاحه وجلاده .. إلى أن يقول: وكذا إذا حُمّ القضاء وجاء الأجل، فقد أخفق الرجاء وحناب الأمل.

كلام منمق يشبع رغبة طالب ثانوى يتدرب على كتابة موضوع

إنشاء!!..

ولكنى أعجبت بالبحاس باشا إعجاباً ملك أحاسيسى، وكنت مولعاً
باقتناء صورته وعلى صدره الأوسمة والنياشين، ولا أكتفى بذلك بل أحرص
على تعليقها فى وجهه الدخل على جدران المنضرة التى كان والدى
يستقبل فيها الضيوف .

وفى هذه الأثناء، أذكر أنه مرت بقريتنا مجموعة من شباب الكشافة
فى يوم جمعة، وبعد الصلاة اصطفوا صفوفاً منتظمة يتقدمهم شاب
يحمل بين ذراعيه مصحفاً يرفع صوته بهتافات ترددها المجموعة كلها، ثم
مضت إلى حال سبيلها، وسمعت الناس يقولون: دول من جماعة إخواننا
المسلمين، فلم أكثر بالأمر.

وأذكر أننا ونحن فى مدرسة زفتى كنا إذا أردنا الصلاة فى المسجد
يحذرنا زملائنا من الصلاة فى مسجد السنية «الجمعية الشرعية»: اوعوا
دول بيطولوا فى الصلاة لغاية مايكسروا وسطك.. فانطبع فى ذهنى تجنب
الصلاة مع السنية أو الاقتراب منهم، بل - أستغفر الله - وازدراؤهم ..
وكان الكثيرون من ذوى اللحى فى ذلك الوقت ممن أطلقوها لترويج
بضاعتهم .. فهذا الشيخ فراج باع الجاز، والشيخ محمد السوسى الشهير
بالسنى وكان جزاراً، والشبخ عوض وكان يتجر فى الطيور والزبدة
والألبان... فكانت نظرتى لهؤلاء نظرة ازدراء وتحقير، خلافاً لما يتمتع به
رجال الوفد من وسامة ووجاهة وألقاب تأخذ بالألباب، فكان الوفد وبس
وبعده الطوفان .. واستقر فى ذهنى أن الإخوان من الجماعة السنية، وأنه
يستحيل على مثلى - وأنا من حزب الصفوة - أن يهبط إلى هذا المستوى

.. ولكن أحد أبناء قريتنا - لايزال على قيد الحياة - هو الأخ إبراهيم سلامة بارك الله فيه ومدد في عمره، وقد أتيح له بحكم عمله في القاهرة أن ينضم إلى الجماعة .. كان دائما يلح عليّ حين يلقاني في البلد أو يقابلني في القاهرة أن أستجيب لدعوة الإخوان، فالإخوان يريدون تطبيق الشريعة .. فأقول: يعنى إيه؟ فيقول: نُحَكِّم بالقرآن بدل ما نُحَكِّم بقانون يبيح الخمر والزنا والسفور والقمار والربا، لكن القرآن يحرم ذلك كله، ويوقع على مرتكب أى منها عقوبة قاسية .. السارق تُقطع يده، ويؤيد قوله بالآية الكريمة: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، والزانى يُجلد ويستشهد بقول الله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢] .. ويدلل على عقوبة الربا بقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٧٨)﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة ٢٧٨-٢٧٩]، ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦] .. وعن السفور: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] .

ورغم وضوح الحجّة فإننى لم ألق لذلك كله بالأ، وأنا الذى أحفظ القرآن عن ظهر قلب!! .. وأنا مالى والجماعة السنية .. الوفد وبس .. وفى مقابلة له فى القاهرة، وكان ذلك فى شهر رمضان، دعانى إلى تناول الإفطار فى بيته بالعباسية، فلبيت الدعوة وبعد الإفطار صحبني إلى ميدان المحكمة بالعباسية، حيث أقيم سرادق للاحتفال بذكرى غزوة بدر فى تلك

الليلة، يخطب فيها الشيخ حسن البنا، وكنت فى هذه الظروف قد بدأت انفتح على الصحف، وأولعت بقراءة الجرائد وخاصة جرائد الوفد، وبالأخص جريدة صوت الأمة التى أصدرها حزب الوفد خصيصاً لمهاجمة الإخوان المسلمين والتشنيع عليهم وعلى الشيخ البنا، وتخصه بقدر كبير من الشتائم والسباب مثل قولها: حسن البنا مدرس الخط .. وعن الجماعة: هذه الجماعة تهوى، وتلجأ الجريدة إلى إيراد أسماء تزعم أنهم من الإخوان الذين انشقوا عن الجماعة، ثم يعقد الكاتب مقارنة بين حضرة صاحب المقام الرفيع الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء ورئيس الوفد المصرى وخليفة الزعيم خالد الذكر سعد باشا زغلول، وبين حسن البنا مدرس الابتدائى الذى يقع فى السفح من ذلك الهرم الشامخ الذى يقف على قمته زعيم الأمة، ومن تحته حضرات أصحاب المعالي والسعادة والبنوة الوزراء ومنهم وزير المعارف العمومية - كما كانوا يسمونه فى ذلك الوقت - والذى يخضع له وكلاء الوزارة والمفتشون والموجهون ونظار المدارس الثانوية والابتدائية ونظار مدارس المعلمين والمعلمات، ولم تكن الجامعة فى ذلك الوقت تخضع لوزير المعارف بل كان لها نظام خاص بعيد عن سلطة الوزير.. فماذا يكون موقع حسن البنا من هذه التركيبة؟ .. إنه لا يعدو أن يكون مدرسا فى أسفل الهرم الذى يقف على قمته ردة النحاس باشا، ويستحيل على المرء الذى تستهويه هذه المظاهر الخداعا أن يترك القمة ويهبط إلى السفح.. الوفد وبس.. أضافت هذه الصورة إلى عقدتى من السنية عقدة أغلظ من جهة الإخوان.

أعود إلى الأخ إبراهيم سلامة الذي لم أجد بدأ من إجابة دعوته لحضور الاحتفال بذكرى غزوة بدر خاصة وأرجل مبالغ في مجاملتي .. وافينا السرادق وهناك راعني أن رأيت حشداً كبيراً من الناس، وغالبيتهم من الشباب .. يدل مظهرهم على أنهم من طلاب الجامعات والمدارس الثانوية، ودلفت مع صاحبي إلى داخل السرادق، وأذكر أنني كنت أرتدى في تلك الليلة بدلة شاركسكين سمى وقميص أبيض، وسرت أتهادى في مشيتي مختالاً كالطاووس، وفي داخلي شعور بأننى أعلى من هؤلاء جميعاً قدراً ومنزلة، وكيف لا وأنا من حزب الصفوة .. حزب الباشوات والبكوات أصحاب المعالي والسعادة والعزة، وكأني مندوب الوفد تنازل وجاء متواضعاً يزور الجماعة الغلابة ويجبر خاطرهم.

ولعب الأخ إبراهيم دوراً غاية في الذكاء .. دور المسلم الذي يتمنى الخير للناس جميعاً .. كيف وقد اتق حلاوة الإيمان في ظل الجماعة أن يبخل على رفيق عمره بهذه المنحة؟ .. إنه يعلم مدى إتقاني لتلاوة القرآن الكريم وانتهازها فرصة ليصعد بي إلى المنصة، فأسرّ إلى الأخ المشرف على تنظيم الحفل بشيء، وبعدها انبعث صوت الميكروفون: القرآن الكريم من الأخ أحمد أبو شادى .. أخ .. وكانت مفاجأة، إيه الورطة دى ياعم إبراهيم؟ .. فكلمة أخ كانت إذ ذاك ثقيلة على نفسى وسبحان الله بعد أن منّ الله علىّ بهذه الدعوة صارت هذه الكلمة وساماً أفخر به ولا أود أن لى بها ألقاب سلاطين الدنيا .. ولم أر مفرأ من الإذعان، وقمت متثاقلاً واعتليت المنصة وشرعت فى تلاوة صدر سورة الأنفال وفيها ذكر غزوة بدر حتى أتيت قول الله تعالى:

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهِونَ ﴿٥﴾
يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾
[الأنفال : ٥-٦] .. وأحسست أننى من الفريق الكاره الذين ﴿ كَأَنَّمَا
يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ .

وفجأة أدهشنى أن رأيت جموعاً تهول نحو المنصة بشكل مذهل،
فظننت أنهم اندفعوا تحت عدوان رجال الأمن الذين كانوا يحيطون
بالسرادق، ولكن سرعان ما استبان لى الحقيقة حين دلف الأستاذ البنا إلى
السرادق لحق بركبه جماعة من خارج السرادق رغبوا فى القرب من المنصة،
وقال الأخ مقدم الحفل مشبهاً إلى: صدق الله العظيم، ثم راح يرحب
بالمُرشد العام بعبارات بليغة تنبئ عن فرح بالغ بالوفاد الكبير، وكأنما سرى
تيار كهربائى فى عروق الحاضرين، فأشرقت وجوههم بشراً، وتألقت فرحاً
وسروراً، وتعالى أصواتهم بهتاف الإخوان المعروف « الله أكبر والله
الحمد » .

واعتلى الأستاذ المنصة ومد يده إلى مصافحاً، فلم أشعر إلا وأنا أقبل
يده، وكانت فرصة سانحة إذ هبت قاب قوسين أو أدنى من المنصة، وراح
الرجل بصوته الهادى ينساب، انسياب الماء الصافى فى الجدول الرقراق،
وتحدث عن غزوة بدر وما فيها من دروس وعبر.. ولا أكتم القارىء العزيز
أنه أخذ بمجامع قلبى ولم أسنطع فكاكاً من تحت سلطانه الأسر وأسلوبه
العذب المريح، وكان مما قال: إذا كانت بريطانيا تفخر بأنها سيدة البحار،
وأنها الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس، وإذا كانت أمريكا تزهو بأن

لديها القنبلة الذرية، وتفخر روسيا الشيوعية بجيشها الأحمر، فإن لدينا نحن المسلمين بحمد الله ما هو أقوى من هذه القوى جميعاً وأضعاف أضعافها.. إن لدينا سلاح الإيمان بالله الذي لا يفشل.. وتلا قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].. وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ أَقْتُلْهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

وأعقب المحاضرة وابل من الأسئدة في مختلف الشؤون سياسية واجتماعية ودينية، فكان الرجل يجيب عنها مرتجلاً دون تلعثم، وكأنما يقرأ من كتاب.. فهو كما وصفه لأستاذ الهضيبي: «عقل واسع ملم بالشؤون جليلها ودقيقها.. صغيرها وكبيرها».

ولم يترك الأخ إبراهيم الليلة تمر دون أن يقدم إلى باقة من شباب الدعوة ومعظمهم طلبة جامعيون مما قلب فكري عن الجماعة رأساً على عقب. وشعرت في تلك الليلة بمتعة روحية لم أظفر بمثلها في حياتي.. متعة تتضاءل بجانبها عشرات الخطب للنحاس باشا وما وعته ذاكرتي من أدبيات طه حسين والمازني والعقاد.

ورحت بعد ذلك أتبع خطو حسن البنا لأذهب إليه مستمعاً في لهفة وشغف، حتى جاءت أحداث عام ١٩٤٨ وأصدر النقراشي باشا رئيس الوزراء قراراً بحل الجماعة واعتقال الإخوان واتهامهم بالإرهاب، وحملت الصحف حملة محمومة كتلك التي نشاهدها في هذه الأيام من رموز

العلمانيين ومن يَلْفُ لَفَّهُم، فنكصت على عقبى، وانطلى الزور على،
حتى التحقت بكلية الحقوق عام ١٩٥٠، والتقيت بشباب الإخوان هناك،
فعرفت الحقيقة ناصعة من خلال مناقشاتهم، ومن بين سطور كتاب
«الإسلام وأوضاعنا القانونية» للقاضي الشهيد الأستاذ عبد القادر عودة
الذي عبّر عن فكر الجماعة بأجلى بيان، فالتحقت بالركب المبارك على
بينه لا أبغى به بدلاً.. والله الحمد والمنة.

رجال تأثرت بهم

أمضيت المرحلة الثانوية بعد أن تخطيت العقبة الكؤود، وأخذت طريقى إلى كلية الحقوق.. ولكن لماذا كلية الحقوق؟... معلوم أن سوق الحقوقيين فى تلك الحقبة كانت هى الرائجة، تؤلف الوزارة فإذا جلّ أعضائها حتى وزير الصحة ووزير الدفاع من القانونيين، ويندر أن يكون الوزير من غيرهم، ومن ثم كان لهذه الكلية بريق يبشر بمستقبل زاهر، والحقيقة أن دراسة القانون ممتعة تعطيك زاداً وافراً من الثقافة تتميز به عمّن سواك من طلاب الكليات الأخرى.

وفى الكلية كان التنافس بين شباب الأحزاب على أشده، كل حزب يسعى للسيطرة على الاتحاد من خلال الانتخابات، وفى مسجد الكلية يلتقى ذوو الميول الدينية للصلاة، كما يلتقى فى الكافيتريا ذوو الميول والاتجاهات الأخرى، وكل فريق يحاول التعرف على الوافدين الجدد لعله يكسبهم إلى صفه...

فى أحد اللقاءات ألقى إلى أحدهم بكتاب متوسط الحجم عنوانه «الإسلام وأوضاعنا القانونية» للقاضى الشهيد عبد القادر عودة.. قرأته فإذا الرجل قد أودع فيه عصارة نفسه، وحشاشة قلبه.. أخذ الكتاب بمجامع قلبى، وتعلمت منه ما قصرت عنه كتب القانون على وفرتها وغزارة مادتها.

لقد وجدتني أمام نمط من الفكر الأسر، وأدركت الفرق بين ما كتبه

د . طه حسين والعقاد والمازني، وكنت مغرماً بأدبياتهم حتى حفظت فقرات كاملة مما كتبه عميد الأدب متأثراً بالمنهج الغربي، وهو لون يغير منهج عبد القادر عودة المستمد من هدى الإسلام.. وأضع بين يدي القارئ نموذجاً لكل من الرجلين.

يقول العميد: أيتها الحسناء المصونة، والعذراء المكنونة.. لا يغرنك خدك الأثيل، وخصرك النحيل.. لا يغرنك وجهك الذي تبارين به ضوء النهار، وشعرك الذي تباهين به فحمة الليل.. فإن زهرك إلى ذبول، ونجمك إلى أفول، واعلمي أن الحمام سيصوب إليك سهماً لا يطيش، ونصلاً لا يخطيء.

ويقول في موطن آخر: وأسفاه لنار الشبيبة حين تخبو، فلن أجد عنها عزاءً ولا سلوى مهما ترتفع بي المنزلة، ولو نص لي بين النجوم خباء، ذلك أن الشبيبة وحدها هي التي تتيح لي اقتضاء لذاتي واكتساب حاجاتي، فإذا انقضت فلا أمل في لذة، ولا مطمع في قضاء حاجة.. أليس لكل عمل قدر قدر به، ووقت أتيح فيه؟.. فليس بعد الخامسة عشرة طفولة ولا صبا، ولا بعد الأربعين مرح ولا مجون..

أقصى ما يستفاد من الفقرة الأولى، أنها تحذر الفتاة من الافتتان بجمالها، فإن مصيرها إلى الزناء.. أما الفقرة الثانية، فهي دعوة صريحة إلى اغتنام مرحلة الشباب في اقتناص اللذات في مرح ومجون.. وأليس د. طه حسين هو القائل في كتابه «مستقبل الثقافة»: لا سبيل إلى الترقى إلا إذا أخذنا بالحضارة الغربية حلوها ومرها، ما يحمد منها وما يعاب، وما يذم منها وما يمدح.. وهو صاحب كتاب «الشعر الجاهلي» المليء بالطعن

على الإسلام وعلى كتاب الله العزيز، والاستهزاء بسيرة أعظم المرسلين،
وتشويه تاريخ الصحابة .. إلخ .

فماذا عما كتبه عبد القادر عودة القاضى الشهيد؟ .. لا أضن على
القارىء بطرف يسير مما قرأته وحفظته .. يقول فى مستهل كتابه « الإسلام
وأوضاعنا القانونية » بعد المقدمة : « ونبلى بعد ذلك واجب أرجو أن أوفق
فيه، واجب الاعتذار إلى القانون .. ومن أولى منى بالاعتذار للقانون،
ووظيفتى أن أقوم بتفسيره وتطبيقه والتمكين له وحياطته من العدوان
والامتهان !!؟

إنى أعتذر للقانون لأهاجم القوانين، أعتذر للقانون باعتباره معنى،
وأهاجم من القانون النص والمبنى .

معذرة إلى القانون إذا ما هاجمت، وأنا من سدنته، أو كشفت للناس ما
يخفى عليهم من حقيقته، أو فسرتة تفسيراً يذهب بجلاله، ويهون على
الناس من شأنه، ويغريهم بمناواته .

« إن الدستور الأساسى للمسلم هو الشريعة الإسلامية، فكل قانون
وضعى جاء متفقاً مع نصوصها مسائراً لمبادئها العامة أو روحها التشريعية
فهو على العين والرأس يطيعه المسلم بأمر الله، وكل قانون جاء على خلاف
ذلك فهو فى الرغام وتحت الأقدام، ولا كرامة لما يخالف الإسلام، ولا طاعة
لمخلوق فى معصية الله .»

« إن مصر الإسلامية وعلى رأسها ملك مسلم ولها حكومة إسلامية،
حرصت على أن تعلن أن دين الدولة الرسمى الإسلام، ونصت على ذلك

فى دستورها، ووكلت إلى اءءولة أن تشرف على كل شءون الإسلام، فسيطرت الءولة على الءءلیم والءءقیف الإسلامى، وعلى ءور العباءة والأوقاف الإسلامیة، وءعلت الءولة نفسها مهیمنة على تطبیق المبادئ الإسلامیة فى الاءءماع والاقتصاد والآءاب والأءلاق وشءون الءكم والسیاسة وءیرها ولىس فى اءءصاص الءكومة الإسلامیة والءولة الإسلامیة بهذا كله ما یءالف أءكام الإسلام.

ولكن ءكومة مصر الإسلامیة لم یمنعها إسلامها الذى ءطنطن به وءعلنه فى الوثائق الرسمىة من أن ءعطل شرائع الإسلام». .

«إن أناساً سءءمر أنوفهم عنءما یقرأون هذا الكلام غضباً وءمیة لأصنام العصر الءاضر، وما الأصنام إلا هذه القوانین الءى هم علیها عاكفون، هذه القوانین الءى یطیعها المسلمون فیما یغضب الله، وءءرم بها الءكومات الإسلامیة ما أءل الله وءءل ما ءرم الله.

إنهم سیغضبون لأن كاهناً من كهنة هذه الأصنام قد عققها وكفر بها. . وسیعجبون كیف أن قاضياً من ءءام القانون یءاءم القانون ویكفر بالقانون. . وسیءنادون من كل مكان ءءوا على ید هذا الرجل قبل أن یءطم أصنامكم ویءءم نظامكم، ولكنه نءاء الإیمان، إنه الكفءاح فى سبیل الإسلام، إنه ءءاء. . ءءاء نءقرب به إلى الله». .

ثم یسوق ءءیء رسول الله ﷺ : «أفضل الءءاء كلمة ءق عنء سلطان ءائر» (رواه أبو ءاوء والءرمذى ولنسائى وابن ماءه).

لم أءء ءیاراً إلا الانءیاز إلى هذا الفكر المؤمن الذى بئءه ءسن البنا فى

قلوب تلاميذه، ورحلت أتابع في نهم مؤلفات الشهيد عبد القادر من مثل: (الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه، الإسلام والمال، الإسلام والحكم.. ثم مؤلفه الفذ «التشريع الجنائي الإسلامى مقارناً بالقوانين الوضعية» ويقع فى مجلدين كبيرين).

ولم يكن عجباً أن يحظى الرجل باشهادة كما تمنى، حين صدع بقولة الحق فى وجه الطغاة عالية مدوية هى مظاهرة عابدين يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٤، والتي جرّته إلى حبل المشنقة فى نفس السنة بعد تمثيلية المنشية المشهورة، فهنيئاً له منزلته فى اللجنة بين حمزة وجعفر.

كان حسن البناء قد ألقى إلى بالخيط فى أول لقاء سمعته فيه، فجاءت الأحداث التي انتهت بقتله فقطعت، هذا الخيط، حتى كان عبد القادر عودة فوصل بكتابات ما انقطع.

ومن تأثرت بهم فى طريقى إلى الدعوة، شاعر شاب موهوب من شبرا (رشيد أبو مرة) له ديوان قرّظهُ الإمام الشهيد فى الأربعينيات، قدّم الشاعر ديوانه بهذه الأبيات يصف شارة الإخوان:

علم الإخاء سَطَعَتْ فى الأرجاء

تمحور بنورك حلقة الظلماء

فجملت من صور الجهاد إشارة

تبانى مسلطة على الأعداء

سيفان بينهما الكتاب كأنه

رمز يطمئن مرقد الشهداء

وفى ذكرى غزوة بدر يقول:

خبر غزاة الغرب مهما غرهم

عدد الجنود فزاحموا الميدانا

أو حلقوا بالطائرات ندمروا

بقنابل ذرية بلدانا

أو حاولوا بمناورات خدعنا

أو أطلقوا طربيدهم نيرانا

أو أيدوا جشع اليهود فأنشأوا

وطناً لهم أو حرضوا ترومانا

خبر غزاة الغرب مهما أسرفوا

لا دين عندهم ولا إيماننا

إن الألى كانوا بـدر قلة

لكنهم قد زلزلوا الأكوانا

فبهم أعز الله دين نبيه

وبهم أباد الشرك والطغيانا

كانوا إذا نودوا كأقوم حزمة

جُسمعت ولم يتفرقوا وُحدانا

كانوا يُلقَوْنَ المنِيَّةَ مثلما

يرد الندى، ليَقْبِلُ الأَغصَانَا

* * *

صف لى بربك جند ربك هل بدا

جبريل فى صف الجنود عيانا

وانضم للعدد القليل فشتتوا

شمل الكثير وجندلوا الفرسانا

عجبا يخاطب أحمد أعداءه الـ

قتلى فيسمع منهم الآذانا

أهل القليب كما عصيتم ربكم

ذوقوا العذاب من الحميم الآنَا

مُت يا أبا جهل كعتبة ظالماً

فلسوف تُحشر كافرأ شيطانَا

حاربتم الله القسوى وجنده

هل كان كفركمو لكم معوانَا

ضلت عقولكمو فساء مصيركم

وحُرتمو نور الهدى حرمانَا

الله يخلق ما يشاء ويجتسبى

سبحان ربك علم الإنسانا

هذى فلسطين الشهيدة تشتكى

خطراً يهدد أختها لبنانا

والإندونيسيون تحرق أرضهم

نار أصاب لهيبها إيرانا

قوم أرادوا بالعروبة سوءة

حتى أضاعوا مصر والسودانا

فلهم أعدوا ما استطعتم جهدكم

من قوة واستشعروا الإيماننا

يا قومنا لمن نجن من علمائنا

إلا العظوات تخللت رمضانا

يا قومنا لم نجن من وجهائنا

إلا ثراءهمو.. فما أشقانا

يا قومنا لم نجن من زعمائنا

إلا التنابز بينهم شنآنا

لقيت مطالب مصر منهم مثلما
لقى الشجى من الخلى وعانى
لا كانت الأوطان ما لم ناتمس
دينا يُحـصن هذه الأوطانا
فالحكم بالقرآن أعدل مطلب
وحماية الدين الحنيف حمانا

* * *

ومن روائع ما نظمه هذا الشاعر الفذ، قصيدة يؤيد فيها الحجاب،
ويحمل على إباحة السفور:

يا هند غُضِي الطرف عن شبح الهوى
وحذار أن تستقبليه.. حذار
لا تكشفى عن لحظ فاتنة ولا
تتمدى كشف الحجاب ودارى
ردى إلى ضاحى المحيا سترة
كالليل فوق نمير نهر جارى
إن السفور إذا استبيح ضلالة
كبرى، وكل ضلالة فى النار

خُبِّرت أن بقربكن شقاوة
وبوصلكن بواعث الأوزار
وسبرت غور جراح كل متيم
في حُبِّكن بعيده الأغرور
إلا اللواتى عند حسن مظنتى
يفغضضن عند ترامق الأبخار
المسلمات القانات التائبيا
ت العاملات على اجتناب العار
طوبى لهن.. لهن ربح تجارة
وتجارة التقوى لغير بوار

* * *

رجل والرجال قليل

الأخ الكريم الأستاذ محمد كمال إبراهيم المحامى - رحمه الله - رفيق
الدرب وزميل الدراسة، لقيته بكية الحقوق - جامعة إبراهيم باشا (عين
شمس الآن) ووثقت الدعوة بيننا، وجمعتنا سجون مصر عام ١٩٥٤،
١٩٦٥، فزادت الرابطة قوة ورسوخاً، وعقب الإفراج عنا عام ١٩٧١
رحل إلى الكويت للعمل، ولم يلبث أن بعث إلى بزيارة عمل، وشاء الله
أن نقضى هناك أكثر من خمس عشرة سنة، كان خلالها مثال المؤمن

السخى الذى لا يبخل على من حوله، القريب منهم والبعيد، فكان أنفع الناس للناس، لا يرد صاحب حاجة، يكسب المعدوم ويقرى الضيف وتلك أبرز خصاله، ويعين على نوائب الدهر، فيغيث الملهوف ويكسو العارى ويطعم الجائع ويحنو على الأرملة واليتيم، ويسعى جاهداً لتشغيل من يقصده من الوافدين، بما له من حظوة لدى كبار الكويتيين الذين أحبه وأكبروه.

يحدثنى فيقول: والله يا أخ أحمد لو لقينى فى عرض الطريق صاحب حاجة أياً كانت جنسيته أو مذهبه لما ترددت فى السعى له فإن قضى الله حاجته كنت أسعد الناس وإلا فحسبى أننى سعيت وأرحت ضميرى.

كان محبوباً من الجميع، فهو أخ للكبير، وأب للصغير، وكان بيته قبلة لكل قاصد، لا يكاد يخلو من الدعاة والمدعوين، ولا يكاد يفرغ من طعام إلا إلى شراب، ومن هذا إلى ذاك... ومع ذلك كله فهو حركة دائبة لا تنى، وشعلة من نشاط لا تخبو، وإن شئت قلت: كان لله ولدعوته بكليته، وكان كما قلت: أنفع الناس للناس، فبكى لموته خلق كثيرون من الأراذل واليتامى وذوو الحاجات والمعوزون وغيرهم من عارفى فضله ومحبيه، وصدق فيه قول الشاعر:

كريم كريم الأمهات مهذب

تدفق كفاه الندى وشمائله

جواد بسيط الكف حتى لوأنه

ثناها لقبض لم تجبه أنامله

ولو لم يكن في كفه غير روحه
لجاد بها، فليثق الله سائله
هو البحر من أي النواحي أتيته
فلجته المعروف والجود ساحله
رحمه الله رحمة واسعة، وأجزل له الأجر والثوبة، لقاء ما قدم وبذل
وخلفه في عقبه بخير ما يخلف به عباده الصالحين.

الهضيبي مرشداً

١٩ أكتوبر ١٩٥١

كان لقب الهضيبي غريباً على مسامع الغالبية العظمى من الإخوان، ولم يكن له ذلك البريق الذي يتمتع به كثير من رموز الإخوان من أمثال الشيخ محمد الغزالي والأستاذ صالح ع شماوي والأستاذ عبد الحكيم عابدين وغيرهم، وكلهم دعاة مبررون وخطباء مفوهون .

ولما برز اسمه على صفحات الجرائد كمرشح لمنصب المرشد العام نكره الكثيرون، فلم تكن تسمع به إلا القلة من الإخوان القريبين من الإمام الشهيد .

وفي ليلة من ليالي شهر أكتوبر ١٩٥١ أذيع أن حفلاً سيقام بالمركز العام المؤقت (٢٢ شارع صبرى بالظاهر) لتنصيب الأستاذ الهضيبي ومبايعته مرشداً عاماً خلفاً للإمام الشهيد .. هرعنا إلى مكان الحفل وكلنا شوق لسماع المرشد الجديد، وكان قد استقال من منصبه كمستشار بمحكمة النقض والإبرام .. وافتتح الحفل بآيات من القرآن الكريم، وقدم الأستاذ عبد الحكيم عابدين المرشد المرتقب، بكلمة قصيرة، ثم نهض بعده الأستاذ الهضيبي، فحمد الله وأثنى عليه، وترحم على الإمام البنا، ثم لم يزد على أن قال :

أيها الإخوان .. هذا أول لقاء بيني وبينكم، ويسعدني أن أوصيكم بتقوى الله وطاعته، والإقبال على الله بقلوب خاشعة، ونفوس مخلصه، وترتيل القرآن الكريم، وأن تستعدوا في هذه الظروف التي تمر بها بلادنا، والله معنا ينصرنا ويوفقنا .. تاركاً للأخ الأستاذ سعيد رمضان ليلهب مشاعر الإخوان كعادته .

وفي تلك الظروف، كانت مقاومة الاحتلال على أشدها، بعد أن ألغى النحاس باشا معاهدة ١٩٣٦ .. وخرجت الصحف تنعى على الأستاذ الهضيبي سلبيته في الإعراض عن القضية الساخنة واكتفاءه بتوجيه الإخوان إلى تلاوة القرآن وإلى طاعة الله .

عدنا في تلك الليلة وقد عصر الغم قلوبنا ننعى حظ الدعوة، وكنا إذ ذاك طلاباً تعوزنا التجربة، وتستهوينا الخطب الحماسية، خاصة بعد أن خطب الأستاذ سعيد رمضان الداعية الموهوب، وكنا على عهد الإمام نطلق عليه المرشد الصغير .

تكلم الأستاذ سعيد رمضان وأفاض فأشعل الحماس وأخذ بمجامع القلوب حتى قلنا ليلتها: إن الأخ سعيد رمضان كان أجدر بهذا المنصب من ذلك الرجل الذي لا يحسن الكلام، ونسينا في ثورة وحماس الشباب أن الله يختار لدعوته وهو سبحانه ﴿...أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]

وبقينا مدة طويلة غير مقتنعين بقيادة الرجل لهذه الجماعة التي هي أمل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وفي صدورنا من الهم ما فيها،

ولكننا على كره منا خضعنا للأمر الواقع، واعترفنا بقيادة الرجل على مضض، حفاظاً على كيان الجماعة «اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة».. وما كنا ندرى أن الله قد ادخره لأيام عصيبة تجعل الولدان شيباً، وما كان لأحد غير الأستاذ الهضيبي القدرة على مواجهتها، ورأينا بأعيننا الرموز التي كانت شامخة قد انكفأت على ذاتها، وبقي الرجل الكتوم الذي لا يحسن الكلام ليقف في صلابة نادرة في وجه أعتى حكم عسكري تتضاءل بجانبه جحافل جيش الاحتلال الإنجليزي التي ارتكبت حادثة دنشواي في مستهل هذا القرن، والتي استثمارها شهيد الوطن بحق الزعيم مصطفى كامل، فأقام الدنيا وأقعدها وأخرج بريطانيا محلياً وعالمياً، تلك الحادثة التي شق الإنجليز فيها أربعة وسجنوا وجلدوا قرابة العشرين من المواطنين العزل الأبرياء.. فجاء انقلاب يوليو ١٩٥٢ ليقهر الأمة كلها، ويدوسها تحت أقدامه، ويزج بالآلاف من خيرة رجال الأمة وشبابها في السجون والمنافي حتى أمضى بعضهم قرابة عشرين سنة، وعلّق على أعواد المشانق العشرات من مفكري الأمة وروادها من أمثال الشهداء عبد القادر عودة وسيد قطب والشيخ محمد فرغلي وإخوانهم ممن دفنوا في جبل المقطم.. ناهيك عن شهداء مذبحه طرة التي قتل فيها في ساعات قلائل ثلاثة وعشرون من خلاصة شباب الدعوة العزل رمياً بالرصاص.. ووقف عبد الناصر في إحدى خطبه على الملأ يزهو بأنه قبض على (١٨٠٠٠) من الإخوان المسلمين في ليلة واحدة.

وقفة:

أيام الاحتلال الإنجليزي كانت الجماعات والهيئات والجامعات والمدارس

تخرج متظاهرة تندد بالاحتلال، وتلعن أيامه السود، فتتجاوب مشاعر الأمة كلها، وتسمع عبارات التشجيع على السنة الطوائف جميعها: الله يقويكم .. الله معكم .. فالجميع وطنيون .. والإنجليز غاصبون .

أما فى ظل حكم الانقلاب .. وإن شئت قلت «الاحتلال الوطنى» فإن القائمين على الأمر وطنيون مسلمون، والأمة كلها -إلا من شايعهم وسار فى ركابهم- خونة .. مارقون .. أعداء للأمة .. انتهازيون .. متطرفون!! ..

وسرت مقولات نادى بها الزعيم الأوحى :

* الحرية .. كل الحرية للشعب .. ولا حرية لأعداء الشعب .

* ارفع رأسك يا أخى، فقد مضى عهد الاستعباد .

وتلك هى المعادلة الصعبة التى تواجه الحركة الإسلامية، وهى بحمد الله جديرة باجتيازها والتغلب على ما يصادفها من عقبات، بما أوتيت من إيمان وقوة صبر وحسن إدراك وبصيرة .. وقبل ذلك كله وبعده، الاعتصام بحبل الله، ولزوم صراطه المستقيم .

مواقف تاريخية :

ونمضى مع الأستاذ الهضيبى فى صلابته فى وجه الحكم العسكرى الغاشم، ومواقفه الفذة التى تسجل بحروف من نور، وهى مذكورة له عند الله إن شاء الله ليثقل بها ميزانه ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء : ٨٨ ، ٨٩] .

١- حين فكر عبد الناصر أول الأمر فى احتواء الجماعة ليضمن لنفسه

حكم مصر بلا عوائق، إذ كان يدرك تماماً أن الإخوان هم القوة التي تقف حجر عثرة في طريقه، فعرض عليهم الاشتراك في الحكم، فجاء القول الفصل على لسان المرشد: «نحن لا يهمنا أن ندخل الحكم بأشخاصنا .. ولكن بمبادئنا، فإذا حكمت مبادئنا فلا فرق عندنا يومئذ أن نكون في الحكم بأشخاصنا أو لا نكون .. وإذا لم تحكم هذه المبادئ تابعنا عملنا في سبيلها لنصل إلى الحكم على المدى الأطول، وعن طريق القناعة التامة بها، ونحن نعتقد أن طريقنا ليس بلطريق السهل اليسير..!!».

(٢) ثم حين أقدم على حل الجماعة في يناير ١٩٥٤ واعتقل المرشد مع إخوانه، وألصق بالجماعة ورجالها أشنع التهم، أخسها اتصالهم بالإنجليز.. فاجأ الأستاذ الهضيبي الأمة بل الدنيا كلها بما لم يكن في الحسبان، حين أرسل من محبسه خطاباً إلى رجال الانقلاب قلب أفكارنا رأساً على عقب، نشبته هنا لعل فيه درساً نافعاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

السيد الرئيس اللواء أركان حرب: محمد نجيب

رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس مجلس الوزراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد .. فإن مجلس قيادة الثورة قد أصدر قراراً في ١٢ يناير سنة ١٩٥٤ بأن يجرى على جماعة الإخوان المسلمين قانون حل الأحزاب السياسية. ومع ما في هذا القرار من مخالفة لمنطوق القانون ومفهومه، فقد

صدر بيان نسب إلينا فيه أفحش الوقائع وأكثرها اجترأ على الحق . وقد حيل بيننا وبين مناقشته والرد عليه . واعتقلنا ولم نخبر بأمر الاعتقال ولا بأسبابه . وقيل يومئذ إن التحقيق فى الوقائع التى ذكرت به سيجرى علناً، واستبشرنا بهذا القول، لأننا انتظرنا أن تتاح لنا فرصة الرد عليه لنبين أن ما اشتمل عليه كله على الصورة التى جاءت به لاحقيقة له، فيعرف كل إنسان قدره ويقف عند حده، ولكن ذلك لم يحصل .

وإلى أن تتاح لنا الفرصة، فإننا ندعوكم وندعو كل من اتهمنا وندعو أنفسنا إلى ما أمر الله تعالى به رسوله عليه الصلاة والسلام حين قال ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لُغْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١] .

وقد استمرت حركة الاعتقالات شهرين كاملين حتى امتلأت المعتقلات والسجون بطائفة من أطهر رجالات البلد وشبابها بلغوا عدة آلاف، لكثير منهم مواقف فى الدفاع عن البلاد وعن حرياتنا شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ولم يكتفوا بالكلام كما يفعل كثير من الناس، أما كيفية الاعتقالات ومعاملة المعتقلين فلن نعرض لها هنا .

وقد بدت فى مصر بوادر حركة إن صحت فسوف تغير من شئونها وأنظمتها، وقرار حل الإخوان وإن أنزل اللافتات عن دورهم، فإنه لم يغير الحقيقة الواقعة، وهى أن الإخوان المسلمين لا يمكن حلهم لأن الرابطة التى تربط بينهم هى الاعتصام بحبل الله المتين وهى أقوى من كل قوة .

وما زالت هذه الرابطة قائمة ولن تزال كذلك بإذن الله . ومصر ليست ملكاً لفئة معينة، ولا حق لأحد أن يفرض وصايته عليها ولا أن يتصرف في شؤونها دون الرجوع إليها والنزول على إرادتها . . لذلك كان من أوجب الواجبات على الإخوان المسلمين أن يذكروكم بأنه لا يمكن أن يبت في شؤون البلاد في غيبتهم . . وكل ما يحصل من هذا القبيل لن يكون له أثر في استقرار الأحوال ولا يقيد البلاد بشيء .

وأن ما دعوتكم إليه من الاتحاد وجمع الصفوف لا يتفق وهذه الأحوال، فإن البلاد لا يمكن أن تتحد وتجتمع صفوفها وهذه المظالم وأمثالها قائمة . نسأل الله تعالى أن يقى البلاد كل سوء، وأن يسلك بنا سبيل الصدق في القول والعمل، وأن يهدينا إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حسن الهضيبي

المرشد العام للإخوان المسلمين

كان لهذا الخطاب الذي أرسله الأستاذ الهضيبي إلى رجال الانقلاب من داخل السجن الحربى دوى هائل، تناقلته وكالات الأنباء المحلية والعالمية بالشرح والتحليل، واضطر جمال عبد الناصر إلى الإفراج عن الإخوان فى ٢٥ مارس ١٩٥٤، وحين تقرر الإفراج توجه الصاغ صلاح سالم لمقابلة المرشد فى السجن الحربى لإبلاغه بقرار الإفراج، فرد عليه الأستاذ الهضيبي قائلاً: إنكم وجهتم إلى الجماعة تهماً باطلة وأنا نرفض هذا الإفراج ما لم يصدر بيان رسمى ينفى كل ما جاء فى قرار الحل، فرد صلاح سالم

بالموافقة وأنه سيصدر قرار فى ذلرف ٢٤ ساعة . . رد الأستاذ الهضيبى :
ونحن باقون هنا حتى يصدر القرار، فأقسم الصاغ بشرفه العسكرى أن
القرار سيصدر اليوم، وخرج الإخوان، ولم يصدر القرار، إلا أن جمال
عبد الناصر توجه إلى منزل المرشد معتذراً على مرأى ومسمع من
الحاضرين، ونشر ذلك كله فى الصحف وأذاعته وكالات الأنباء .

درس : يذكرنا هذا الموقف بموقف نبي الله يوسف الصديق عليه السلام
حين بعث الملك إليه بمن يأتيه به، فرفض نبي الله مغادرة السجن حتى
تظهر براءته أمام الملأ . . وفى هذا المعنى يحدثنا القرآن الكريم : ﴿ وَقَالَ
الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ
الَّتِي قُطِّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٠] .

فاستجاب الملك لرغبة الصديق واستدعى على الفور هؤلاء النسوة
وسألهن : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَتْنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا
عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ
لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [يوسف : ٥١] .

(٣) وفى أعقاب الإفراج عن الإخوان فى مارس ١٩٥٤ ، واعتذار
عبد الناصر للمرشد كما أسلفنا، عادت العلاقات إلى التوتر بصورة أشد،
وراح عبد الناصر يتحرش بالجماعة فى شخص مرشدها من خلال خطبه
وتصريحاته، ويوعز لحملة المباخر من الصحفيين ممن باعوا أقلامهم
للشيطان بتشديد الحملة . . جاءت كلمات المرشد كالحمم :

« أريد أن أبصرك بأن هذه الأمة قد ضاقت بخنق حريرتها، وكنتم أنفاسها، وإنها في حاجة إلى بصيص من نور يجعلها تؤمن بأنكم تسلكون بها سبل الخير، وأن غيركم يسلكون بها سبل الشر والهدم والتدمير إلى آخر ما تنسبون إليهم.. إن الأمة في حاجة الآن إلى القوات الضرورية.. القوات الذي يزيل عن نفسها الهم والغم والكرب.. إنها في حاجة إلى حرية القول، فمهما قلتكم أنكم أغدقتم عليها من خير، فإنها لن تصدق إلا إذا سمحتم لها بأن تقول أين الخير وسمحتم لها بأن تراه، ومهما قلتكم إنكم تحكمونها حكماً ديموقراطياً، فإنها لن تصدق لأنها محرومة من نعمة الكلام والتعبير عن الرأي... »

إن الأمة قد ضاقت بحرمانها من حريرتها فأعيدوا إليها حقها في الحياة .
وخير لكم وللأمة ألا تخذعوا أنفسكم عن الحقائق، فإن الأمة قد بلغت من حسن الرأي ومن النضج مبلغاً يسمح لها بأن لا يتصرف أحد في شئونها دون الرجوع إليها والأخذ برأيها... » .

(٤) عقب تمثيلية المنشية واتجاه النية إلى محاكمة الإخوان وعلى رأسهم المرشد، عمدت إدارة السجن إلى إرهاب المعتقلين بفرض طوابير عنيفة طوال اليوم عدا فترة قصيرة وقت الظهيرة، وخص الأستاذ الهضيبي فوق ذلك بمطاردة النوم من عينيه، فكان كلما هدأ من الليل أيقظته لسعات السياط على ظهور الإخوان وأقلقتهم صرخاتهم، وقد تعمد القوم أن يكون ميدان التعذيب خلف نافذة الزنزانة التي يرقد فيها الأستاذ حتى يذهب والإخوان إلى المحكمة مرهقين مكدودين فلا يصمدون أمام صولة الباطل .

يقول الأستاذ الهضيبي: لم أكن أنام خلال اليوم فضلاً عن الطوابير المرهقة سوى ساعة أو بعض الساعة حين يذهب الجلادون ليستريحوا، وأحسست بقوة عجيبة أثناء المحاكمة.. وإليك ما نشرته الجرائد.

* أثناء محاكمة المرشد، وقف ليواجه الاتهامات، فأشار إليه رئيس المحكمة قائد الجناح جمال سالم أن يجلس، فأبى الرجل إلا أن يظل واقفاً قرابة ٦ ساعات قاصداً بذلك - وكمال قال - رفع الروح المعنوية للإخوان.. كرر رئيس المحكمة عرضه، فأصر المرشد على أنه يستريح واقفاً رغم تخطيه سن الستين.

فلم يجد رئيس المحكمة بدأً من إعلان فترة استراحة ربما ليستريح هو وهيئة المحكمة، ولما استؤنفت الجلسة وجه جمال سالم إلى المرشد كلامه قائلاً: لعلك استرحت.. كان الرد البديهي أن يقول المرشد: الحمد لله، كثر خيرك.. لكن الرجل القائد فاجأ الجميع بما لم يكن في الحسبان.. قال وكاهله ينوء بمتاعب ٦٠ عاماً ختمت بأيام عصيبة تربو على مصاعب الستين:

« هيه... الظاهر لما الواحد بيقعد بيحل عليه التعب!!! ».

* انتدبت المحكمة الأستاذ حمادة الناحل المحامي للمرافعة عن المتهم الأول، وكان الأمر يستدعي اعتبار الأستاذ الهضيبي كشاهد في القضية، وكان بين هذا المحامي والأستاذ الهضيبي شبه خصومة حين عرض على المرشد - أثناء نظر قضية كان الناحل وكيلاً فيها عن أحد المتهمين أمام دائرة الأستاذ الهضيبي وفي فترة المداولة - أن يتوسط له لدى وزير العدل

صديق الناحل لترقيته، فثار الأستاذ الهضيبي عليه وأخرجه من قاعة
المدافلة.

وكان رجال الانقلاب يعرفون هذه الواقعة فعمدوا إلى أن يكون حمادة
الناحل محامياً في القضية ليشفى غليله من المرشد.. ولكن أنى للشعلب
أن يزأر في مواجهة الأسد!!..

أسرف حمادة الناحل في توجيه الأسئلة للمرشد، علاوة على مناقشة
المحكمة وأسئلة سلطة الاتهام، وكانت إجابات الأستاذ الهضيبي التي
لا يملها لا أدري.. لا أذكر.. مما أثار حفيظة الناحل الذي صاح بأعلى
صوته: دا كلام؟ هو معقول إن رئيس أكبر هيئة إسلامية في العالم يعتصم
بالسلبية المطلقة ويقول: لا أدري.. لا أذكر.. فيرد الأستاذ الهضيبي
بهدوئه المعهود: يا ابني أصل أنا أصبت بشلل نصفي في الأربعينيات
أضعف ذاكرتي.

(٥) أوفد رجال الانقلاب الأستاذ محمد فؤاد جلال وزير الإرشاد
القومي في ذلك العهد، وكان صديقاً للأستاذ الهضيبي ليساومه في شأن
الإفراج عنه وعن الإخوان إذا أصدر المرشد بياناً يعتذر فيه عن الأحداث
لتهدأ الخواطر.. وكان رد الأستاذ الهضيبي بليغاً ومُسكِّتاً حين أفضى إلى
الأستاذ فؤاد جلال أنه لا مانع لديه من كتابة البيان، ولكنه يرغب في
تمكينه من اللقاء بالإخوة: عبد القادر عودة، والشيخ محمد فرغلي،
ويوسف طلعت، وإبراهيم الطيب وغيرهم ممن نفذ فيهم حكم الإعدام
شنقاً قبل ذلك بشهور!! . فعاد فؤاد جلال يخبرهم بجواب الأستاذ الذي
حمل السخرية من هذا العرض الفج.. وأى سخرية أعظم من طلب

الأستاذ مقابلة إخوة يعلم أنهم أفضوا إلى ربهم شهداء على يد هؤلاء الطواغيت .. وهذا معناه: إذا خرج هؤلاء من قبورهم أكتب البيان المطلوب .. يا للرجل العملاق!! ..

والأستاذ الهضيبي وحده سجل حافل بالمواقف الصلبة، ويحتاج إلى من يجلى تاريخه ممن عايشوه عن قرب، وسبروا غوره كرجل قاد الدعوة في ظل ظروف حرجة تواطأت عليها قوى الشر في الداخل والخارج، وزاد من حرج تلك المرحلة خروج فئات، من داخل الصف عليه ومناواته، غذاها جمال عبد الناصر بالعداء للرجل حتى يمكن القول: إنه عانى من رجال داخل الصف أضعاف أضعاف ما عانى من خارج الصف.

وليت الأستاذ الهضيبي ترك لنا مذكراته لعلها تلقي الضوء على كثير من المواقف، ولكن أنى لهذا الرجل الذى يكره الظهور وينفر من حب الذات أن يفعل، وهو الذى - إيماناً منه فى تقليل شأن نفسه - أوصى بأن يدفن فى مقابر الصدقة فى صمت دون ضجة أو إعلان، ولو شاء لكان له قبر سامق شامخ، وجرت أنهار الصحف فى رثائه ونعيه.

ونترك للداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - ليعبر عن رأيه فى الرجل الذى اختلف معه فى رأى وكانت محنة.

يقول الشيخ محمد الغزالي فى كتابه «قذائف الحق»:

« من أيام مات الأستاذ حسن الهضيبي المرشد الثانى لجماعة الإخوان المسلمين، وبلغنى وصيته، لقا. أوصى أن يدفن خفية، لا إعلان، ولا مواكب، وطلب أن يوارى جثمانه فى مقابر الصدقة.

وعقدت لسانى الدهشة وأنا أسمع العبارة الأخيرة.. في مقابر
الصدقة.

إننى أعرف حسن الهضيبى، وقد أصلحت ما بينى وبينه قبل أن يموت
بنحو عامين...

فى نفس هذا الرجل ترفع وأنفة لا يتكلفها، وهو إذا اعتقد شيئاً
استمات فيه دون لف أو مكر...

قلت : لماذا مقابر الصدقة؟!...

ولم يغب عنى الجواب.. لقد كان مستشاراً راسخ المكانة رفيع
الهامة.. لو اشتغل بمهاجمة الشريعة الإسلامية لنال جائزة الدولة
التشجيعية التى نالها غيره.

ولو خدم الغزو الثقافى لعاش فى شيخوخته موفور الراحة مكفول
الرزق.. ولكنه خدم الإسلام.. فتجرع الصاب والعلقم.. طعن مع الدين
الجريح.. وأهين مع الدين المهان.. فأراد أن تصحبه هذه المكانة فى منقلبه
إلى الله...!!

فليدفن فى مقابر الصدقة مع النكرات التى لا يباليها المجتمع.. فليدفن
مع أناس أسلموا أرواحهم فى غرفات السجن الحربى وهم رازحون تحت
وطأة عذاب تنوء به الجبال.

من توجيهاته إبان المحنة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوتنا. إلى يوم الدين.

أيها الإخوان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فأسأل الله تبارك وتعالى أن تكونوا على خير ما يحب الله لعباده المؤمنين المجاهدين من الصبر والاحتساب، وأن ينزل السكينة في قلوبكم لتزدادوا إيماناً مع إيمانكم، ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً.

إن دعوة الإخوان المسلمين – وهي دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام لم تزد عليها ولم تنقص – كانت ولا تزال صراعاً بين الحق والباطل، بين الإيمان والإلحاد، بين المعروف والمنكر، بين العقل والهوى، بين الخلق القويم والتحليل الذميم، بين الإنسانية الفاضلة والأنانية الخاسرة، من أجل ذلك كانت بحاجة إلى جهاد قوم مؤمنين يخلصون لله دينهم ويهبونه أرواحهم طيبة بذلك نفوسهم. لا تزيبهم المحن إلا ثباتاً على حقهم وازدراء للباطل خصومهم، وكانوا في عزائمهم أشد وأقوى، وإلى ربهم أقرب وأدنى، وبانتصارهم يؤمنون، وعلى ربهم يتوكلون ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْءٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

وإني مذكركم - فالذكرى تنفع المؤمنين - ببعض ما توحى به الظروف التي خلقها بعض أعداء الدعوة حتى تكونوا على بينة من طريقكم الحق، ولا تجروا مع خصوم دعوتكم فيما جروا فيه من الإثم والبغى بغير الحق افتراء على الله، أذكركم بالصدق في القول والعمل وترك الجدل واللجاجة مع المخالفين. اصدقوا أنفسكم وصدقوا الله وصدقوا الناس ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

إن خصوم الدعوة توهموا أنهم بأكاذيبهم يغلبون حقاكم فاتهموا السرائر واختلقوا الوقائع وأخفوا الحقائق ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧١]، قيل: يارسول الله أيكون المؤمن جباناً؟ .. قال: نعم، قيل: أيكون بخيلاً؟ .. قال: نعم، قيل: أيكون كذاباً؟ .. قال: لا ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥].

فلا تهنوا ولا تحزنوا.. فلن يبلغ الكذب من دعوتكم شيئاً، إنكم على الحق بإذن الله، ولن يخلف الله وعده ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١] وقد ذكرناهم بالحق فكرهوه وضاقوا به صدورهم وظنوا أن الكذب ينجيهم، والله تعالى يقول ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ [طه: ٦١].

وليس الكذب على الأشخاص وحدهم، فقد حرص خصوم دعوتكم على أن ينسبوا أخطاء المسلمين في بعض العصور إلى الدين نفسه، وظنوا

أن ذلك يصرفكم عن دعوتكم إلى الإسلام ديناً ودولة ...

فانتبهوا لما توحى به هذه الاتجاهات، وتفهموا ما وراء هذا مما يضمه
المبطلون ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

أيها الإخوان ...

اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

أخوكم حسن الهضيبي

المرشد العام للإخوان المسلمين

(٦) في عام ١٩٥٧ قررت لجنة من أطباء مسيحيين أن حالة المرشد
تنذر بالهلاك وأفرج عنه صعباً.

لكن القائد الذي يدرك بوعى تبعات القيادة تجاه الجنود أخذه الحنين
إلى إخوانه وأبنائه المسجونين، ولم تطاوعه نفسه أن يكون في نظر الطغاة
ذلك الواهن الذي ينتهز مثل هذه الفرصة لينعم بحياة الترف متميزاً على
رفقاء الجهاد، فلا يستأثروا بالأجر من دونه، فلم يكذب يحس بالعافية حتى
كتب إلى السلطات بأنه قد عوفى بحمد الله مما عرض له وأنه باستطاعته
العودة لقضاء باقى المدة المحكوم عليه بها!!! ..

يا للرجل القمة .. قمة فى الصبر .. قمة فى القيادة، وقد أحاطت
بالدعوة الأعاصير .. قمة فى التجرد والتضحية والثبات .. قمة فى العزة
والإباء وعلو الهمة .

إنه نموذج فريد لرجال الدعوة الأماجد، وثمره طيبة من ثمار المدرسة
التي أرست قواعدها يد الله، ورفع رايتها رسول الله ﷺ، لتواجه الظلم
فى كل عصر ومصر.

فليرحمه الله رحمة واسعة، وليجزل له الأجر والثوبة.

عهد وبيعة

وللأستاذ محمد رشاد عبد العزيز من إخوان الإسكندرية - رحمه الله
- قصيدة من روائع شعره، ألقاها بين يدي المرشد الهضيبى فى حفل
مبايعة مكتب إدارى الإسكندرية، نوردها هنا:

وضعت يمينى فى يمينك مرشدى

على نصر هذا الدين دين محمد

وقدمت قلبى والمشعر والمنى

وسرى وإعلانى وما ملكت يدى

ولست أبالى فى سبيل عقيدتى

عداوة باغ أو إساءة معتدى

فما أعذب الآلام بين حمامد

وما أروع الإغماض تحت المهند

إذا افتتح الناس الحياة بمولد

فإن اختتامى بالشهادة مولدى

وإن آثر الناس القومود ضنانه
فإني بأعبائي أروح وأغتندي
وإن جنحوا للهوفناً بزعمهم
جعلت فنون الجد سعيي ومقصدي
وإن تبع القوم السراة جهالة
فإني بآثار النبوة مقتدي
أقوم بأيام الرسول مذكراً
لعل فتى في الحشد يصغي فيهتدي
لعل فتى ينضم عاملاً
وكان قبيل اليوم غير مجند
عجبت لأقوام يحبون مولداً
ويبدون للذكرى عظيم التودد
ويهتف شاديهم بمدح منغم
بشنتي ضروب اللحن عذب مجود
يظل يبث الحب للفر قائماً
فإن هو أعيته الصبابة يقعد
وتسأل ماذا قد جنوه فلا ترى
سوزي عرض فان وعمر مبدد

الفصل الثاني

مع المصحف السجين

كان المصحف الشريف على رأس قائمة المنوعات التي يحظر على المعتقل حيازتها، فليس له أن يحوز مصحفاً أو ورقة أو قلماً أو إبرة أو موسى حلاقة... إلخ.

من أجل ضبط وريقة أو إبرة

وبغير شيء طالما استاقوني

وتجمعوا حوالى ضواري همها

نهشى ومالى حيلة تنجيني

وتصادف أن أفلت أحد الإخيران بمصحف كان يحمله معه، فلم تمتد إليه يد المصادرة، ولم يكذ يلمح الإخوان المصحف مع أخيهم، حتى طمعوا أن يحظى كل منهم بقليل من الوقت، يستظهر خلاله من القرآن ما كاد أن ينمحي من ذاكرته.

وثار نقاش وجدال، فتدخل أحدهم واقترح تجزئة المصحف إلى ملازم وتوزيعها على نزلاء العنبر لتكون الفائدة أعم، وقد كان...

وأقبل الإخوان فى شغف يتسابقون فى الحفظ، وحفظوا من القرآن فى وقت الشدة وساعات العسرة ما عجز الكثيرون عن حفظه حين سنحت الفرصة وحُزنا المصاحف.. والظاهر أن الأمر كما يقول المثل: (كل ممنوع مرغوب).

وذاذ ليلة بينما الجميع ساهرون، وأدوات التعذيب تفعل فعلها فى أجساد الإخوان الذين اكتظت بهم ساحة المعتقل، بين معلق على الأسوار

كالذبيحة والسياط تنهشه من كل ناحية، وبين واقف ووجهه مسدد إلى الحائط وقد نُزعت ملبسه إلا ما يستر عورته، وآخر قد أمر أن يقعد ويقوم فى حركات سريعة، وهو لا يحرم من رفسة بالرجل، أو صفقة بالكف، أو لسعة بالسوط، وأعين المعتقلين فى العنابر وآذانهم ترى وتسمع، وذلك من قبيل الحرب النفسية، والكل ينتظر دوره بين لحظة وأخرى، ليحل به جانب مما يستحيل أن تنكره عيناً، أو تكذبه أذناه... وقد كانوا يضيئون الأنوار الكاشفة أثناء ذلك ليحرمونا من النوم... والويل كل الويل لمن سُمع يتكلم ولو همساً.

إن نمت، توقظنى السياط سريعة

فالنوم ليس يباح للمسجون

وإذا تحـدثنا لنذهب بالكـرى

حظروا الحديث على كالأفيون (١)

وانخرط الجميع فى دعاءٍ لا ينى، وضراعة ملحّة إلى الله، أن يخفف عنهم وعن إخوانهم ما يجدون من آلام نفسية وجسدية، ويشفقون على أنفسهم أن يصيروا إلى هذا المصير النكد، وبدالى أن أتناول ملزمة من المصحف كانت بجانبى، لأنشغل بقراءتها عما يدور حولنا، ولم أكد أشرع فى القراءة حتى انطلق صوت من خلال الباب الحديدى (باب شبكة) يقول: أنت يا أخينا ياللى معاك النوتة!!... والتفت الجميع نحو الباب فى دهشة، فإذا بأحد الضباط المباحث (٢) يقول: أيوه أنت... .

(١) من ديوان «نفحات ولفحات» للدكتور يوسف القرضاوى.

(٢) الضابط سامى خضير، وقد كوفىء على مشاركته فى تعذيب الأحرار وما زال يترقى حتى صار محافظاً لبورسعيد بدرجة وزير.

فذهبت إليه وفي يدي الملزمة، ولم يكذ يكتشف أنها جزء من القرآن، حتى غلا الدم في عروقه، وقال بصوت محقق ومظاهر الغيظ بادية على وجهه كله: يا ولاد الـ... راجعين تانى للمصحف؟!... هانعمل فيكم إيه أكثر من كده؟!... داحنا قطعنا ديولكم وراجعين تانى؟!... ثم سأل: اسمك إيه؟.. والتفت إلى مرافقيه من الجلادين قائلاً: دا ينزل عندي الصبح.. أنا راح أشرحك يا ابن الـ...!!

وكانت ليلة من الليالي التي لا تُنسى، أحاط الإخوان بي يواسونني ويهدئون من روعى، وبتُّ وقلوب الجميع معى فى ضراعة وتذلل إلى الله أن يصرف عنى الأذى والسوء، إنه على ما يشاء قدير. وذكّرنا أحدنا بالحديث القدسى: «من شغله القرآن وذكرى عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين».. وأقبلت على الذكر وقراءة القرآن طمعاً فى عفو الله ورحمته.

وجاء الصباح، ومريوم، وأيام بعده.. ثم بدا أن الله عز وجل قد استجاب الدعاء، وصرف عنى الأذى فلم يستدعنى أحد...

كنا نُدرك منذ وقع الخلاف بين الجماعة وزمرة الانقلاب، أن القائمين بالأمر يعملون على إزاحة الإخوان من طريقهم، حتى يخلو لهم الجو فى حكم مصر بالحديد والنار.. وما دام الإخوان يعتصمون بالقرآن، ويزدادون به قوة، فلا بد أن يحولوا بينهم وبينه بمصادرتة وإيداعه حجرة التخزين، وحظر تداوله وقراءته.

وإذا شغلنا بالقراءة وقتنا

أخذوا جميع الكتب للتخزين

وإذا تلونا فى المصاحف حَرَّمُوا

حمل المصاحف وهى خير قرين (١)

وقفه : كان بعض الإخوان يأخذون على قيادة الجماعة - وعلى الأخص الإمام حسن الهضيبى رحمه الله - تصلبها فى مواجهة جماعة الانقلاب، ويقولون: لو أن المرشد لأن بعض الشىء لما صرنا إلى ما نحن فيه، فجاءت هذه الواقعة، وأمثالها كثير، صريحة.. صارخة.. تنطق بأن الأمر ليس كما ظنوا.. وإنما الهدف هو سحق الحركة الإسلامية ورجالها والعاملين لها، بما سمَّاه بعض الإخوان (معركة المصحف).

﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّانَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨].

«ألا إن رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث دار.. ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب.. ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم.. إن أطعتموهم أضلُّوكم.. وإن عصيتموهم قاتلوكم... قالوا: وماذا نفعل يومئذ يا رسول الله؟.. قال ﷺ: «كونوا كأصحاب عيسى بن مريم، نُشِرُوا بالمناشير وحُمِلُوا على الخشب، ما صرفهم ذلك عن دينهم.. والذي نفسى بيده لموت فى طاعة خير من حياة فى معصية».

يا عصابة الباستيل دونكمو فلن

آسى على الإغلاق والتأمين

(١) من ديوان «نفحات ولفحات» للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى من القصيدة النونية.

سدوا على الباب كي أخلو إلى
كُتُبي، فلي الكُتب خير خدين (١)
وخذوا الكتاب فإن أنسى مصحفى
أتلوه بالترتيل والتلحين
وخذوا المصاحف إن بين جوانحي
قلباً بنور يقينه يهديني
الله أسعدني بظل عقيدتي
أفيسطيع الخلق أن يشقوني؟!

وفيما يلي طائفة من الدروس الغالية من كتاب الله تجلت إبان المحنة،
تدل على خلود هذا الكتاب العزيز، وصلاحيته كمنهج حياة حتى آخر
الزمان .

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴾ [العلق : ٩ ، ١٠]

نما إلى علم حمزة البسيوني عن طريق أعوانه أن المعتقلين يستيقظون
لصلاة التهجد في الهزيع الأخير من الليل، وأنهم يدعون على ظالمهم .
وكنا نسمى صلاة التهجد سهام السحر . . ولكي يتحقق من الواقعة
عمد إلى خطة مفادها أن يمر ومعه مجموعة من الأعوان في جوف الليل،

(١) الخدن : الخليل والصديق .

وقد غارت النجوم، وهدأت، العيون، ونام الناس ملء جفونهم .. اللهم إلا مريض يتألم، ومظلوم يتظلم .. يشكو ظالمه إلى خالقه . يمر حمزة وزبانيته بالزنازين، وكل منهم ينتعل حذاء من (الكاوتش) حتى لا يُسمع وقع أقدامهم، ثم ينظرون من خلال ثقب صغير فى باب الزنزانة، يرصدون ما تقع عليه أعينهم، حتى إذا تأكدوا من حقيقة الواقع، انطلقت صفارة عالية مقرونة بصوت أمين: (كل المعتقل انتباه .. عساكر افتح الزنازين .. كل المعتقلين برة الزنازين) .. . فيخرج الجميع ووجوههم تطل على الساحة الكبيرة، ثم ينادى على أفراد الزنازين الذين ضبطوا متلبسين بجريمة قيام الليل، ليهبطوا درجات السلم بخطى سريعة، تلفحهم سياط الجلادين .. وفى الفناء الفسيح تنتظرهم فرق الجلادين بالسياط والعصى الغليظة، تشبعهم ضرباً وتنكيلاً، لارتكابهم هذه الجريمة البشعة تحت جنح الظلام، وفى غفلة من القيادة الساهرة على سلامة مصر وأمنها، فلا يعبت به العابثون، والجميع فى ذهول ورعب مما يحدث، ولا يدرون له سبباً!! .. لقد لاقى المتهجدون العابدون من صنوف العذاب ما يشيب له الوليد، وشهدت ساحة السجن معركة غير متكافئة بين زبانية مسلحين وأسرى عَزَلْ إلا من سلاح الإيمان وبرْد اليقين .

وفى الصباح، حيث يلتقى الجميع فى دورة المياه، عرفنا السبب من وراء هذا العدوان الغاشم على الركع السجود .. ورحنا نضرب كفاً بكف .. كيف يقع ذلك فى مصر المسلمة؟! .. بلد الألف مئذنة ..

وموطن الجامع الأزهر الشريف .. ومقر إذاعة القرآن الكريم، التي أمر الرئيس أن تخصص لذلك، تغطية للدور المشبوه في تصفية الحركة الإسلامية .. وهذا أسلوب يلجأ إليه الطغاة المستبدون، ليخدعوا العوام والجُهَّال من الناس بأنهم على الجادة، وأنهم أرسخ إيماناً من هؤلاء الذين يتسترون وراء الدين لتحقيق مآرب ذاتية!! ... ومن قبل وخلال محنة الإخوان عام ١٩٤٨ واغتيال الإمام الشهيد، بينما الطغاة يفتكون بالدعاة، ويرتكبون من الجرائم ما يرتكبون، يصدر إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء والحاكم العسكري في ذلك الوقت قانوناً بإلغاء البغاء الرسمي الذي كان وصمة عار في جبين مصر المسلمة، وينبرى عالم أزهري يثنى على هذه الخطوة الجريئة ويباركها في قصيدة عصماء جاء فيها:

عار البغاء محناه إبراهيم

عار يعز على الرجال عظيم

هذا هو أسلوب الطغاة في كل حين!! .. يبطشون بالمؤمنين ويستبيحون دماءهم وأعراضهم، ثم يغطون أثمانهم القبيحة بتشديد الحصون وإنشاء المصانع وغيرها من المظاهر الكاذبة، فينخدع بها البسطاء والدهماء!!! ... والقرآن الكريم يكشف هذا الأسلوب في بيان معجز أخاذ، وهو يعرض أمر قبيلة عاد قوم هود ﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥] والتي أخبر القرآن عنها في موطن آخر بأنها

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٨].

﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٣٠].

وكان فرعون الأول يقول لقومه - محاولة منه لتشويه صورة رسول الله موسى (عليه السلام): ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

ذكرنا أحد الإخوان بآيات ذكرت في سورة العلق وهي أول سورة نزلت على النبي ﷺ في غار حراء:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تَطَعَهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ٩-١٩].

يذكر ابن كثير في سبب نزول هذه الآيات أكثر من رواية، نختار منها ما روى عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فمر به أبو جهل بن هشام فقال: يا محمد. ألم أنهك عن هذا؟.. وتوعده.. فأغلظ له رسول الله ﷺ القول وانتهره. فقال: يا محمد، بأى شيء

تهددنى؟ .. أما والله إني لأكثر أهل هذا الوادى نادياً .. فأنزل الله تعالى :
﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ (١٧) سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿ .. وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لو
دعا ناديه، لأخذته ملائكة العذاب من ساعته [أخرجه أحمد والترمذى
وقال : حسن صحيح] .

رواية أخرى : روى ابن جرير عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال أبو
جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ .. قالوا : نعم .. فقال :
واللات والعزى لئن رأيتَه يصلى لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه فى
التراب .. فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى ليطأ على رقبته .. قال : فما
فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبية ويتقى بيديه .. قال : فقيل له :
مالك ؟ .. فقال : إن بينى وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة .. فقال
رسول الله ﷺ : لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً .. قال : وأنزل
الله : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴾ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْنَى ﴿ إلى آخر السورة [رواه
أحمد والنسائى وابن جرير واللفظ له] .

وسرعان ما تداول الإخوان هذه الآيات، وراحوا يتدارسونها فى لذة
وشغف، وكأنها تنزلت لساعتها تسلية وعزاء لهم، وأحسوا بعناية الله
ترعاهم وتسددهم وتهيب بهم أن اثبتوا على إيمانكم، فإن مصير الظالمين
إلى بوار واندثار، ودفعت الجميع إلى المداومة على قيام الليل .

هذه الآيات التى حفظناها عن ظهر قلب، وتلونها عشرات المرات،
وكنا نمر بها فتبدو فى الأذهان صورة أبى جهل (عمرو بن هشام) وهو
يهدد النبى ﷺ وينهاه عن الصلاة، فينزل الله من الآيات ما يسلى رسوله

ويشد أزره.. كنا نتخليها وكأنها حدث تاريخي مضى ولن يتكرر، وما كان يدور بخلدنا أن صورة أبي جهل تتكرر في كل عصر وحين، في أشخاص الطغاة المستبدين الذين يصدون عن سبيل الله من آمن، ويبغونها عوجاً.

لقد ذقنا حلاوة القرآن من خلال هذه الآيات وغيرها على امتداد كتاب الله العزيز، وأدركنا من المعاني والمواقف والدروس والعظات ما تقصر كتب التفسير عن أن تمدنا به.. أليس يقول النبي ﷺ عن القرآن في الحديث الصحيح: «لا يبلى جديده، ولا يخلق على كثرة الرد»؟...

لقد أضحى القرآن الذي تلوناه بين جدران السجون، وترنمنا به خلال المحنة، وعاشنا في أحلك الأوقات وأحرج الساعات.. أصبح هذا القرآن الكريم غضباً طرياً على ألسنتنا، وبرداً وسلاماً على قلوبنا.. وزادنا الله به ثباتاً و يقيناً.. وسوف يجد القارئ الكريم في ثنايا هذا الكتاب من المواقف والمعاني القرآنية ما يملأ قلبه ويهز مشاعره.. هذا القرآن الذي هجره المنتسبون إلى الإسلام، وهجروا العمل به كمنهج حياة، فصرنا إلى ما صرنا إليه من ذل وهوان، ووقعنا ضحايا رخيصة تحت سنانك خيل أعدائنا، وطمع فينا الطامعون، وتحكّم فينا الطغاة المستبدون.. ولن يرفع الله عنا هذا الهوان حتى نتوب إلى الله ونعود إلى كتاب ربنا وسنة نبينا وسيرة السلف الصالح لهذه الأمة، نُحكّمه في كل شؤون حياتنا، منهجاً وهادياً يهدينا للتي هي أقوم.

نعود إلى أبي جهل مصر (حمزة البسيوني) لنتملى آيات الله فيه وفي أمثاله من الفراعين الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات، ونرجو الله لمن بقى منهم على قيد الحياة أن يتوب الله عليهم ليتوبوا.. إنه هو التواب الرحيم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١٠].

أما من عداهم ممن لقي الله، فلا نقول فيهم إلا ما علمنا رسول الله ﷺ: «أفضوا إلى ما قدموا».

ثم أطلت أحداث الخامس من يونيو ١٩٦٧ فكانت كأنها شواظ من نارٍ يشوى وجوه الطغاة والمتجبرين، وسياط عذاب تلفح ظهور القوم الظالمين ومن صفقوا لهم أو رضوا بظلمهم وقرت به أعينهم، أو سكتوا وكان في وسعهم أن يتكلموا.. فكانت هزيمة مريرة تجرعت الأمة كلها مرارتها لسكوتها عن الظلم، ورضاها بالهوان.. وصدق رسول الله ﷺ القائل: «إن الأمة التي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم.. بطن الأرض خير لهم من ظهرها – وفي رواية قد تُودع منها».

وفي الحديث القدسي: «يا عبادي.. إنى حرمت الظلم على نفسي، وجعلته محرماً بينكم.. فلا تظالموا» رواه مسلم.

وفي حديث آخر يقول الله سبحانه: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» رواه البخاري.

وسنة الله التي لا تتخلف، أن يقتص من الظالم للمظلوم.. فالناس عيال الله، وهو ربهم وخالقهم، ومن آذاهم فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧-٥٨].

والقرآن الكريم فوق ذلك حافل بمصائر الغابرين الذين استكبروا في
أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً.. وإليك هذه الآيات المحكمات تصور مصائر
قوم عادٍ وثمود وفرعون ذى الأوتاد:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا
فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠)
الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ
عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ٦-١٤].

وصدق الرسول الكريم ﷺ القائل: «إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه
لم يُفلته» رواه البخارى.

واعتقل حمزة البسيونى فى أعقاب الهزيمة الساحقة فى يونيو ١٩٦٧
التي لم يعرف التاريخ القديم ولا الحديث لها مثيلاً، ونظراً لخدماته
العظيمة فى إذلال المؤمنين أطلق سراحه، وقد غاب عنهم أن الله غالب
على أمره، وأنه سبحانه يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته... نعم غاب
عنهم أن يد الله تعمل، وتعمل بطريقتها الخاصة، وأنها تنصب للظالم
الشراك، وتنسج له الشباك، ليذهب الباغى صريع ظلمه وبغيه، وما دروا
أنهم بهذا الذى ظنوه تكريماً له، يدفعونه إلى مصيره المحتوم الذى خبأته له
يد الله الغالبة، والمصير الذى سجلته سورة العلق فى أجلى وأحلى بيان فى
الآيات التى مرت بنا:

* ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج: ١٨].

* ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ
نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿ [العلق : ١٥-١٨] .

ونمضى مع آيات الكتاب الكريم التي تشفى صدور قوم مؤمنين،
وتذهب غيظ قلوبهم .. فنرى الله الكبير المتعالى، يسفع حمزة البسيونى
بناصيته الكاذبة الخاطئة .. وكانت نهاية مكافئة لهذا النمروذ الذى أقسم
لمن رفع صوته شاكياً إلى الله : لو نزل هنا لحبسته فى الزنزانة ...!!!

يالطيف ..!!!.. لقد قتله الله شر قتلة .. كانت - ولا تزال وستظل -
حديث مصر من أقصاها إلى أقصاها .. وسمعنا من عامة الناس من يقول :
دا كله ذنب الإخوان المسلمين ...

فبينما قائدنا المظفر حمزة يقود سيارته متوجهاً من القاهرة إلى
الأسكندرية، فى صبيحة أول أيام العيد مع عدد من أفراد أسرته .. وقد
كان يحلو لحمزة أن يشن علينا غاراته خاصة فى الأعياد .. بينما هو
كذلك إذ فجأه ما لم يكن فى حسابانه، حيث اصطدمت سيارته بعربة
نقل كانت تحمل أطناناً من الحديد المسلح، فاستقر عدد منها فى وجهه
وجبهته (ناصيته) ونقل إلى المستشفى وهناك لفظ أنفاسه غير مأسوف
عليه .

أجل .. سفعه الله بالناصية، وأذاقه وزمرة المستبدين عذاب الخزى فى
الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ... ما لم يتوبوا .

وإذا رحنا نستقصى جرائم حمزة البسيونى إبان محنة ١٩٥٤ ومحنة
١٩٦٥ لَطال بنا المقام، ولكننا نسوق واقعة من الوقائع التى تنبىء عن

غطرسة هذا الغر الغشوم، وتلذذه بإيذاء المؤمنين .

فى الثامن عشر من شهر رمضان ١٩٥٥ أعنى صبيحة ذكرى غزوة بدر، وكان الجو حاراً، والشمس وهّاجة، ملتهبة، تكاد أشعتها تشوى الوجوه .. تصادف أن مرّ أحد الحراس فعثر مع أحد المعتقلين على ورقة سجل فيها حديثاً يحث على الصبر على الشدائد، فنقل الواقعة إلى حمزة البسيونى، وكان يوماً دامياً، انفطرت فيه القلوب، ودمعت من هولاء العيون .. أسرع حمزة ليشبع غريزته فى التشفى والأذى، واستدعى نزلاء الزنزاة إلى ساحة السجن وهم صائمون، ونال كل منهم نصيبه عديداً من الجلادات، على مسمع ومشهد من جميع المعتقلين الذين أخرجوا ليشهدوا المأساة .. ويذكر أن أحد الضباط – وكان مسيحياً – لا أذكر اسمه الآن، حينما شاهد العذاب على ظهور الإخوان لم يطق البقاء وغادر المكان وهو يصيح:

« حرام يا حمزة بك .. دول ناس صايين!!! ... »

ويصورر الدكتور يوسف القرضاوى شخصية هذا الظلوم الغشوم فى قصيدته النونية:

من ظن قانوناً هناك فإنما

قانوننا هو حمزة البسيونى

جلاد مصر الفذ .. رمز عذابها

أسموه زوراً قائداً لسجون

وجه عبوس قمطير حاقد

مستكبر القسمات والعرنين

فى خـده شـجّ تـرى من خـلفـه
نفساً معقّدة وقلب لعين
متعطش للسوء فى الدم والغ
فى الشر منقوع به معجون
الشر يتبعه كظلٍ كلما
وافى إلينا الحين بعد الحين
كالذئب تشفيه الدماء إذا جرت
ولربّ ذئب فـيه بعض حنين

سأظل أذكر يوم زار السجن فى
رمضان زورة جاحد مفتون
فى صبح غزوة بدر أحياء ذكرها
بإقام حفلٍ للعذاب مهين
جلد الرجال وهم صيام خشع
لم يرع حرمة شهرنا الميمون
لم يثنه ظمأ الشفاه عن الأذى
وخشوع أبصار وجوع بطون

صرف الالوف من السياط هدية

بدل الزبيب المشتهى والتين

يا حمزة السفاح.. يا أعوانه

من كل أخرق بالأذى معجون

ماذا نقمتم من شباب مؤمن

صلب القناة لدى الخطوب رصين؟

الآن يومهم الصيام، ويومكم

فى الجلد والشهوات والتدخين؟

الآن ليلهم القيام، وليلكم

فى منكر بادی العوار مشين؟

الآن ذكرهم الكتاب، وذكركم

فحش الخنا وسباب أهل الدين؟

أم أن حمزة حنّ للدم طبعه

والطبع غلاب على المأفون؟

أم ساقه روح الفداء لغزونا؟

فاغز اليهود هناك.. لاتغزوني

اذهب لغزاة ياأمام وأنسنا

بجاهادك الدامى «صلاح الدين»

أفعدنا كبش النطاح، ونعجة

فى الحرب جماءً بغير قرون؟!

﴿ لُنُبَيْتِنَهُ وَأَهْلَهُ... ﴾

درجت إدارة السجون الحربية على إرجاء تسجيل أسماء المعتقلين الجدد فى دفتر الأحوال إلى ما بعد انتهاء التحقيق معهم، مخافة أن يُقتل بعضهم من جرّاء التعذيب فيكون الدفتر شاهداً على الجريمة.. وكان ضباط المباحث بدورهم يستخفون من أعين المعذبين فيُعصبون عيني الضحية أثناء التحقيق بطاقيه سوداء.. وكلا الفريقين يلاحقه الشعور بالذنب، فلا يهدأ له بال، ولا تنام له عين.

وفى تصوير هذا المعنى، يقول الأديب مصطفى المنفلوطى - رحمه الله:

«إنما يشقى فى هذا العالم أحد ثلاثة:

حاسد يتألم لمنظر النعم التى يسبغها الله على عباده، ونعم الله لا تنفذ ولا تفنى.

وطمّاع لا يستريح له بال، ولا يهدأ له خاطر.

ومقترف جريمة من جرائم العرض والشرف، لا يفارقه خيالها حيثما حل وأينما سار.

وإن الظالم ليألم كما يألم المظلوم وأكثر، وإن بدا أن له الغلب، فهذا يألم مما يقع به من ضراء، ولكنه يرجو نصرة الله له، وذلك يألم وينتظر مصيره المحتوم.

وتدبر معى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ
فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

قرأت لأمير الشعراء حكاية عن سليمان والهدهد يقول فيها:

وقف الـهـدـهـد فـى بـا

ب سـلـيـمـان بـذئـة

قـال: يـامـولـاى كـن لى

عـيـشـتى صـارت مـمـلـة

مـتُ مـن حـبـبـة بُرُّ

أحـدثت فـى الصـدر غـلـة

لا مـيـاه النـيل تـروىـ

هـا ولا أمـواه دـجـلـة

وإذا دامت قـلـيـلاً

قـتلتنى شـر قـتـلـة

فأشـار السـيـد العـا

لى إـلى مـن كـان عـنـده

قـد أتى الـهـدـهـد ذنـبـاً

وأتى فـى الشـر فـعـلـة

تلك نار الظلم فى الصدد

روذى الشكوى تعلقة

ما أرى الحُبَّبة إلا

سـرقت من بيت نملة

إن للظالم صـدراً

يشـتكى من غـير عـلة

ولقد بلغت الجرأة بهؤلاء الظلمة، أنهم كانوا إذا مات معتقل تحت وطأة التعذيب يقدمون اسمه للمحاكمة، ويصدر الحكم غيابياً بالسجن عشر سنين أو أكثر أو أقل، وربما بالإعدام، وينشر ذلك فى الصحف، ويدون أمام اسمه بين قوسين (هارب) ... « صحيح .. اللى اختشوا ماتوا!!! » .

وأذكر أن الشيخ عواد من بلدة المنير مركز بلبيس شرقية، والد الشاعر الشهيد محمد عواد، وكان يقيم معنا بالزنزانة، استدعى بعد قتل ابنه ليخبره القائمون على التحقيق أن ابنه هرب من السجن، وأنه قد تقرر الإفراج عنه ليرشداهم إلى مكان وجود ابنه وله جائزة سخية .

يا للهول!! ... بمثل هذه العاطفة المريضة، والقلوب التى وكأنها قُدت من صخر، كانت تُحكم مصر من خلال حكم العسكر:
سُحِقاً لجزارين .. كم ذبحوا فتى

مستهترين كأنه ابنُ لبون (١)

(١) ولد الناقة فى بداية عمره .

فإذا قضى ذهبوا بجثته إلى
تل المقطم، وهو غير بطين
لفؤوه فى ثوب الدجى وتسلبوا
سارين بين مفاوز وحزون
واروه ثم مَحَوُا معالم رمسه
فغدا كَسِرُ فى الثرى مكنون
أخفوه عن عين الأنام وما دروا
أن الإله يحسوطهم بعيون
والليل يشهد والكواكب والثرى
وكفى بهم شهداء يوم الدين (١)

وما كان يدور بالخاطر أن يسجل القرآن الكريم، وهو كتاب الله الخالد، على الطغاة إفكهم، ويفضح خبيثة نفوسهم، وهو يقص علينا ما كان من ثمود قوم نبي الله صالح عليه السلام، حين ائتمروا به وبالمؤمنين معه على قتلهم ثم التذرع بالآيمان الغليظة أنهم ما فعلوا، وأنهم صادقون فى إنكارهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ

(١) من ديوان «نفحات ولفحات» د. القرضاوى.

أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧) وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿﴾ [النمل: ٤٥-٥٣].

أين هؤلاء الآن؟ ... أين من بنى وشيد، وزخرف ومجدد؟ .. أين الذى كان إذا أشار بإصبعه امتلأت السجون بالأحرار؟ ... لقد بادوا جميعاً، وبقيت قلعة الإيمان شامخة برجالتها وشبابها، تغيظ الطغاة وتقض مضاجعهم، ومن قُتل منهم ذهب إلى ربه شهيداً ينعم فى جوار رب كريم... ولم يدر بخلد أحد من الإخوان المعذبين أن يثار لنفسه وكان ذلك ميسوراً لو أراد ولكن الجميع فوضوا أمرهم إلى الله الذى لا يظلم مثقال ذرة وحسبهم دفاعه عن الذين آمنوا.

مات عبد الناصر بالسكتة القلبية أو موت الفجاءة، وهى الموتة التى استعاذ منها رسول الله ﷺ .. وفى قول إنه مات مسموماً!! ...

اغتيال أنور السادات على أيدي حرسه الأذنين، وسط حراسات مشددة.
مات حمزة البسيونى على النحو الذى سلف ذكره فى موضع آخر من هذا الكتاب، وكانت موته آية من آيات الله!! ...

مات عبد الحكيم عامر مسموماً، وقيل مقتولاً بالرصاص!! ...

مات جمال سالم بسرطان الدماغ.. أدخل بسببه مستشفى الأمراض

العقلية، وظل كذلك سنين .. كان يتمنى الموت فلا يجده!! ...
مات صلاح سالم ببولينا فى الدم .. فشلت كبرى مصحات روسيا
وأمرىكا فى إنقاذه، أو حتى التخفيف عنه!! ...
مات على شفيق الذى وجد مقتولاً بمحل إقامته فى لندن!! ...
مات الدجوى رئيس المحكمة التى قضت على الشهيد سيد قطب
وإخوانه بالإعدام .. مات مخنوقاً بالحمام!! ...
مات الضابط صلاح حتاتة رئيس إحدى دوائر محكمة الشعب وحيداً
فى شقته، ولم يكشف أمره إلا رائحة الجثة التى أزكمت الأنوف!! ...
اللهم لاشماتة .. ولكنها العبرة .. يستخلصها المؤمنون الذين عاصروا
الأحداث واكتووا بنارها .. يقدمونها لجيل الصحوة الإسلامية .. دروساً
غالية .. استقوها من نور الكتاب المبين .. ومن الواقع المر الذى عايشوه .. لا
من بطون الكتب، ونسج الخيال .. عسى أن يعيها الجيل المسلم الصاعد،
الذى التبست عليه الطريق، وتفرقت به السبل، فاعتقد لقلة خبرته أن
تغيير العرف العام فى المجتمع لا يتأتى إلا باستخدام القوة فى وجه من
قهره .. ناسياً أن سنة الله فى التغيير لا تتأتى إلا بتغيير ما فى النفوس ..
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

﴿ اذكرني عند ربك ﴾

حين يقع المرء في الشدة، أو تلم به ضائقة يعجز عن ردها، يجد نفسه مندفعاً بشعور ذاتي إلى قوة عليا، يلوذ بها ويحتمى بحماها، وهي سنة مطردة في عالم الإنسان، وإن شئت قلت في عالم الحيوان، يستوى الإنسان المؤمن والإنسان الكافر.. والقرآن الكريم يصور هذا المعنى أبلغ تصوير وأجمله في قول الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [يونس: ٢٢-٢٣].

وهذا فرعون الطاغية المتأله، حين أطبق البحر عليه مع جنوده لم يملك إلا أن يفرع إلى القوة العليا، رغم جحوده وعناده، ولكنه انساق بجبلته إلى الاحتماء بها: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ فكان الجواب: ﴿ آلاَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٠-٩٢].

سأل الشيخ تلميذه: ماذا تفعل إذا نبج عليك كلب القطيع؟ .. قال التلميذ: أقذفه بالحجر.. قال الشيخ: يزيد نباحه.. عاد التلميذ يقول:

أضربه بالعصا .. أجاب الشيخ: يشتد هياجه ونباحه .. قال التلميذ: إذاً ماذا أفعل؟ .. قال الشيخ: استعن بصاحب الكلب، فهو أقدر على دفعه عنك، فيخرج من جنب القطيع غلام صغير هو ابن صاحب الكلب، يحول بينك وبينه .

فالله عز وجل - وله المثل الأعلى - رب العباد وخالقهم، ونواصيهم بيده، فإن حادَّك أحد أو آذاك، فاستعن بالله، فيرد عنك كيد من يكيدك .
في معتقل أبى زعبل الرابض وسط الصحراء، وفي غضون شهر أغسطس ١٩٦٥، والحريكاد يشوى الوجوه، وقد ارتفع منسوب الرطوبة إلى حد يكتم الأنفاس، تداعت علينا ذئاب السلطة، مسلحة بكل وسائل القهر التي شاعت وألف الناس سماعها، فلا حاجة لتردادها رفقاُ بمشاعر القارئ الكريم .

استمر التحقيق معى عشرة أيام متتابة، لقيت فيها من عنت الجلادين وأذاهم الكثير ولا أزيد .. وانتهى الأمر ببراءة ساحتى مما نسب إلى زوراً وبهتاناً .. انصرفت بعد ذلك لتضميد جراحى والإخلاء بعض الوقت إلى شىء يسير من الراحة .. وهل يخلد الإنسان إلى الراحة فى هذه الغابة التى استنسر بغائها؟! ...

ولكنها راحة نسبية تتمثل فى أننى على الأقل غير مطلوب .

وفجأة نودى باسمى ثانية .. وناهيك عن شعور الإنسان حين يستدعى للتحقيق .. إنه يحس أنه ذاهب إلى الجحيم، وأنه واقع لا محالة فى براثن ذئاب لا ترحم، حيث تجرد الجلادون من إنسانيتهم، ولبسوا جلود النمر، وتسلحوا بمخالب الوحوش الكاسرة، فلا قانون يردعهم، ولا دين يزعهم، ولا خوف من الله أن يسألهم .. ومع ذلك، فهم يخشون الناس كخشية

الله أو أشد خشية .. فمن يستدعى للتحقيق، يأمرونه بخلع ملابسه كلها، عدا ما يستر عورته (اللباس) ثم يأمرونه بعصب عينيه بمنديله، أو يعصبونها بطاقيه سوداء أعدت لذلك .

غريب أمر هؤلاء الجلادين!! .. يملكون بأيديهم كل أدوات القهر، ثم هم يفرقون من أسير أعزل من كل قوة .. يختبئون من أعين المعذبين مخافة أن ينقلب الحال ويُسألون .. ولقد بلغ الأمر بكبير لهم معروف وهو اللواء فؤاد علام أنه كان يتسمى باسم (جرجس بك) ومنسوب في شهادة الميلاد إلى المسلمين، إمعاناً في التخفي!! .. عجباً لأمر هؤلاء الفراعنة .. يخشون الناس، والله أحق أن يخشوه، ولكن أنى لهؤلاء أن يخشوا الله، وهم عصا الطاغية وسياطه، يُلهب بهم ظهور الأحرار المعذبين، لقد ربطوا مصيرهم بمصير سيدهم فلا يتساهلون .

ثار جدل كبير حول مسئولية هؤلاء المأمورين، فذهبت طائفة إلى أنهم لا عليهم، فهم عبيد المأمور .. وحسم القرآن هذه القضية منذ أربعة عشر قرناً في قوله تعالى حكاية عن فرعون ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ [القصص : ٨] .. وفي قوله : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنه من الكاذبين (٣٨) وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [القصص : ٣٨-٤٢] .

أعود بالقارىء الكريم إلى استدعائى فجأة للتحقيق، كان على أن أتجرد من ملابسى، إلا ما يستر العورة، وأعصَّب عيني بمندىلى.. وكانت خطتهم لتحطيم الضحية نفسياً وجسدياً بعد تجريده من ملابسه كما ذكرت وضعه وسط الأتون المستعر، ليشاهد بعيني رأسه ويسمع بأذنيه ما يلقاه من سبقوه، إلى جانب ذلك يأمرونه بالقعود والقيام فى حركات متتالية، وقد تمتد هذه التمرينات الجبرية ساعة، وربما ساعات يتصيب منه العرق، وأنات المعذبين تطرق سمعه عن قرب، وتقع عيناه على ما يكره حين ترفع العصا عن وجهه.. حتى إذا جاء دوره فى التحقيق كان جاهزاً (يعنى مستوى) جسدياً ونفسياً، فيلقى إليهم بما يريدون لا بما هو حقيقة.. ولكن رجالاً كثيرين استعصموا وأبوا أن يذعنوا لرغبات الجلادين، ولقد رصدت وأنا معصوب العينين مواقف بطولية لإخوان كرام لاقوا من صنوف العذاب ما يشيب له الوليد، ولكنهم ثبتوا كالجبال.. أخص بالذكر الأخ المجاهد الأستاذ جمال فوزى - نضر الله وجهه - وقد نزل به من العذاب ما نزل فلا ينثنى ولا يلين.. يقول له الضابط على مسمع من الجميع: قل أنا مره.. فيرد الأخ الكريم والسياط تحتوشه من كل جانب: أنا راجل من ظهر راجل قبل أمك ما تولدك.. وقد فقئت عين الأخ العزيز وكسر حوضه، وظل طول فترة اعتقاله وبعد خروجه عاملاً لدعوته صابراً محتسباً حتى لقي الله راضياً مرضياً بإذن الله.

رحت أمارس التمرين الجبري بالقعود والقيام لأكثر من ساعة، وسط هذا الجو الرهيب الرعيب، فلم أجد من ألوذ بحماه إلا الله رب المستضعفين ومُذل الجبابرة والمستكبرين، وانخرطت فى ذكر لا ينقطع لحظة.. أقعد فأقول (سبحان ربى الأعلى) أحتسبها سجدة لله وأقوم

فأقول: (حسبى الله ونعم الوكيل) تفويض الأمر إليه .

وبينما أنا وسط هذه الروحانية الغامرة، سمعت صوتاً عرفت صاحبه ..
كان صاحب هذا الصوت زميلاً لى فى كلية الحقوق، ثم تركها والتحق
بكلية الشرطة، ويسكن فى القاهرة قريباً منى .. فخفق قلبى فرحاً وقلت:
عال، جالك الأمان .. وفى طرفة عين، ألقى الله فى أمنيته قول يوسف
الصديق لصاحبه ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي
السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف : ٤٢] .. فوجدت جسدى يرتعد فرحاً من
الله، أن يسلطه على فيوقع بى من الأذى أضعاف أضعاف ما أخافه على
يد غيره، فرحت أعتذر إلى ربي فى لهفة حتى لكأنى مجنون .. يارب ..
يارب سامحنى .. أنا آسف .. وانطلق لسانى باستغفار من أعماق أعماقي
لا ينقطع، واعتذار حار رجوت أن يقبله .

ثم نودى باسمى وسُحبت إلى حيث غرفة التحقيق وأنا معصوب
العينين، وقد تصبب جسدى عرقاً تتضاعف معه الآلام حين يهوى عليه
بالسوط، فسألنى المحقق عن اسمى ووظيفتى .. ولكن رحمة الله الرءوف
الودود تنزلت على، وكأنه أرسل ملكاً ينتشلنى من بين براثن هؤلاء
الذئاب، فانطلق أحد المخبرين ليقول: يا أفندم الرجل ده سبق حققوا
معاه .. فسألنى الضابط: هل سبق التحقيق معك؟ .. قلت: نعم .. فسأل:
ومن كان المحقق؟ أجبته: لا أدرى كنت معصوب العينين .. فراح يُقلِّب فى
ورق أمامه، ثم قال: طيب .. اصرفه .. وأنا لا أكاد أصدق سمعى، ولم
يمسنى يومها بحمد الله سوء، سوى هذه التمريعات الجبرية التى ربما

أفادتني كثيراً صحياً.

كل ذلك والإخوان في العنبر ينتظرون عودتي ليروا ما كان معي،
ودخلت عليهم سليماً معافى منبسط الأسارير وأنا أردد ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ
اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ...﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

حين ينتفش الباطل، ويتسلط الطغاة الأقزام على المؤمنين الأحرار،
لا يجد المؤمنون من يلوذون بحماه إلا الله القوي القادر الذي بيده ملكوت
كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، عز من احتمى بحماه، وخاب وخسر
من ضل عن باب مولاه.

قال أحد الصالحين: كن مع الله يكن الله معك، ومن يكن الله معه،
كانت معه القوة التي لا تُقهر، والقاهر الذي لا يُغلب.

ومن حكّم ابن عطاء السكندري قوله: إذا كان الله معك.. فمن
عليك؟.. وإذا كان عليك.. فمن معك؟...

معية الله عز وجل وقاية من كيد الكائدين، وهذا رسول الله ﷺ
وصاحبه في الغار يقول: يا رسول الله، والله لو نظر أحدهم تحت قدميه
لرآنا.. فيرد عليه النبي الحبيب قائلاً: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله
ثالثهما؟.. لا تحزن إن الله معنا.

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي
الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ
لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴿ [التوبة: ٤٠] .

وهذا كلِّم الله موسى عليه السلام، حين خرج مع بنى إسرائيل فراراً من طغيان فرعون، ورأى أصحابه الجموع الكثيفة يقودها الطاغية.. خافوا وارتعدوا، فالعدو خلفهم والبحر أمامهم، فطمأنهم نبي الله أن الله سيجعل لهم فرجاً ومخرجاً.

﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّورِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلَّوْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ [الشعراء: ٦١-٦٨] .

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[الطور: ٤٨]

بلغ السيدل الزبى، وجاوز الظالمون المدى، ونهجوا نهج فرعون وهامان
وجنودهما، واستنوا بسنة عاد قوم هود، الذين استكبروا فى الأرض بغير
الحق وقالوا: من أشد منا قوة؟ .. فلم يعد يردعهم خلق ولا ضمير.

لا دين يردع.. لا ضمير مسيطر

لا خوف شعب.. لا حمى قانون

ألم يقمل حمزة البسيونى لمن استجار بالله: لو نزل هنا ربك لحبسته
فى الزنزانة!!؟

تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً...

وقديماً قال فرعون: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾
[القصص: ٣٨] .. وزاد الطين بلة حين قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾
[النازعات: ٢٤] .

بل لقد كان فرعون على عتوه وصلفه منصفاً - قولاً - حين عرض أن
تقابل الحجة بالحجة: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لَتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧)
فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا
سُوءٍ (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه:
٥٧-٥٨] .

أما هؤلاء فكانت حجتهم السوط والعصا، والكي بالنار والإغراق فى الماء، ومواراة الضحايا فى جوف الصحراء، والتعليق على أعواد المشانق، وقتل المخالفين، فضلاً عن حشد سجون مصر بدءاً بالسجن الحربى وسجن مصر وأبى زعبل والقلعة والأردى وقنا والفيوم وأسيوط وانتهاء بالنفى فى سجون الواحات حتى أضحت مصر كلها سجناً للأحرار!

وما مذبحة ليमान طرة عنا ببعيدة، وهى المذبحة التى قتل فيها رمياً بالرصاص واحد وعشرون من خيرة الشباب المسلم، وجرح ثلاثة وعشرون بغياً وعدواناً.

ضاقَت الدنيا على سعتها، وألقى البغى بكلِّكـله على صدور المؤمنين، ولم يعد فى قوس الصبر منزع، وأوصدت الأبواب كلها إلا باباً واحداً، فهو مفتوح بالليل والنهار، لا يملك الطغاة أبداً أن يُغلقوه، ولو ملكوا كل جيوش الدنيا... .. فمالنا لانلج هذا الباب، ونلح على صاحبه بالرجاء؟ .. وهو سبحانه وتعالى أهل الرجاء، لا يرد عن بابه سائلاً... .. أليس هو القائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

لا تسألن بنى آدم حاجة

وسل الذى أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله

وبنى آدم حين يُسأل يغضب!

وتواصى الإخوان.. هيا يا رفاق، اسمعوا نصيحة نبيكم ﷺ: «إن الله

يحب الملحّين في الدعاء» رواه الطبراني مرفوعاً.

هيا اطرخوا باب ربكم في جوف الليل وبالأسحار، حتى تنزاح الغمة،
وتنجاب الظلمة. وتجرد الناس من الحول والطول، وتسابقوا إلى الصلاة في
جوف الليل يحفزهم إلى ذلك قول الله عز وجل: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ
الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا
أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

قمت من الليل مع القائمين الركع السجود، ثم هجعنا هجعة.. أسلمنا
نفوسنا لبارئها ومُصرف أمرها، متحصنين بهذا الحصن الحصين من دعاء
سيد المرسلين ﷺ: «اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي
إليك، وفوضت إليك أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة
إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت،
ونبيك الذي أرسلت» رواه البخاري.

واستيقظت مع الفجر على هذا الحلم الجميل، الذي سرى في نفسي
سريان الكهرباء، فأشرق بنور الوحي يذف البشرية للمؤمنين، ويمسح
جراح المكلومين، ويوجههم إلى التي هي أقوم وأمثل.

رأيتني في المنام أتلو هاتين الآيتين الأخيرتين من سورة الطور كما لو
كنت يقظان ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ
(٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٨-٤٩].

انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.. أمر بالصبر
على ما قدر الله وحكم، ثم التوكيد بلفظ ﴿إِنْ﴾ على حفظ الله

للمؤمنين وكلاءته .. فهل بعد هذا التأكيد من الرب ووعده بالحفظ مطمع لطامع؟ ... ثم التوجيه الإلهي الذي لا يشوبه دخن أو يداخله دغل بمداومة التسبيح .. عند قيامك وفي جوف الليل .. وعند إدبار النجوم، تكرار التسبيح .. ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ . وقبيل هاتين الآيتين تسلية للنبي ﷺ وإخبار له بأن لهم أجلاً يصعقون فيه لا ريب فضلاً عما ينتظرهم من عذاب .

﴿ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الطور: ٤٥-٤٧] .

إننا نقرأ هذه الآيات ونمر عليها مراراً .. بل نحفظها عن ظهر قلب من زمن الطفولة، ولطالما تلونها ورددناها عشرات المرات، ولكنها هذه المرة لها طعم خاص ومذاق متفرد .. إنها بشرى من الله للمؤمنين بعد انقطاع الوحي، ففي الحديث « رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » . ولمن تقف البشريات عند هذا الحد بل تتابع وتلاحقت، واحتفى الإخوان بها، وأنشأوا فيما بينهم وكالة للأنباء التي تأتيهم في منامهم أسموها (وكالة أبشروا للأنباء) .

رأيت فيما يرى النائم أننى أتلو هذه الآيات من سورة (غافر) والمسماة بسورة المؤمن إشارة إلى مؤمن آل فرعون .

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ

الهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾
فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾
[غافر: ٥١-٥٥].

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ
عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦].

والآيات بيّنات لا تحتاج إلى شرح أو تفسير.

والعجيب أن الآية الأخيرة من سورة الزمر، ولكنى تلوتها في المنام كما
لو كانت امتداداً لآيات سورة غافر، ولم أفطن إلى ذلك إلا في اليقظة،
فهي رؤيا موجهة من الله اللطيف الخبير.

* * *

ذهبت إلى الدار الآخرة

بعد خروجي من المعتقل في فبراير ١٩٥٦ عاهدت الله ألا أتخلف عن صلاة الجماعة في المسجد مهما كانت الظروف إلا لعذر قاهر، لا سيما صلاة الفجر.. وبقيت على هذه الحال بضع سنين، وأعانني على ذلك أن كان بجوارنا رجل صالح هو الحاج سليمان محمد قد ابتنى مسجداً متواضعاً في الدور الأرضي من عمارته، ودعاني للإمامة فيه.. وكان يمر كل ليلة في الهزيع الأخير من الليل، وقبل الفجر بساعة أو بعض الساعة، يترنم بصوته الندي، يوقظ الوسنان ويطرد الشيطان وهو يقول : « لا إله إلا الله .. الملك الحق المبين .. محمد رسول الله .. الصادق الوعد الأمين .. الصلاة يا مؤمنون الصلاة .. الصلاة خير من النوم ».

ويعر آخر يقول :

يا نائماً ومستغرقاً في المنام

قم واذكركم الحى الذى لا ينام

مولاك يدعوك إلى ذكره

وأنت مشغول بطيب المنام

الصلاة .. يا مؤمنون الصلاة .. الصلاة خير من النوم.

فأهبط من نومى، ثم أتوضأ، وأقرأ ما تيسر لي من القرآن، أو أصلى ما شاء الله أن أصلى حسبما يسمح الوقت، ثم أتوجه إلى المسجد، حيث

نؤدى الصلاة ونجلس فى مُصلانا نذكر الله حتى تطلع الشمس وترتفع مقدار رمح أو رمحين ثم نصلى سبحة الضحى، وينصرف كل منا إلى حال سبيله.

واستجدت ظروف شغلتنى عن صلاة الفجر بسبب السهر، فكان الرجل يمر ليوظنى فأستجيب مرة وأغفو مرات، حتى يئس من أمرى، وراح ولم يعد، وإذا صادف واستيقظت من تلقاء نفسى، فإنى أذهب إلى مسجد آخر، تفادياً للوم الأصحاب وتقريرهم، ولكنى فى الحقيقة لم أكن راضياً عن نفسى، وكان الإثم لا يفتأ يحيك فى صدرى.. فالعهد بينى وبين الله، ومن الحرام أن أنكث العهد وأنا أتلو قول الله تعالى فى أكثر من موضع من القرآن، بل أحفظه عن ظهر قلب ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا...﴾ [النحل: ٩١، ٩٢]، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

وبينما أنا فى هذه المشغلة النفسية لا يهدأ لى بال، ووخز الضمير يؤلمنى، رأيت فيما يراه النائم أنه قد حضرنى أجلى وقام الغاسل بتجهيزى وسط بكاء الأهل ونحيبهم، فلما فرغ حملت على النعش، وخرج أهل القرية عن بكرة أبيهم يشيعوننى، حتى انتهوا بى إلى المقابر فأودعونى وأهالوا على التراب، وبعد أن نفضوا أيديهم من تراب القبر، اصطف

الأهل يتقبلون عزاء المشيعين .. يقول هؤلاء: عظم الله أجركم، فيرد الأهل: شكر الله سعيكم .. وأنا أعى ذلك كله كما لو كنت فى اليقظة لا يند عنى قول أو حركة .. الأحداث واضحة كفلق الصبح، لا مرية فيها ولا غموض، وتذكرت وأنا ملقى فى القبر حديث رسول الله ﷺ: «وأنه - أى الميت - لىسمع خفق نعالهم وهم ينصرفون» متفق عليه .

وخفتت الأصوات رويداً رويداً، وانقطعت الخطوات، ورأيتنى فى القبر وحيداً فريداً، لا أنيس ولا جليس، وأطبق الصمت على المكان .. وكنت وأنا صغير مغرماً بتشييع من يموت عندنا، فأسمع الملقن يقول: فإن أتياك وأجلساك وسألاك وقالاك لك: من ربك؟ .. ومن نبيك؟ .. وما دينك؟ .. فدارت هذه الكلمات فى ذهنى وترقبت مثل الملكين .. وما هو إلا أن بدا من ناحية فى القبر رجل فارع الطول، يلبس بزة عسكرية وبيده عصاً قصيرة، متأبطاً سجلاً (دوسيه) فلما انتهى إلىّ وكنت راقداً فزعت جالساً فسألنى سؤالاً واحداً: إنت مواظب على صلاة الفجر والا لا؟ .. وحررت فى الجواب .. لاسيما والعصا فى يده، والملف تحت إبطه - لو أجبت بنعم فالملف يكذبنى والعصا تؤدينى .. ولو قلت: لا . فهو يخالف الحقيقة لأنى لم أنقطع تماماً عن صلاة الفجر .. ولكن الله ألهمنى الجواب المناسب .. فقلت: الحقيقة مش على طول .. فقال بلهجة صارمة كلها تهديد: طيب .. وتوقعت أن يحل بى العذاب لا محالة، ولكنى لم ألبث أن انتبهت من نومى وأنا فى غاية الفزع، فالتفتُ حوالىّ، فلما أيقنت أن ما كان إنما هو حلم، ذهب عنى الروع وتنفست الصعداء، وانطلق لسانى يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .. ونهضت

مسرعاً فتوضأت، وكان الفجر قد اقترب، فتوجهت إلى المسجد بعد غيبة دامت شهوراً، ثم أقيمت الصلاة وصليت بالقوم إماماً كسابق عهدي، وما إن فرغت من الصلاة حتى أقبلوا عليّ يلومونني على هذه الغيبة الطويلة، فما كان جوابي عليهم إلا أن قلت : أتدرون من أين أتيتكم اليوم؟ .. إنني قادم من الدار الآخرة.. وأخبرتهم الخبر.

ثم رحلت أقول في نفسي : هذه الرؤيا التي رأيته كانت بلقاء مثل فلق الصبح.. ماذا لو أن ذلك حدث حقيقة، وهو يحدث في أية لحظة.. ماذا يكون جوابك عن صلاة الفجر، وعن.....، وعن.....، وعن..... إلخ.

وكأن هذه « تجربة » ولطف من الله لأستدرك قبل الأوان، والحمد لله عدت إلى سابق عهدي مجتهداً في الوفاء بالوعد، ما لم يلحق بي عذر من مرض أو نوم، ونسأل الله الثبات وحسن الخاتمة.

* * * *

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا ﴾

[الإسراء: ٦٧]

عشنا وراء القضبان حياة روحية غامرة.. ارتفعت بأرواحنا إلى أشبه ما تكون بحال الملائكة، الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون.. نفترش أقدامنا في جوف الليل، والناس نيام، والخليون هجع.. داعين الله.. مستغفرين.. توابين.. أواهين.. منيبين.. امتثالاً لقوله سبحانه ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦].. نصلى الصلوات الخمس في أول أوقاتها.. لا يتخلف عنها إلا معذور.. نغترف من معين القرآن ما يروى الغلة، ويطفىء شهوة الجسد، ويصل أرواحنا بالملا الأعلى، فننعم بالقرب، ونحظى بالأنس، ويهون الصعب، ويحلو الصبر، وتنقلب المحنة منحة، ويصير المنع عطاء...

وما أروع ما يصور به الإمام ابن تيمية حاله وهو في سجن قلعة دمشق: «إن جنّتي وبستانى فى صدرى، وهما معى لا يفارقانى.. فماذا يفعل الأعداء بى؟.. إنما السجين من حُبس عن ذكر ربه، والأسير من أسره هواه».

ويقول فى موطن آخر: «إن قتلى شهادة، وتشريدى سياحة، وسجنى خلوة».. كان هذا الرصيد الروحى عدتنا فى المحنة، وزادنا فى الشدة...

فى قلب المحنة، وعند اشتداد البلوى، يحس الإنسان بضعف قوته، وقلة حيلته، فيهرع إلى قوة عليا يلوذ بها لتحميه من غوائل ما ينزل.. والإنسان

فى سفينة الحياة بين النعمة والشقوة، والابتلاء والعافية، والخير والشر، والطاعة والمعصية، والرشاء والشدة.. يميل إلى الدعة، ويركن إلى الراحة، وينأى عن المشاق.. فإذا مسه الشر هلع وجزع، وإذا مسه الخير ترمد ومنع.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩ - ٢١]. وقال جل شأنه: ﴿وَلَّيْنًا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ (٩) وَلَّيْنًا أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ٩ - ١١].

فى قلب المحنة تضطرب الموازين، وتختل المقاييس، ويجد المرء نفسه غارقاً وسط اللجة، تتفادفه الأمواج من كل جانب، لا يقر له قرار، وهو كريشة فى مهب الريح لا يستقر على حال، ويلوذ بربان السفينة، عله يأخذ بيده، وينأى به عن مواطن الهلكة وسوء المصير، وما أكثر ما عصفت بنا الأمواج، وهاجت الرياح وزمجرت، وكشّرت المحنة عن أنيابها، فكان الله هو الملاذ، وكان كتابه هو طوق النجاة.

قبل المحنة، كنا ننعى بالحرية.. لا يسيطر علينا مسيطر إلا أدب النفس، وسلطان الشرع.. والريح رخاء، وشرع سفينتنا يرفرف فى رفق وهوادة، ولا يعوق انطلاقها عائق.. فإذا الحال قد تبدلت، وأخذت الأحداث تكشّر عن أنيابها، والطغاة لا يرعون فى مؤمن إلا ولا ذمة، وإذا الحرية قد سلبت، والإرادة قد فُقدت، وهبّت ربح السموم عاصفة، وتقاذفت سفينتنا الأمواج ذات اليمين وذات الشمال، وأحيط بنا من كل جانب، وعز المهرب!!

وتطلعنا إلى النصير.

أجل كان الله وحده هو الملاذ والملاجئ، وكان كتابه الكريم هو طوق النجاة، الذي يبلغ بنا بر الأمان، وساحل الطمأنينة.

في محنة ١٩٥٤ اعتصمنا بالله وبكتابه، فنجانا الله من القوم الظالمين، وأرانا فيهم آيات قدرته، وخرجنا إلى الحياة ننعم بالحرية.. عجيب أمر هذا الإنسان، سرعان ما ينسى، وكثير من الناس من يثبُت عند الشدة، ويسترخى عند الرخاء، ظناً منه أنه وقد أدى ما عليه، فلن تطوله أيدي الطغاة، فأرخى لنفسه العنان، ونسى ما كان يدعو إليه من قبل.. وتشاء حكمة الله الحكيم، أن يُذكَرهم ويعيدهم إلى الجادة، فتحل محنة ١٩٦٥ ليجد الجميع أنفسهم وسط اللجة من جديد، حتى أولئك الذين كانوا قد ركنوا إلى الظالم وداهنوه ظناً منهم أن ذلك ينجيهم من بطشه، قد صبَّ عليهم من العذاب ما يفوق بكثير ما وقع بالمستمسكين، ويظن العبد لجهله أنه يستطيع أن يخرج من تحت سلطان القوة الإلهية القاهرة.

نلجأ إلى الله في الشدة، نرجوه فيقبل الرجاء.. وندعوه فيجيب الدعاء، ويكشف الغمة.. ويمحو الظلمة.. ونذوق طعم الحرية، بعد قيد.. وننطلق بعد أسر.. ثم ينكص الإنسان الجهول على عقبه، ويستهيئ بأمر ربه، ومالك أمره.. فهل انتهى به المطاف، وخرج من تحت سلطان الله، وملك أمر نفسه؟.. هل أخذ على الله عهداً ألا يصيبه بما يكره؟.. وهل ضمن ألا يعود ثانية إلى الأسر، فيقع عليه من النكال والهوان ما لا قبل له به؟... إن كان هذا ظنه، فبئس هذا الظن.. وما أبلغ تصوير القرآن الكريم لحال الإنسان وهو يتقلب بين المتضادات ويعيش بين

المتناقضات : ﴿ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (٦٦) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿ [الإسراء: ٦٦ - ٦٩] .

درس ينبغي أن يعيه كل سائر على درب الدعوة : أن تسلم نفسك لله عز وجل، واعلم أنك في قبضته في كل لحظة، وفي كل نفس، ولن تعجزه هرباً، أياً كانت حيلتك، وما يختاره الله لك، هو الخير كل الخير، وإذا ما كشرت المحنة عن أنيابها، وبدت في الأفق نذر شر، ففر إلى الله، فهو الملجأ، وهو الملاذ، فر إلى الله وقت الرخاء، فيسعفك بلطفه وقت البلاء.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال لي : «يا غلام : إني أعلمك كلمات .. احفظ الله يحفظك .. احفظ الله تجده تجاهك .. تعرّف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة .. واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً» رواه الترمذي وأحمد .

* * * *

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾

[العنكبوت : ٦٠]

حينما اعتقلت عام ١٩٥٤ ، كنت لا أزال طالباً بالحقوق، ولم يكن يشغل بالي حينذاك إلا والدتي التي تجاوزت الستين، وليس لها عهد بمثل هذه الأحداث .

وأذكر وأنا صغير أن حكم على أحد أبناء خالتي بالحبس ٦ أشهر في مشاجرة، فكانت والدتي ومن حولها خالاتي لا يرقأ لهن دمع، ولا يهنأ بنوم... فكيف وابنها الأثير لديها قد أودع السجن دون جريرة، وأحكام محكمة الشعب تترى بالإعدام والأشغال الشاقة والسجن دون ضابط.. وقد انقطعت أخباري ولا سبيل إلى زيارتي أو الاتصال بي من قريب أو بعيد، فقد كان الانتماء إلى الإخوان، ولا يزال، تهمة دونها بكثيرتهم القتل والسرقة والنصب والتزوير وحيازة أطنان المخدرات، والويل كل الويل لمن يثبت أنه بدافع من إنسانيته ومروءته قدم اليسير من المال لزوجة غاب عنها زوجها وأطفال أبرياء لا ذنب لهم، فجزاؤه السجن خمس أو عشر سنوات وربما أكثر، وكذلك من يثبت أنه يحفظ سورة آل عمران أو الأنفال لكونهما تحثان على الجهاد، فكيف وأنا أحفظ القرآن كله.. معنى ذلك الإعدام!!!

إلى جانب ذلك كان يشغلني أمر الدراسة، فقد طال الحبس وحظر علينا تأدية الامتحانات خلافاً لما عليه حال المعتقلين السياسيين في كل

بلاد الدنيا، ولم تكن الأحوال تُنبئ بانفراج، ولسوف أخرج - إن خرجت -
- لأجدني قد تخلفت عن الركب، سوف أجد زملائي وقد تخرجوا
وصاروا محامين، أو انخرطوا في سلك النيابة وربما اعتلوا منصة القضاء،
وسبقني من كنت سابقه.. ورأيتني في حيرة بين أفكار شتى تجذبني ذات
اليمن وذات الشمال...

فما المخرج؟.. وكيف الحيلة؟..

واهتديت لتوى إلى أن المخرج هو كتاب الله تعالى كما يشير إليه
الحديث النبوي الذي يرويه الإمام على كرم الله وجهه، وفيه: «ستكون
فتن كقطع الليل المظلم» قلت: وما المخرج منها يا رسول الله؟.. قال:
«كتاب الله تعالى».

ومن ثم رحلت أسترشده وأستهديه في كل آية أتلوها، فوجدت بين
ثناياه ضالتي في كل ما مر بنا من أحداث، وما اكتنفتنا من ابتلاءات، فكان
نعم الهادي والدليل.

فأما الخوف على المستقبل وسبق زملائي فيرده قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا
بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقوله عز
وجل: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ
اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

الأمر إذن أمر امتحان وابتلاء ﴿لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].. فاستعيد بالله
من الكفر بعد الإيمان، وأتشبث بعاقبة الشكر والصبر، ويؤيد ذلك

الحديث النبوى : «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» . . ويتوج ذلك كله قول الله سبحانه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد : ٣١]، وقوله : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٥ - ١٥٧] . . وما قصه القرآن عن محنة يوسف الصديق والعاقبة الحسنى التى ختم الله بها، وفى القصص القرآنى كله العزاء والسلوى وحسن الأحدثى والنصر والتمكين للمؤمنين الصابرين والعاقبة السوءى للطغاة والمستبدين . . وفى سيرة الرسول ﷺ من الدروس والعبر ما يشفى صدور قوم مؤمنين .

فلم يعد يشغلنى أمر المستقبل فى قليل أو كثير، فوعد الله حق . . إنه لا يخلف الميعاد . .

وأمر آخر كان يشغلنى . . لقد اقتنعت بقضاء الله فيما أنا فيه، ولست أملك إلا التسليم، وما غير الصبر من محيص . . ولكن ماذا يكون الحال عندما تتحرر إرادتى، ويكون لى حرية الاختيار بين الماضى فى طريق الحق أو النكوص عنه - لا قدر الله - ؟ . . هنا بيت القصيد ومربط الفرس . . هنا يأتى الجواب الشافى من كتاب الله : ﴿ قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ

حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى اثْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأْمُرْنَا
لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [الأنعام : ٧١] .

أجل إنهم رفاق الدرب .. إنهم الحصن الذى ينتشلنى من بين براثن
الشياطين، والدرع الواقية من مزلق الطريق حين تكون حرية الاختيار .

يعضد هذا المعنى الأمر الإلهى الجازم الحاسم للنبي الكريم: ﴿ وَأَصْبِرْ
نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ .. ثم النهى فى
نفس الآية عن التولى عن هؤلاء الأصحاب: ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .. ثم النهى عن طاعة أهل الضلال والهوى الذين غفلت
قلوبهم عن ذكر الله وكان مآلهم الخسار والضياع ﴿ وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ
عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] .

وخرجت إلى الحياة محصناً بهذه الدروس القيِّمة غير آبه بتبكيته
الأهل أو تقريع الجاهلين .. ولقد حقق الله لى فى مستقبل أيامى ما لم
أحلم بعشر معشاره، وأفاء على من خيره وبره ما سوف تعرفه بعد قليل .

وتمضى عشر سنوات، وفى عام ١٩٦٥ تطل المحنة برأسها، ولكنها هذه
المررة أشد وأنكى من سابقتها، حيث تزوجت ورزقنى الله أربعة أولاد،
وكان الامتحان .

جاءنى زوار الفجر بعد منتصف ليلة ٢٨ أغسطس ١٩٦٥ ومر بخاطرى
شريط سريع .. ماذا لو حكم على وفصلت من عملى الذى هو مورد رزقى
الأساسى؟ .. واهتديت فى الحال إلى تحرير توكيل لصهرى لصرف مرتب

أغسطس، ثم توكيل لشقيقى لبيع نصيبى فى ميراث والدى من الأرض الزراعية إذا لزم الأمر، ثم تركت الصغار نائمين وودعت الزوجة داعياً ومصبراً، وانطلقت بنا السيارة إلى معتقل القلعة قبيل الفجر وألقيت فى الزنزانة حتى جاء السجنان يدعونى لدورة المياه ثم صليت الصبح، وقضيت سحابة يومى كحال أهل الكهف، وامتد بنا النهار وطال، وجاء الليل يحمل الهموم الثقيل، وتعالى صرخات المعذبين وأنا مهموم لا أدرى ما يفعل بى، ومر يوم آخر كان أكثر طولاً من سابقه.. وفى المساء نودى علىّ ودفعت إلى سيارة مغلقة مع آخرين، انطلقت بنا فى الظلام إلى معتقل أبى زعبل، وكان حينئذ أشد هولاً من سجن القلعة، لقيت فيه من عنق المحققين وبطشهم ما لقيت، ورغم هذه المشغلة كان صوت الزوجة والأولاد يخرق سمعى يطالبنى بالطعام، وعشت فترة شديدة الوطء على نفسى، وانتابنى القلق واستبدت بى الوسوس، وكلما دفعتهما ازدادت شدة وتعلقاً، وبقيت على ذلك أياماً حتى تلا أحدهم هذه الآية: ﴿وَكَايِن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠]. وكأنى رغم حفظى للقرآن كله لم أسمعها إلا الآن، فأفقت من همومى، وجعلت أديرها فى ذهنى وأتملاها وأذكر بها من حولى ممن هم فى مثل حالتى وما أكثرهم، فهدأت نفسى واستقرت بعد طول معاناة.

وفى هذه الأثناء لفت نظرى أمر غريب: اثنان من الجنود يحملان الخبز وآخران يحملان قدر العدس أو الفول أو المقرر من الصابون وغير ذلك فى حراسة رتبة أعلى، قد يظن القارىء أنه أومباشى أو جاويش، ولكن العجب أن يكون ملازم أول أو يوزباشى.. فقلت فى نفسى: لماذا هذه

الرتب العالية لمراقبة توزيع الطعام والصابون وما إليهما؟ .. فجاءنى الجواب من قبل نفسى : ربما لو كان المراقب رتبة أدنى لسولت له نفسه الاحتفاظ لنفسه بشيء من المقرر لنا، بينما الضابط يستحى من ذلك .

فأدركت أن رعاية الله قد هيأت رقباء لا يتطرق إلى نفوسهم الطمع فى شيء من رزقنا .. ويزيد الأمر تأكيداً أن الضابط يؤكد علينا أنه سيمر ثانية فإن وجد عجزاً أكمله .. فأقول فى نفسى : يا سبحان الله !! الله يتكفل برزقنا ونحن وراء القضبان بين مخالبا الأسد، والقوم يسوموننا الخسف والعذاب، فإذا كان هذا حالنا فرعاية الله لأهلنا أرحب وأوسع .. ورحمت أذكر بهذه المعانى من حولى، فكان لها أعظم الأثر فى نفوس الكثيرين .

ومكثنا خلف الأسوار لا نُزار ولا نزور، ولا حس ولا خبر، وعلى أثر النكسة سمح لليهود بزيارة أقاربهم الذين اعتقلوا فى هذه الظروف، فاحتج الأهالى على هذه التفرقة المؤسفة، وتذمر المعتقلون، فلم يسع المسؤولين إلا أن سمحوا بزيارة الأهل .

وفى ٢٧ / ١ / ١٩٦٨ - بعد النكسة بثمانية أشهر - نودى علىّ للقاء الأسرة فى غرفة الزيارات، وكانت لحظات انطلقت فيها المشاعر الحبيسة، ولقد رأيت ابنى « حسام » يندفع فى سيره فيكبو ثم ينهض ثم يكبو تلهفاً على اللقاء، وكان لقاءً مثيراً بعد فراق دام ثلاثين شهراً .. وانتهى وقت الزيارة فإذا بحسام يتشبث بى ويبكى قائلاً : لازم تروح معانا يا بابا ويكررها حتى أهاج مشاعر الحاضرين، ولم أدر ما أقول حتى تدخلت أمه قائلة : لازم نبيض الشقة الأول يا حسام فهدأ الطفل وسكن روعه .. ولم يكد يصل البيت حتى راح يلح فى الإسراع فى بياض الشقة لاستقبال بابا

الذى قضى بعد ذلك أربع سنوات انتهت فى ١٦ أكتوبر ١٩٧١

وكان أول كلامى مع الزوجة السؤال عن أحوالهم عند وقف المرتب، فأدهشنى جوابها بأن المرتب لم ينقطع أبداً.. إذ صرف صهرى مرتب أغسطس بموجب التوكيل.. وعلى الأثر قدم زملائى طلباً لرئيس محكمة النقض باسم زوجتى لصرف المرتب فصدق على الطلب رغم القرار الصادر بوقف المرتبات^(١).

وصارت الزوجة تذهب فى أول كل شهر فيلقاها الزملاء فى المحكمة بالترحيب والإجلال وتصرف المرتب دون عناء.. زيادة على ذلك فإن أهل الخير راحوا يبعثون إليها يعرضون العون المالى فتد شاكراً لهم ذاكراً أن المرتب يصرف كالمعتاد.. وتوافد الأهل والأقارب يحملون ما يزخر به الريف من خيرات.

ويذكر أن أحد أبنائى أصيب بمرض استدعى علاجه أكثر من سنة، فما أن علم الطبيب المعالج بالأمر حتى رد قيمة الكشف وصمم على أن يكون علاجه مهماً طال على حسابه وظل يتابعه حتى شفى تماماً بفضل الله.. وذلك هو الدكتور مصطفى كامل أستاذ الأمراض العصبية بطب عين شمس.. جزاه الله خيراً.

كان المؤمل أن يفرج عنا بعد النكسة، ولكن مراكز القوى ظلت متشبثة بمراكزها.. مستميتة عليها.. حتى أذن الله بإزاحة ذلك الكابوس

(١) كان رئيس المحكمة حينذاك المستشار عادل يونس - من أعظم قضاة مصر نزاهة ورجولة، وقد تصدى بقوة لمذبحة القضاء التى تمت فى ذلك العهد حيث عزل قضاة مصر جميعاً، ثم صدر قرار بتثبيت من رأوا إبقاءه.

الثقيل الذى جثم على صدر مصر قرابة ١٩ عاماً، فرحل عبد الناصر غير مأسوفٍ عليه، وجاء السادات، وأمل الناس فيه خيراً، فبدأ عهده بإطلاق شعارات: دولة العلم والإيمان.. إطلاق الحريات وسيادة القانون. ورغم ذلك ظل الإخوان رهن السجن حتى عام ١٩٧٤ حيث اضطر إلي تصفية المعتقلات رغبة منه فى مواجهة الشيوعيين بالإخوان.. فكانت إرادة الله.

خرجت بعد هذه الغيبة الطويلة ولم توجه إليّ تهمة، فلاحظت زيادة الأعباء العائلية إذ التحق الأولاد الأربعة بالمدارس والمرتب لا يفي.. فماذا أفعل؟

فكرت فى عمل إضافي فاتجهت إلى إعطاء دروس فى اللغة العربية وكذلك الفرنسية التى أتقنتها نسبياً فى المعتقل، ثم التحقت بمكتب أحد المحامين ليلاً علنى أحظى بما يزيد الدخل، وكان جهداً مضمناً، فكتبت إلى أخ عزيز سبقنى إلى الكويت فبعث إلى بدعوة زيارة وتقديم طالباً إجازة بدون مرتب فلقيت مساعدة من الجميع وعلى رأسهم المستشار أحمد حسن هيكل رئيس محكمة النقض آنذاك - جزاه الله خيراً - وأوصى مدير مكتبه أن يقدم لى أقصى ما يمكن من تسهيلات، وقد كان.. وزودنى فوق ذلك بتوصية مكتوبة لبعض زملائه المستشارين المعارين للكويت.

وغادرت إلى الكويت فى اليوم التالى لوفاة والدتى، فتلقانى الإخوة هناك بترحيب بالغ، وأذكر بالفضل والعرفان الأخ الكريم الأستاذ محمد كمال المحامى - رحمه الله - والأخ المستشار سالم البهنساوى رفيقى الدراسة والدعوة وغيرهما، فقد قدم الجميع لى من برهم وعونهم ما يعجز القلم عن الوفاء به.. فجزاهم الله خيراً.

طرقت دواوين الحكومة والمؤسسات، وكانت سوق الحقوقيين حينذاك باثرة، إذ لم تكن الإدارات القانونية بالوزارات قد أنشئت بعد، وكان العثور على وظيفة صعب المنال.. وبقيت عشرة أشهر بلا عمل رغم المحاولات الجادة لمساعدتي، ورغم ذلك كنت سعيداً، فأنا الآن أذوق طعم الحرية ولا يلاحقني زوار الفجر ولا ينغص عيشي مخبر يتردد على مهدياً ومحذراً.

كنت قد حصلت أيام الدراسة على شهادة تفوق في حفظ القرآن الكريم بترتيب الأول على الجمهورية في مسابقة وزارة الأوقاف، فأشار بعضهم بالتقدم بها لوزارة التربية لأعين مدرساً للتربية الإسلامية، وساعدني في ذلك شخصية كويتية مرموقة، واجتزت الامتحان بتفوق، وكدت أطيّر من الفرح، وكانت صدمة شديدة حين تقدمت بأوراق التعيين أن رفض الموظف قبولها لأن الشهادة ليست تربوية وليسانس الحقوق كذلك.

كانت نكسة خيبت كل آمالي ورجعت بي القهقري إلى درجة الصفر.. واستأنفت محاولات في وزارة العدل بتوصية من المستشار صلاح أبو ذكري الذي بذل جهداً مشكوراً وعلمت أن الوظيفة المرشح لها راتبها ١٥٠ ديناراً وكاد التعيين أن يتم لولا أنني فوجئت أن الوزير اختص بها أحد المقربين.

بعد رفض تعييني في التربية تقدمت طالباً تعييني بوظيفة إدارية بها وأشر وكيل الوزارة وكان صديقاً للأخ محمد كمال بالموافقة، وطال انتظاري، وبسؤالي الموظف المسئول أجاب بأنه لا يوجد في الميزانية درجة

شاغرة.. قلت : ولا درجة راتب مقطوع؟ قال : ولا راتب مقطوع.. وكان كل الجامعيين المعينين على راتب مقطوع لا يزيد راتبهم على ١٠٠ دينار.

وحدثت الكرامة :

عدت إلى البيت كسيف البال مهموماً وارتميت على السرير يائساً، وبينما أنا بين النوم واليقظة سمعت من يناديني.. مبروك.. مبروك.. فقلت : خيراً إن شاء الله.. فقال : قبلت في ديوان المحاسبة.. فهويت لتوى ساجداً لله شاكراً... ثم قال : توجه بالأوراق غداً إلى ديوان المحاسبة.. وهناك سمعت عجباً : تلقاني الموظف بترحاب بالغ قائلاً : والله باين عليك راجل طيب.. قال : الديوان كان طالب ثلاثة حقوقيين ولكن ترتيبك بين המתحنيين جاء الرابع.. ثم ماذا؟.. قال : الأولى على الدفعة كانت أخت مصرية، فرأى الديوان إلحاقها بوظيفة إدارية، فكنت مكانها!!.. والعجيب أن قبولى في الديوان كان ميئوساً منه تماماً، فقد كان المتقدمون لشغل ثلاث وظائف ١١٠ من القانونيين وكنت قد نسيت الموضوع بالمرّة.

أتدرى أيها القارئ الكريم كم كان الراتب؟..

لا تعجب، فله في خلقه شئون.. ادخري فوق ما كنت أتصور!!

عينت على الدرجة الخامسة براتب قدره ٢٣٥ ديناراً.. وبعد قرابة شهرين توفي رئيس الديوان فجأة، وأعقبه رئيس جديد رأى أن يتقرب إلى الموظفين فسأل عن الدرجات الخالية، ولما علم أن موظفين فنيين على الدرجة الخامسة استنكر ذلك قائلاً : لا ينبغي أن يكون مراجعاً على الوزارات والمؤسسات على الدرجة الخامسة.. وجرت حركة ترقيات ظفرت

بموجبها بالدرجة الرابعة وارتفع راتبى إلى ٢٩٥ ديناراً.. ضعف ما كنت
آمله من وزارة العدل، وثلاثة أضعاف راتب التربية، وأدركت بذلك
موظفين سبقونى إلى الديوان بعشر سنين!!

وألحق أولادى بمدرسة الإرشاد الإسلامى التى أعفتهم فى أول سنة من
نصف المصروفات إكراماً لى، ومن النصف الباقى بسبب تفوقهم فى
مسابقة القرآن الكريم التى تجريها المدرسة سنوياً، وكان أولادى جميعهم
بحمد الله الأوائل فى مسابقة القرآن حتى آخر عهدهم بالدراسة الثانوية
هناك.. وبقيت فى الكويت إلى الغزو.. وقد حصلت على الدرجة الأولى
أعلى درجة فى السلم الوظيفى، وأفاء الله على من خيره وبره ما لو بقيت
ساجداً ما بقى من عمرى، ما وفيت ربه بعض حقه.. فبعد أن بلغت
السن القانونية فى ٣١/٣/١٩٨٨ مد الديوان خدمتى ثلاث سنوات
قطعها غزو الكويت فى ٢/٨/١٩٩٠.

وقد تخرج أولادى الستة ما بين طبيب وصيدلى ومهندس.. والله الحمد
والمنة.

بقيت طريفة أسوقها.. جلست مع قريب لى كان كثيراً ما يبكتنى
لولوجى هذا السبيل وقد عرف ما ساقه الله إلى وإلى كثير ممن يعرفهم من
خير وفير فانطلق بهذا الموال:

رضوان وجد ناس فى الجنة وراودهم...

دخلتم منين؟ دانا الأبواب راددهم...

قالوا: احنا اللى ربنا راضى عنا، وفاتح لنا أبواب غير اللى أنت

رأدهم...

وصدق الله العظيم: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠].

وأعود لأذكر بهاتيك الآيات التي اعتصمت بها في بحر المحنة:

* ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾

[الفرقان: ٢٠].

* ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

* ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾

[محمد: ٣١].

ثم، فهل تحقق وعد الله معنا؟... أترك الجواب للقارىء العزيز.. أما أنا فاقول بملء الفم.. نعم، أنجز الله وعده ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦].

هو أنا الرزاق؟ .. دانا عبد الرزاق !!

«من أمسى كالأمن عمل يده أمسى مغفوراً له، وإن نبي
الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده»

فى قرية من قرى محافظة دمياط كان الأخ إبراهيم... يشتغل بحرفة
الصيد، كل ما يملكه من حطام هذه الدنيا شبكة، يحملها على عاتقه مع
شروق الشمس، وينطلق إلى البحر يسحب وراءه عنزة له مع صغارها،
يتركها ترعى وينصرف هو إلى هوايته، ثم يعود آخر النهار مزوداً بالرزق
الحلال، وتروح العنزة وصغارها بطاناً وقد غدت فى الصباح خماصاً.

رزق يوم بيوم.. لا يشغل باله برزق الغد.. ولسان حاله يقول:

ما مضى فوات والمؤمل غيب

ولك الساعة التى أنت فيها

ذهبت القوة لاعتقاله - وكان ذلك فى شهر سبتمبر ١٩٦٥ -
وكدأبهم دائماً ذكروا له أنه مطلوب خمس دقائق لسؤاله فى المركز، ولكن
الأخ حذر زوجته من الانخداع بمعسول كلامهم قائلاً لها: لا تصدقنى هذا
الكلام.. إذا أنا تأخرت بيعى المعزة وأولادها واتسوقى للأولاد أى حاجة
وربنا يعينك.. ويخرج معهم ليعود بعد خمس سنوات وعدة أشهر!!..
يعنى دقيقة المباحث بسنة وأكثر!!!..

وفى المعتقل، كان الإخوان الذين يعرفون ظروف الأخ إبراهيم كثيراً ما

يروحون عنه : شد حيلك يا عم إبراهيم .. الله يكون فى عونك .. فكان
الأخ إبراهيم يتبرم بما يقولون ويجيبهم : أنتم بتعزوني يا جماعة؟! .. هو
أنا الرزاق ... بهذا المنطق البسيط والعميق كان يرد على إخوانه .

ودارت الأيام دورتها، وحلت بمصر هزيمة ٥ يونيو الساحقة، وسمح
للأهالى بعدها بالزيارات .. وجاءت زوجة الأخ إبراهيم وأولاده لزيارته ..
يحملون له من أطايب الطعام ما لم يكن يحلم به فى سنوات مضت،
والأولاد وقد بدا عليهم العز الذى لم يروه فى وجوه أبيهم .. وراحت
زوجته تطمئنه أنها نفذت وصيته وانطلقت إلى السوق تاجرة فى الجبن
والزبد، وما أن علم أهل الخير بأمرها حتى تزاحموا عليها بالمناكب .. كل
يريد أن يكون له قصب السبق فى مساعدتها بطريق الشراء منها، ووجدت
نفسها عاجزة عن تلبية رغبات الجميع فرتبت لكل واحد دوره حسب
أسبقية الحجز .

وأفاض الله « الرزاق » عليها وعلى أولادها وعلى إبراهيم من خيره وبره
أضعاف أضعاف ما كان يأتيهم على يد (عبد الرزاق) وصارت بين
الإخوان مثلاً : « هو أنا الرزاق؟! ... دانا عبد الرزاق » .

* * *

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ .. ﴾

أفرج عني في فبراير ١٩٥٦ بعد عشرين شهراً قضيتها في ظلام السجن الحربي اللعين .. زيد عليها أسبوع في معتقل القلعة تلقينا خلالها محاضرات عن الثورة وإنجازاتها المذهلة ومشاريعها العملاقة .. وخرجت إلى المجتمع أتلف أشبه ما أكون بفتى أصحاب الكهف الذي انطلق ليأتيهم بالطعام، وهو خائف يترقب، فإذا كل شيء قد تغير، وإذا بالناس ليسوا هم الناس، وإذا بعبد الناصر وقد تخلص من أخطر منافسيه قد استتب له الأمر، وترجع على عرش مصر، ولسان حاله يقول ما قاله جده الأعلى فرعون: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨].

ووجدتني وحيداً .. لا أنيس ولا جليس .. وقد تفرق الجمع المبارك .. وخلت الساحة من الشباب الطاهر من رفاق الدرب .. وأضحوا بين شهيد ومعتقل وسجين .. ومنهم من آثر العافية، وركن إلى آلامه، وانكفأ على نفسه، يلحق جراحه، ويللمم ما تشتت من أمره .. تلقاه فيعرض عنك، وكأن لم تكن بينك وبينه مودة، وكأن لم يجمعكما المبدأ أعواماً طويلة ولسان حاله يقول:

أنست بوحدتي ولزمت بييتي

فطاب الأنس لي وصفاً السرور

وأدبني الزمان فلا أبالي

بأنني لا أزار ولا أزور

ولست بسائل إن عشت يوماً

أسرار الجنند أم ركب الأمير

فأترحم على أيام خلت، وليال أدبرت، عشناها في رحاب الحب في الله
والأخوة فيه، وكان أحدنا لا يطيق مفارقة هؤلاء الصاحب، ويحس مع
فراقهم باختناق، فكأننا جميعاً جسد واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى
له سائر الجسد بالسهر والحمى .

كنت تخرج إلى الشارع، فتري على كل ناصية جنماً من هؤلاء
الشباب، فتأنس بهم ويأنسون بك، وتذهب لصلاة الجمعة في مسجد
القوادرية أو مسجد قبة الفداوية، حيث يلتقى الشباب بعد الصلاة في
الحديقة المجاورة، يتجاذبون أطراف الحديث، ثم تفارقهم وقد تزودت بزاد
طيب تحس معه بأنك جزء من كيان حى .. والآن وقد انفض الجمع، وتمزق
الشميل، وعيون الرقباء ترصدك وتحصى عليك أنفاسك .. فماذا أنت
فاعل؟ ..

لقد كانت محنة من لون آخر .. خرجت من سجن محدود إلى سجن
ليست له حدود .. فقد تحولت مصر كلها سجناً يهدد كل حر يعيش على
أرضها .. صورته الشاعر الموهوب والداعية الثبت د . القرضاوى فى نونيته:

قل للذى جعل الكنانة كلها

سجناً وبات الشعب شر سجين

يا أيها المغرور فى سلطانه

أمن النضار خلقت أم من طين؟

يا من أسأت لكل من قد أحسنوا

لك دائنين فكنت شر مدين

يا ذئب غدر نصّبوه راعياً

والذئب لم يك ساعة بأمين

يا من زرعت الشر لن تجنى سوى

شر وحق قد فى الصدور دفين

سيزول حكمك يا ظلوم كما انقضت

دول أولاتُ عساكر وحصون

ستهب عاصفة تدك بناءه

دكاً.. وركن الظلم غير ركين

خرجت ذات ليلة أسرى عن نفسى بعض ما أجد من مرارة الوحدة،
فلقيت ماهو أشد هولاً: الزينات تملأ الشوارع، والأنوار تخطف الأبصار،
والأعلام ترفرف هنا وهناك، والتهنئات بحياة القائد الملهم تشق عنان
السماء، وقد عاد توأ بعد أن رفع العلم المصرى على قرية شالوفة إيداناً
بجلاء آخر جندى بريطانى عن أرض مصر.. رأيتنى فى وادٍ، والناس كلهم
فى وادٍ... لقد حل بى من اليأس ما حل، وتواردت الأفكار السوداء على
خاطرى، ورحت أسائل نفسى: هل كنا يا ترى على حق فى مواجهة زمرة
الانقلاب؟.. أم أننا ضللنا الطريق؟.. هؤلاء الأطهار الذين نكل بهم وقد
عاشرت الكثيرين منهم فوجدتهم أقرب شبه بالملائكة.. هؤلاء الرجال

الذين علّقوا على أعواد المشانق وغيرهم ممن دسوا في التراب وكانوا منارات على الطريق.. هل راحت دماؤهم هدراً؟.. وما هذه البيعة التي بايعنا الله فيها على أن نعمل لنصرة شريعته وإعزاز دينه.. ما مصيرها؟... وعشرات الأسئلة تواردت إلى ذهني، ولا أجد من يجيبني عنها، والقيادة كلها وراء القضبان... وأظلمت الدنيا في عيني.. وكانت فتنة في الدين لولا نفحة من نور الوحي الذي وكأنه هبط علىّ بالجواب الحاسم الجازم، يلقيه في روعي ملك كريم من قصة قارون، فرحت أديرها في ذهني وأكررها وأتذوق حلّوتها.

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَو لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآنَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا

لِّلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾

[القصص: ٧٦ - ٨٣].

فانجابت عن نفسي غاشية ثقيلة من الهم كادت تقتلني، ولا زلت
أعيش في أنوار هذه الآيات الكريمة.

* * *

﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾

فى أعقاب حادث المنشية المزعوم، وفى نفس الليلة انطلقت أجهزة الأمن والمخابرات الحربية والفرق الخاصة فى كل أنحاء مصر، تعتقل كل من يظن أنه على أدنى صلة بالجماعة فى حملة محمومة لم تشهد لها البلاد مثيلاً فى أحلك أيام الاحتلال البريطانى .

وفى ساعات قليلة غصت السجون بألاف الأبرياء الذين لا علاقة لهم بالحادث من قريب أو بعيد، وخصص السجن الحربى اللعين لاستقبال قادة الجماعة ومن يلونهم من رجال الصف الأول، فضلاً عن أعداد غفيرة حشرت بصورة عشوائية حيث صب العذاب على الجميع بلا هوادة ولا رحمة، وأضحت ساحة ذلك السجن غابة لا سلطان فيها إلا للظفر والنباب عبّر عنها الشاعر الموهوب الدكتور يوسف القرضاوى فى نونيته المشهورة:

يتلقفون القادمين كأنهم

عـثـروا على كنز لديك ثمين

بالرجل، بالكرباج، باليد، بالعصا

وبكل أسلوب أخس مهين

لا يقدرون مفكراً ولوائه

فى عقل سقراط وأفلاطون

لا يعبأون بصالح ولوائه

فى زهد عيسى أو تقى هارون

لا يرحمون الشيخ وهو محطم

والظهر منه تراه كالعرجون^(١)

لا يشفقون على المريض وطالما

زادوا عليه بقسوة وجنون

وهناك وزع المعتقلون إلى سرايا، ينخرط الجميع في طابور ذنب (تكدير) من الصباح إلى المساء عدا فترة قصيرة للغذاء.. وخص الأستاذ الهضيبي رحمه الله بالنصيب الأوفر من الأذى، فأجبر على ارتداء أوفرول أزرق من المخصص لعتاة المجرمين، وصادروا مع ذلك نظارته الطبية دون مراعاة لسنه أو وضعه الاجتماعي كمستشار له مكانته واعتباره.

وما أصدق ما وصف به الشيخ الغزالي ذلك الطاغية حين قال: «لقد قضى على رجولة الرجال بالحديد والنار».. ولكن رجالاً وشباباً استعلوا على المحنة وصمدوا لأهوالها وشدائدتها عبر عنها الدكتور يوسف القرضاوى فى خطابه للطاغية:

بليت سياتك والعزائم لم تنزل

منا كحد الصارم المسنون

إنا لعمري إن صممتنا برهة

فالنار فى البركان ذات كمون

(١) عرجون النخلة: عنقها الذى يحمل التمر حين يجف يتقوس فيصير مثل الهلال، ويفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ آدَا كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]

تالله ما الدعوات تهزم بالأذى
أبدأ وفى التـاريخ برّيمين
ضع فى يدى القييد ألهب أضلعي
بالسوط ضع عنقى على السكين
لن تستطيع حصار فكرى ساعة
أو نزع إيمانى ونور يقـينى
النور فى قلبى، وقلبى فى يدى
ربى، وربى حافظى ومـعـينى
سأظل معتصماً بحبل عقيدتى
وأموت مبتسماً ليحيا دينى

نعود إلى مأساة الطابور: تصطف السرايا ويتبع كل سرية فرقة من الجند
وبأيديهم السياط والعصى الغليظة، يلهبون بها ظهور الأحرار ووجوههم،
فيخر كبار السن والمرضى تحت الأقدام ولا من يرحم.. ثم يؤتى بفريق من
كبار الضباط ليشهدوا المأساة، ولا يكاد الجنود يرونهم حتى يتباروا فى
الأذى ليظفروا بالترقية (شريط) وعلاوة إجرام قيل إنها ٦٠ قرشاً فى
الشهر.

وبلغ الإرهاق بالمؤمنين غايته وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر،
وإذا بأحد الإخوان يهمس مذكراً بسورة « البروج » فإذا بآياتها المعبرة تسرى
بين الصفوف فتنسب أنوارها بين الضلوع تثبت المؤمنين وتشد أزهرهم

وتشوقهم إلى الجنة في نشيد عذب مريح:

﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦)
وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ ﴾ ...

وتسترسل الآيات ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ (١٣)
وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ
حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ
مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ ... إلى آخر السورة.

وكان جبريل الأمين نزل بها لتوه يعزي المؤمنين ويشد أزرهم ...

وهبت رياح الجنة ونسمات الفردوس الأعلى تهفهم على جراح
المؤمنين وتحيلها برداً وسلاماً وأمناً واطمئناناً، وأدركوا بيقين معية الله لهم،
وحدبه عليهم، وأن عينه ساهرة لا تغفل عما يعمل الظالمون.. فهانت
على المؤمنين الصعاب، وأهل الباطل لا يدرون أن الله مع المؤمنين، وأنه لا
يحب الظالمين، ولا يهدي كيد الخائنين (١).

(١) راجع ما كتبه الشهيد سيد قطب في الظلال «سورة البروج».

يوم مشهود

يتجلى فيه جلال الوحي الإلهي

فى إحدى ليالى الصيف نفذ الماء من إحدى الزنازين، ففرع نزلؤها باب الزنازة يطلبون من الماء ما يروى ظمأهم، وما هى إلا أن سيقوا فى الليل إلى فناء السجن ونكل بهم شر تنكيل، وبتنا شر ليلة ونحن لا نعلم حقيقة ما وقع إلا فى الصباح. واستطاع بعض الإخوة الذين برعوا فى ترويض الجلادين أن يقنعوا الباشجاويش أمين الذى كان يعد نفسه وكأنه أحد صانعى انقلاب ٢٣ يوليو - استطاعوا أن يقنعوه بفكرة حشد الإخوان فى فناء السجن الكبير بعد العصر يستمعون إلى شىء من القرآن تطيب به نفوسهم، وقد كان.

احتشد الإخوان وتبارى القراء فى تلاوة مختارات من كتاب الله تناسب المقام، فتلا أحدهم قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧-١٤٨].

وتبعه آخر فتلا من قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [إبراهيم: ١٢-٢٣].

ثم قام الأستاذ محمد فريد عبد الخالق - مد الله فى عمره - وهو من الرعييل الأول وصهر الأخ صلاح شادى رحمه الله، وذكرنا بسنة الله فى

الابتلاء إلى أن قال: إنكم تتربّون الآن في هذا المكان كما تربّي موسى عليه السلام في حجر فرعون لأمر عظيم يهيئكم الله له .

وهنا حان وقت أذان المغرب، فارتفع صوت المؤذن يشق الفضاء « الله أكبر.. الله أكبر» وكأننا وسط هذا الجو الغامر بجلال الوحي نسمع الأذان لأول مرة!!... وأمّ الجمع الشيخ يوسف القرضاوى فقرأ من قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ...﴾ إلى آخر سورة [آل عمران: ١٨٦-٢٠٠].

واستحالت الغابة^(١) التي طالما شهدت ألوان العذاب وصنوف البلاء إلى محراب كبير، وإن شئت قلت إلى جنة فيحاء تحفها الملائكة وتغشاها الرحمة وتتنزل السكينة وتجلى الله على أوليائه ونصراء دعوته بنظرة الرضا والقبول يباهى بهم ملائكته المكرمين .

حركت هذه الآيات كوامن الشجن، ورأيت الإخوان وأعينهم تفيض من الدمع من جلال ما سمعوا.. نزلت الآيات على قلوبهم غضة ندية، وكان جبريل الأمين يخصصهم بها يحمل إليهم من ربهم أجمل العزاء الذى يتجلى فى كل آية بل فى كل كلمة وبالأخص قوله تعالى:

* ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران :

١٣٩].

(١) تلك الغابة وصفها أحدهم فى قصيدة طويلة أذكر منها:

عليها رجال شداد غلاظ .: صغيرهمو فى الأذى قد برع

وشىخ عجوز يريد القيام .: فلا يستطيع سوى أن يقع

* ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾
[آل عمران: ١٤٣] [الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا].

* ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾
[إبراهيم: ١٢].

* ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ
ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾
[إبراهيم: ١٣-١٤].

* ﴿تُبَلَّوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ
الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

* ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ
أُنْثَىٰ...﴾ [آل عمران: ١٩٥].

* ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا
لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدِ
اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

* ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ
جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧].

لقد سمعنا القرآن غصبا طريا كأول ما نزل به الوحي، فكانت أصوات
القراء تدور فى النفس كأنها بعض السر الذى يدور فى نظام العالم،
وكانت القلوب وهى تتلقى الآيات كقلب الشجرة يتناول الماء ويكسوها

منه . واهتز المكان كأنما تجلى المتكلم سبحانه وتعالى فى كلامه وبدت النجوم كأنها واقفة تستأذن ربها أن تضىء من هذا النور . . وكنا نسمع القرآن وكأنما محيت الدنيا التى فى الخارج من هذا السجن الذى استحال محراباً فسيحاً وبطل باطلها فلم يبق على وجه الأرض إلا هذه النخبة الطاهرة التى وكأنها هى التى عنها رسول الله ﷺ بقوله : « لا تزال طائفة من أمتى قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون » .

وكانما محيت أرض هذا السجن اللعين لتحل محلها قطعة من الفردوس الأعلى ، وصارت المحنة منحة . . . والبلاء منة . . . وعاد الإخوان إلى مساكنهم والبشر يطفح على وجوههم بما سمعوا فرحين مستبشرين بما آتاهم الله من فضله : ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٤] .

وليس على القارى الكريم إلا أن يتناول المصحف ليعيش مع هذه الآيات ، ليستشعر آثار رحمة الله بالمؤمنين عند الشدة ، فالقرآن خير زاد لمن وعى وتدبر ، ولتكن تلاوته وتدبره شغلك الشاغل فى عسرك ويسرك ، وسرائك وضرائك لتحظى بالرضا والقبول .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿ [يونس : ٥٧ ، ٥٨] .

وأنتم يا شباب الدعوة ، خذوا زادكم من هذا النور ما استطعتم .

* * *

من فقه الكتاب

للأستاذ البهي الخولي (*)

حدثني المرشد الشهيد الأستاذ حسن البنا رحمه الله، أن جماعة زاروه وهو منهمك بأمر هام جداً في غرفة أخرى مع بعض أهله.. فأمر أن تُعد لهم القهوة، ومكث حتى شربوها دون أن يخرج إليهم، ثم خرج إليهم وجلس يقدم عذره بأنه لا يستطيع أن يجلس معهم كثيراً لاضطراره إلى استئناف النظر في أمر هام مع آخرين، فغضبوا - وكانوا من الأصدقاء لا من الإخوان-، واعتبروا ذلك إهانة، فقال لهم: نحتكم إلى كتاب الله: لقد أمر الإسلام بالاستئناس، وأنتم لم تستأنسوا، فقد تأخرت عنكم، وأخرجت لكم القهوة بدون حضوري؛ وذلك موجب للانصراف لدى بصائر المستأنسين...

هذه واحدة، أما الأخرى.. فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨] وأنا لم أقل ارجعوا، بل قدمت القهوة، وجئت أعتذر.. فإذا كنتم تغضبون لما فعلت فكيف يكون غضبكم لو أني أمرتكم بما هو أزكى لكم فقلت: ارجعوا كما أمر الله وجل؟...

قال رضى الله عنه - وكانوا من أهل الفقه - : فسُرُّوا بذلك كثيراً، وانصرفوا شاكرين...

* * *

(*) مجلة «المسلمون» العدد الثانى - السنة الثالثة - ديسمبر ١٩٥٣ .

الفصل الثالث

أنفاس معدودة في أماكن محدودة

كانت أمنية بعض الضباط أن يتحولوا إلى ضباط مباحث، لما يضمنه ذلك لهم من امتيازات وقرب من الجهات العليا.. وفى سبيل ذلك، كانوا يلجأون إلى كل الطرق التى ترضى رؤساءهم وتبلغهم مرادهم، ولا يكون ذلك إلا من خلال المعتقلين، حيث يبذلون جهدهم لاستمالة بعض هؤلاء من الذين يبدو أنهم ساخطون، فيستغلون فيهم نقطة الضعف هذه لجرهم إلى كتابة تأييد للرئيس وللنظام، والتبرؤ من الجماعة.. كنا نسمى هذه العملية (الزحلوقة) بمعنى أنهم يغرون الأخ بكتابة برقية تأييد للرئيس، ويعدونه بالإفراج، فينخدع بوعدهم ويكتب البرقية، ثم تحدث إفراجات لا تطوله، فيذهب إليهم معاتباً فيطلبون منه أن يكتب مفاصلة للجماعة وسيكون اسمه فى أول كشف، فينخدع ويكتب، ثم تأتى إفراجات لا تطوله، فيذهب معاتباً فيقال له: إنك غير جاد فيما تكتب، لأنك لا تزال كما نشاهد على وفاق مع فلان وفلان المتشددين، فيعود وقد عزم على مقاطعة إخوانه هؤلاء، فلا يجالسهم، ولا يؤاكلهم، ولا يصحبهم فى ساعات الفسح كما كان يفعل.. زد على ذلك، أنه عندما يعلم الإخوان أنه كتب يؤيد ويفاصل الجماعة ويعتزل إخوانه، فإن الإخوان بدورهم -ولهم عذرهم- يحترسون منه، فيجد نفسه معزولاً، فلا الإخوان مطمئنون إليه ولا إدارة المعتقل راضية عنه.. وهكذا يظلون يلاحقونه حتى يكلفوه بكتابة تقرير عن إخوانه المقيمين معه فى العنبر، بعد أن تكون نفسه قد وهنت، وروحه المعنوية قد هبطت إلى الحضيض، لتعلقه بالإفراج من غير ما طائل، وإذا بدا له أن يعود إلى حضن إخوانه صعب عليه الأمر، ولا يسترد مكانته إن استطاع إلا بعد لآى ومشقة.

كان من بين هؤلاء الضباط يوزباشى اسمه (أحمد سالم) وكان
داهية .. ناعم اللمس .. لسانه يقطر حلاوة .. وتحت أنيابه السم الزعاف ..
كان يجيد دوره تماماً .. ويظل يدأب حتى يستدرج ضحيته .

استدعاني يوماً إلى مكتبه، بمعتقل طرة، ورحب بي، ودعا لى بفنجان
من القهوة، ثم راح يذكرنى بأنا بلديات، فهو من صهرجت الكبرى مركز
ميت غمر، وأنا فى المقابل من مركز زفتى، ولا يفصل بلدينا إلا نهر النيل
(فرع دمياط) وأنه يعرف من بلدنا فلاناً وفلاناً .. ثم شرع يمارس استدراجه
لى فسألنى : هل أنت مبسوط فى المعتقل ؟ .. فكان ردى : هذا طبعاً
مستحيل، وأنت خبير بالمثل القائل : يغور السجن ولو كان جنينة ..
والقرآن الكريم فى وصفه للجنة يقول : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾
[ص : ٥٠] ، فلو أغلقت أبوابها لفقدت صفتها ولصارت إلى السجن
أقرب .

عاد الداهية المفتون يضرب على الوتر .. أولادك يا أخى محتاجين
لك .. قلت له : هل اشتكى لك الأولاد من شىء ؟ .. ثم أردفت : هذا أمر
لا يهمنى .. وتفكيرى منصرف إلى ما هو أهم : هل أعود إلى بيتى
وأولادى ؟ أم أخرج من هنا إلى القبر ؟ .. ثم أكدت ذلك بأن ضربت له
مثلاً مضمونه أن لى فى هذا المكان (سبت عيش وجرة ماء وقربة نفس) ،
لما يخلصوا أخرج إلى حيث يشاء الله .. وبذلك وعن قصد، أوصدت
الباب فى وجهه تماماً، وانتهى اللقاء ولم يظفر صاحبنا منى بما كان يبغى
ويتمنى .

وهذه الفكرة صحبتنى منذ دلفت إلى المعتقل، فأفادتنى فى كل

المواقف .. كان الأهل والأقارب يزوروننى ويطلب أحدهم أن أسطر برقية من بضع كلمات تنقذنى من ظلام السجن، فأتذرع بهذه الفكرة: سأخرج حين ينفد ما قدر لى من طعام وشراب ونفس، فيئسوا تماماً من الاستمرار فى نصائحهم.

و شاء الله عز وجل أن يكون هذا الضابط هو المشرف على عملية الإفراج يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧١ الذى تقرر فيه الإفراج عنى، وبعد الفراغ من الإجراءات، وصرت خارج المعتقل، قفزت إلى ذهنى فكرة تذكيره بالمثل.. فعدت إليه أرجوه أن يأذن لى بالدخول متعللاً بأن لى شنطة تركتها فى الداخل - ولم أكن فى الحقيقة فى حاجة إليها لقدمها - فاعتذر لى بشدة قائلاً: لا يا أستاذ أحمد هذا طبعاً ممنوع، وكان ردى على الفور: طبعاً ممنوع لأن ما قدر لى من طعام وشراب ونفس قد نفذ، وبعبارة أخرى « ما عدش لى عيش هناك » .

فسبحان الله العظيم ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد: ٨].

المنشر وتطبيق الشريعة

فى معتقل طرة، أقام الإخوان منشراً للغسيل، فكان الهواء يحمل الملابس فتختلط ببعضها البعض، فاقترح أحدهم وضع قفص كبير من الحديد فى ركن بين العنابر، أذاعوا على المعتقلين أن من يجد بين ملابسہ ملابس ليست له، فليس عليه إلا أن يدعها فى القفص.. فكانت فكرة طيبة استراح لها الجميع، فكان الأخ إذا تحسس شيئاً من ملابسہ فلم يجده يذهب إلى حيث يوجد القفص فيجدها.

وحدث أن مر الأستاذ الهضيبى - رحمه الله - فسأل عن أمر هذا القفص، فشرح له الإخوان الفكرة فاستحسنها كثيراً، وقال معلقاً: هذا مثل حى نسوقه إلى هؤلاء الذين يعترضون على تطبيق الشريعة الإسلامية ويرمون أحكامها بالقسوة والغلظة، ونقول: إنه حين يسود الفهم الصحيح للإسلام بمعناه الشامل الذى يتناول شؤون الحياة كلها، ويزداد الناس معرفة بالحلال والحرام، وتهياً لهم سبل العيش الكريمة، يسود الأمن وتنمحي الجريمة، وما وجدت بين الناس عارياً ولا جائعاً ولا مغبوناً.

وللعلامة الدكتور السنهورى - رحمه الله - كلمة يقدم بها الشريعة فى مقدمة كتاب « العقد فى القانون المدنى » جاء فيها:

شريعة الله، ومصدر إلهامه، نبتت فى صحرائه، وترعرعت فى سهوله ووديانه، فهى قبس من نور الوحى الإلهى، ومشكاة من نور الإسلام، يضىء هذا بنور ذلك، ويسرى فى ذاك روح هذا حتى يكوننا الشريعة

الإسلامية .

هذه الشريعة الغراء، لو وُطئت أكنافها وعُبِّدت سبلها، لكان لنا في هذا التراث الجليل الخالد ما ينفخ روح الاستقلال في فقهِنا وفي قضائنا وفي تشريعنا، ولأشرفنا نطالع العالم بهذا النور الوهاج الذي سطع لآلؤه يوماً فأضاء الخافقين (١) .

* * *

(١) مقتبس من مؤلفاته - رحمه الله - بتصرف .

الرئيس المؤمن

تولى السادات الحكم بعد رحيل عبد الناصر باعتباره نائباً له، واستهل ولايته بمظاهر خادعة وشعارات براقية يوطد بها سلطانه ويثبت بها شعبيته، فأعلن عن قيام دولة العلم والإيمان وقوامها سيادة القانون وصيانة الحريات، وأطلق عليه حملة المباخر والمنتفعون لقب الرئيس المؤمن، وانطلق في خطبه يصدّرها بآيات من القرآن الكريم، ويُعرض بمسلك سلفه، حتى ظن الكثيرون أن عهداً جديداً قد بدأ، وأن الرجل كان بريئاً مما اشتهر به سلفه من تسلط واستكبار أودى بالوطن بل بالأمة كلها إلى هزيمة بلقاء مشهورة، ومرغ وجه الأمة في الوحل والطين، وانخدع بهذه المظاهر مثقفون كبار، وانطلى عليهم هذا الزور ولم ينج من دخانه نفر من المعتقلين الذين استهواهم هذا اللون من التمثيل الرخيص، وانطلقوا وهم خلف الأسوار يدعون إلى تأييد الرئيس المؤمن الذي كان في نظرهم من الإخوان المقربين من الإمام حسن البنا، ولم يكن يقعد به عن مناصرة الدعوة إلا تسلط عبد الناصر وجبروته، وهو الآن وبعد رحيل الطاغية قد استرد هويته، وملك زمام نفسه، وأضحى توجهه الإسلامي حقيقة لا شك فيها، فلا تضيعوا هذه الفرصة والتفوا حول الرجل ليقودكم إلى عز الإسلام ومجده، وقبل أن يستقطبه دعاة السوء.

ولكن رجالاً ممن أنار الله بصائرهم وصقلتهم التجارب تصدوا لإحباط هذه الفكرة ووأدها في مهدها، وذكروا إخوانهم بأمور غابت عنهم في زحمة الأحداث.. أليس أنور السادات هو صاحب القلم الذي طالما شهره

فى الطعن على الإخوان وسطر به سلسلة مقالات تقطر حقداً وضغناً على المرشد حسن الهضيبى حين كان - أى السادات - رئيساً لتحرير جريدة الجمهورية عام ١٩٥٤ عنوانها: «الله معنا وليس مع الهضيبى؟» .

ألم يكن أنور السادات عضو اليمين فى محكمة الشعب التى كان يرأسها قائد الجناح جمال سالم، والتى حكمت بإعدام المرشد وستة من قيادة الجماعة فى مقدمتهم الشهداء: عبد القادر عودة والشيخ محمد فرغلى ويوسف طلعت وإخوانهم؟ ..

ورجحت فى النهاية حجة الفريق الراشد ووثدت الفتنة فى مهدها، وعاد إلى المخدوعين وعيمهم ..!!

وجاءت أحداث سبتمبر ١٩٨١ لتكشف خبيثة السادات، وينال الإخوان على يديه من الأذى والعنت ما طارت به الأخبار، وخص الأستاذ عمر التلمسانى بالنصيب الأوفر من هذا الاضطهاد .

كنا فى ذلك الوقت على مشارف شهر رمضان المبارك، فتواصى الإخوان فيما بينهم على إحياء هذا الشهر الكريم بتلاوة القرآن ومدارسته والتقرب إلى الله بكل ألوان الطاعات، فذلك هو السبيل الأمثل الذى يرضى به الله عنا ويفرج كرباتنا .

* * *

رد اعتبار

المربي الفاضل الأستاذ محمد عبد الحميد أحمد - رحمه الله - من شيوخ الدعوة السابقين إليها منذ سنيها الأولى، ومن ساهموا في تربية الجيل الإخواني الأول وما تبعه من أجيال.. وقد عاصر الصراع بين «الأصيل» متمثلاً في الأديب الفذ مصطفى صادق الرافعي، «والمحدث الوافد» وأقطابه طه حسين وعلي عبد الرازق وسلامة موسى وأضرابهم ممن فُتِنوا بحضارة الغرب وقدسوها وأداروا ظهورهم للإسلام وحضارته، بل عاشوا يكيِّدون له ويشككون في أصالته وكانوا أعلى صوتاً وأعز جانباً، وبسط لهم الاستعمار يده وآزرهم حتى ترجمت كتاباتهم إلى العديد من اللغات.

تفتحت عيناه على رموز هذا الصراع حين نزع من قرينته من أعمال شبراخيت إلى كلية الآداب طالباً، وهناك وجد ضالته، حيث التقى بالأستاذ البنا وبايعه على العمل لهذه الدعوة، وظل ثابتاً على العهد منافحاً عن مبدئه بقلمه ولسانه لا يننى ولا ينثنى، وقد اعتقل مع الرعيل الأول في عام ١٩٤٨، ثم في عام ١٩٥٤ ثم في عام ١٩٦٥، وبعد الإفراج عنه في عام ١٩٧١ رحل إلى السعودية وعمل أستاذاً بجامعة أم القرى حتى لقي ربه في عام ١٩٩٢ ودفن - رحمه الله - بمكة المكرمة.

وخلال محنة ١٩٦٥ برزت فكرة التوعية، إذ عمدت إدارة المعتقلات إلى جلب محاضرين رسميين لمحاولة ترشيد الإخوان وتصحيح مفاهيمهم

كما زعموا، وامتدت هذه الفكرة إلى متحدثين من رموز الإخوان المعتقلين يحملونهم حملاً على الطعن في الإخوان والجماعة، فكان منهم من يضطر إلى مجارة القوم ويذكر أموراً تُعرض بالجماعة، وفريق كان يطعن عن قناعة بعد أن ضاق ذرعاً بالاعتقال، ولم يعد يهمه إلا أن يعود إلى أهله وذويه.

وجاء دور الأستاذ محمد عبد الحميد، وأشفق الإخوان على الرجل أن ينزلق إلى ما انزلق إليه غيره، فينعكس أثر ذلك على الكثيرين الذين يعتبرونه من الرواد الأوائل.

وكانت الصيغة المملة على المتحدثين أن يبدأوا حديثهم بهذه العبارات:

السيد قائد المعتقل... السيد مندوب المباحث العامة... زملائي المعتقلين...

ولكن الرجل وقف أمام الميكروفون بجنان ثابت، واستهل حديثه بالآية الكريمة بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه الكريم:

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ١٠].

قال له قائد المعتقل: حدثنا عن علاقتك بالإخوان المسلمين.. فقال: أنا انضمت للإخوان سنة ١٩٣٣.. وهنا ثارت ضجة من الضباط والمعتقلين مشفوعة بالاستغراب.. ياه!! يا عجوز!!.. ثم أردف يقول: وسبب انضمامي أنني نشأت في بيت علم وفضل، إذ كان والدي هو الشيخ عبد الحميد أحمد من العلماء، فلما التحقت بالجامعة كان تيار التغريب الذي

تبناه الدكتور طه حسين كاسحاً والفكرة الإسلامية غائبة تماماً . . . التقيت
بزميلين توسمت فيهما الصلاح، فكنا إذا حان وقت صلاة الظهر، نأوى
إلى ركن منعزل بعيداً عن الأعين، مخافة أن نتعرض للهزء والسخرية . .
وفكر ثلاثتنا فى تكوين جمعية تدعو الطلاب إلى التمسك بالإسلام،
وسمعنا بعالم أزهرى اسمه الشيخ طنطاوى جوهرى ممن يهتمون بالفكر
الإسلامى وله مؤلفات فيه، فذهبنا إليه وصارحناه برغبتنا، فاعتذر الرجل
لقصر باعه فى هذا الأمر وأرشدنا إلى مدرس شاب له خبرة فى هذا المجال . .
ذلك هو حسن أفندى البنا . . وزكاه بقوله: إنه فى نظرى يحمل قلب على
وعقل معاوية، فذهبنا إليه وعرضنا الأمر ووجدناه كما قال الشيخ جوهرى
يحمل قلب على وعقل معاوية!! . . وكان لقاء انتهى بمبايعتنا للرجل على
العمل لخدمة الإسلام.

وقلت له يومها: أنا معك ما دمت على الحق، فإن زغت عن الحق فأنا
مع الحق.

كان لهذه الكلمات المضيئة أثرها الطيب فى نفوس الإخوان الذين
اعتادوا أن يسمعوا إلى الطاعنين فى حسن البنا ودعوته، فسرت هممة . .
وكانت مفاجأة للقاءمين بأمر التوعية . . فسارع الضابط يقول له: نريد
الكلام عن انحرافات الإخوان، بينما تلاميذ الرجل يضعون أيديهم على
قلوبهم . . فالرجل رمز من الرموز الشامخة، وتحاذله - لا قدر الله -
سيكون له أثره السيئ على نفوس الشباب الذين يعلقون عليه الآمال.

وكان الرجل - بتوفيق الله - عند حسن الظن . . انطلق فى حديثه
يقول: والله أنا اتخذت فى حياتى مبدأ لا أحيد عنه أبداً وهو أننى إذا

مررت بمزبلة ووقع نظري على زرار لامع لا ألتفت إلى شيء آخر غيره
وأقول: ما أجمل هذا الزرار وأبدعه!! .. وكتب السيرة تحدثنا أن المشركين
كانوا يسبون النبي ﷺ ويقولون: «مذمم» بدلاً من «محمد» .. فيقول
ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون
مذمماً ويلعنون مذمماً، وأنا محمد» رواه البخاري.

ويستطرد الشيخ يقول: كان المسيح عليه السلام يسير يوماً مع بعض
حوارييه فصادفوا عنزاً ميتة قد انبعثت رائحتها النتنة فتأففوا .. فقال لهم
روح الله وكلمته: انظروا ألا ما أجمل بياض أسنانها!! .. وهكذا استطاع
الرجل بتوفيق الله أن يفلت من الوقوع في حبال القوم.
عاد الضابط يقول له: حدثنا عن نشاطك في الإخوان.

فقال الشيخ: أنا بطبيعتي أنفر من الإداريات .. وقد عهد إلي يوماً
بالإشراف على قسم الطلاب فاعتذرت لعجزى عن ممارسة مثل هذا
الأمور .. كل ما أجيده هو أننى أكتب مقالة أو أولف كتاباً، وما عدا ذلك
فلا ...

وبلباقة حول مجرى الحديث بقوله: أستطيع أن أحدثكم عن ذكرياتي
في العراق، حيث كنت معاراً لتدريس اللغة العربية ..

لاحظت أن العراقيين يسبقون الإمام فى الركوع والسجود والخفض
والرفع، وهى أمور تبطل الصلاة، فلما راجعتهم فى ذلك ذكروا أنهم لا
يفرقون بين الإمام والمأموم، فالجميع كأنهم يجلسون إلى مائدة واحدة وكل
منهم يمد يده متى شاء بلا تكلفة ..

هذه واحدة.. أما الثانية، فقد كنت حريصاً على أن أتكلم باللغة العربية الفصحى وأحمل طلابي عليها، وكان ناظر المدرسة الانجليزي يفتاظ لذلك فيقول لي بالإنجليزية Speak English يعني تكلم بالإنجليزية، فأقول له بدوري: Speak Arabic يعني تكلم بالعربية.. فيقول: I Speak Arabic little يعني أنا أتكلم عربى بسيط.. فأقول له: I Speak English little يعني أنا أتكلم إنجليزي بسيط.

وانتهت الليلة وبتنا خير ليلة، فقد رد الرجل المبارك لنا وللدعوة وللجماعة ومؤسسها الأول اعتبارنا.. وراح الإخوان يتيهون عجباً بهذا الموقف ويحمدون الله الذي وفق أستاذهم فلم يقل إلا حقاً، ولم ينطق إلا صدقاً، ولم يستطع من راودوه عن الإساءة إلى الجماعة ومؤسسها أن ينالوا بغيتهم، وخابت ظنونهم وطاشت سهامهم، وحق عليهم قول ربنا: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠].

وقوله سبحانه: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصفات: ٩٨].
ألا رحم الله شيخنا الأستاذ محمد عبد الحميد وأسكنه منازل الأبرار والصالحين.

عَوْدٌ إِلَى الْأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ عَبْدِ الْحَمِيدِ

شاء الله أن أكون قريباً من الرجل في محنة ١٩٦٥ فأفدت من صحبته كثيراً، وتعلمت منه بالقدوة والمعايشة أكثر مما تعلمت بالدرس والمطالعة.. كان بحراً من العلم لا شاطئ له، فهو يحدث عن الدعوة التي اعتنقها في فجر شبابه، ويحدثنا عن الأدب في شعر إقبال، وقد كان حفيماً به يحفظ أكثره ويزجيه لنا غصناً طرياً فننفع به كما انفعل هو به، ثم هو يعيش بنا مع حِكَمِ ابن عطاء الله السكندري، وكثيراً ما كان يترنم بهذه الحكم التي تثبت قلوب المستضعفين إذا ادلهمت الخطوب وكشرت المحنة عن أنيابها ويئس الجميع من الظفر بالحريية.. من هذه الحِكَمِ التي حفظناها منه:

* لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً ليأسك فإن الله قد ضمن لك الإجابة فيما يختاره هو لك لا فيما تختاره أنت لنفسك، في الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد.. فعَّال لما يُريد.

* إذا كان الله معك فمن عليك؟.. وإذا كان عليك فمن معك؟...

* ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول، وربما قدر عليك المعصية فكانت سبباً في الوصول.. ربَّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً، خير من طاعة أورثت عجباً واستكباراً.

وغير ذلك كثير...

ومع ذكرياته مع الإمام الشهيد يذكر لنا مواقف من خلال صحبته له:

(١) حوار حول اللحية

كان ذات مرة راكباً الترام عائداً إلى بيته، فحرص أحد الشباب الذين يهزأون بالسُّنَّيين والملتححين من الدعاء والوعاظ، أن يكون جلوسه إلى جانب الإمام الشهيد .

وبدأ الشاب في استئذانه بسؤاله سؤالاً محرّجاً، ورجا الأستاذ أن يجيبه عن سؤاله معتذراً عن هذا السؤال!

فأجاب الإمام الشهيد مرحباً كل الترحيب بما يسأل الشاب ووعده ألا يكون لسؤاله من أثر في نفسه غير الرضا والارتياح.

فبدأ الشاب سؤاله بقوله : لماذا أطلقت لحيتك يا أستاذ؟

فأجاب الأستاذ : اسمح لي أن أقول لك بأن سؤالك ليس في موضعه، وما كان لك أن تسأل هذا السؤال، وإنما الذي من حقه هذا السؤال هو أنا، فأسألك أنت : لماذا حلقت لحيتك يا أخى؟

وهكذا تحول الأستاذ من موقع المدافع إلى موقف المهاجم!

فعجب الشاب من براعة الأستاذ في إجابته التي لم يكن يتوقعها من المشايخ والوعاظ، وأجاب الشاب : إنى أحلق لحيتى لأنى أعتبرها قذارة يجب التخلص منها.

فقال الأستاذ : ولماذا لا تحلق بقية شعرك؟ شعر الرأس والحاجبين والشارب ما دام الشعر في نظرك قذارة؟

فأجاب الشاب : لا يا أستاذ ليس كل الشعر في مستوى واحد فأنا

أحلق شعر عانتى وإبطى بحكم الشرع الشريف باعتباره قذارة .
فقال الأستاذ الإمام: الحمد لله إذا فقد اعتبرت لحيتى من نوع شعر
الرأس والشارب، وأما لحيتك أنت فقد اعتبرتها من نوع عانتك!!
وهكذا كان هذا الجواب البارع صفقة أخرى لهذا الشاب الساخر، ما
كان ينتظرها، وشعر بالحزى والحجل وقال: حقاً إنك أظرف سننى رأيتَه فى
حياتى.. لقد أردت أن أسخر منك فسخرت أنت منى .

فأجابه الأستاذ قائلاً: إن الإسلام قضيته أكبر من اللحنى التى تتكلم
عنها، وأنتم معشر الشباب لا تفهمون من الإسلام إلا اللحنى والصلاة
والصيام، ولكن الإسلام رسالة عامة، تتناول الدين والدنيا ونظام الحياة،
ومنهاجها الكامل فى كل شئون الحياة.. وتحدث له الأستاذ عن عظمة
الإسلام وآفاقه العليا بصورة موجزة.. فأعجب الشاب من هذا التصوير
الجديد وسأل الأستاذ: من أين تعلمت هذا الكلام الرائع؟.. فقال: من
الإخوان المسلمين.. فسأله: أين مقرهم؟.. فأجابه عن مقرهم المتواضع فى
حى الناصرية قرب ميدان السيدة زينب، ولم يعرف الأستاذ نفسه أنه
المرشد العام ليجتذب الشاب لدعوته .

(٢) مرشد طيب

حدث أن أحد الإخوان كان فى طبعه حدة وعصبية فكان يثور دائماً
لاوهى الأسباب، ويسبب بثورته ضيقاً فى نفوس الإخوان ويحاول بعضهم
أن يقضى على ثورته الجامحة ويهدىء من روعه ما استطاع إلى ذلك
سبيلاً، وكان الإمام كثيراً ما يتدخل فى ثورة هذا الأخ العصبى فتهدأ

نفسه إلى حين ثم يعود بعدها إلى ثورة جديدة.

ولما طفح الكيل وضاق الإخوان وأستاذهم ذرعاً بهذا الأخ الذى لا يتورع عن إيذاء الإخوان وتجريحهم، انتفض الأستاذ غاضباً، وطلب إليه أن يخرج من دار المركز العام إلى بيته فما كان من الأخ الشائر إلا أن قال للأستاذ: لن أخرج من هذه الدار. إنها ليست داركم ولكنها دار الإخوان المسلمين!.. فما كان من الأستاذ إلا أن سيطر على غضبه ولم يندفع فى ثورته على هذا الأخ، فأجابه فى هدوء وسكينة: صدقت فى قولك يا أخى إنها ليست دارى وإنما دار الإخوان، لكن لا تنس أننى أبو هؤلاء الإخوان جميعاً، وإننا جميعاً مستاءون من تصرفاتك معنا وثورتك المستمرة علينا وأوعز الأستاذ للإخوان بمقاطعته فقطعوه ولم يكلموه ولم يردوا عليه، وترك الأستاذ الإمام مكانه فى الغرفة وخرج الإخوان معه كلهم فى صورة احتجاج ومقاطعة لهذا الأخ، وظل هذا الأخ فى الغرفة وحيداً حزيناً يفكر فى موقفه الذى ساقته إليه ثوراته وجمحاته وشطحاته، وظل هكذا وحيداً يفكر فيما جنت يده على نفسه، وعلى إخوانه، وعلى مرشده، واغرورقت عيناه بالدموع؛ دموع الندم والتوبة...

وبعد فترة قصيرة من الوقت دخل عليه الأستاذ فوجده على هذه الحال فما رآه الأخ حتى سارع إلى تقبيل يده، والاعتذار إليه وإلى الإخوان الذين أساء إليهم مراراً، فما كان من الأستاذ إلا أن ضمه إليه ضمة الحب والرحمة والإشفاق، وقبله قبلة الأخ الرحيم والمربى الحكيم، وأقبل عليه الإخوان يصفحون، ويعانقون بعد أن اعتذر إليهم، فما كان منه إلا أن استقام أمره، ولم يعد إلى ما كان منه من جمحات وشطحات، وهكذا استطاع

الأستاذ الإمام أن يعالج مشكلة هذا الأخ الجامح، فلم يعالجه بالشدة والغلظة والزجر والثورة، وإنما عالج باللين والرفق، ناهجاً في ذلك نهج النبي الكريم والمربي العظيم ﷺ الذي يقول: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله» رواه البخاري.

(٣) الحصان ليس من الإخوان

ومن طرائف الذكريات قصة رحلة الأستاذ الإمام إلى مدينة « بنها » في زيارة لشعبتها الأولى في مناسبة ذكرى الإسراء والمعراج، وتحدث الأستاذ في هذه الذكرى حديثاً شرح الصدور وشفى النفوس وأمتع الحاضرين من العامة والخاصة والشباب والشيوخ بما في الإسراء والمعراج من معجزات ومشاهد ومواقف وتوجيهات، وبعد انتهاء هذه المحاضرة الغراء انصرف المستمعون إلا قليلاً منهم ممن أدركوا أن وراء هذه الكلمات دعوة وداعية وليست مجرد كلمات ومواعظ، فاستأجر بعض الإخوان للأستاذ عربة « حنطور » ليركب فيها إلى محطة بنها ليعود إلى القاهرة في آخر قطار، وذلك بعد أن جلس هؤلاء الإخوان القلائل من المستمعين للمحاضرة حول المرشد يسألونه في كل ما يهمهم من أمر هذه الدعوة التي يحملها إليهم ويبحث عن رجال ينهضون بها في إيمان الأوس والخزرج، وصدق المهاجرين والأنصار، ويفقدونها بأرواحهم وأموالهم، وجلس هؤلاء الإخوان مع الإمام ساعات طوالاً ثم انصرف الأستاذ ومعه بعض هؤلاء يودعونه حتى محطة « بنها » وقد اكتظت العربة بمن فيها من الراكبين حوله في العربة، وقد رجا الأستاذ إخوانه أن ينصرفوا مشكورين إلى بيوتهم،

وعليهم أن يرحموا هذه العربة المكتظة فطمأنه أحد الراكبين بقوله : لا تقلق يا أستاذنا من هذا الازدحام على العربة فإن صاحب العربة وسائقها من الإخوان!

فأجاب الأستاذ المرشد هذا الأخ بقوله : ليكن صاحب العربة من الإخوان ولكن الحصان الذي يجر العربة ليس من الإخوان، فكانت دعاية لطيفة من الإمام رحمه الله أثارت الضحك والسرور والإعجاب في نفوسهم، وهكذا كان الأستاذ الإمام في كل مجال رائداً يشارك الإخوان في جدهم ومزاحهم، وكان في مزاحه على نهج الرسول ﷺ لا يقول إلا حقاً.

العقيدة

ثم يحدثنا عن العقيدة ورجل العقيدة فيقول :

العقيدة الحقة رباط معنوى يربط الرجل بمثل أعلى ..

رباط معقود لا تحله أزمة مادية ولا اضطهاد بشري ..

لأنها عقيدة روح بحقيقة من الحقائق العليا، وعقد مكتوب بدم القلب وأشعة الفكر بين الرجل وفكرته .

والعقيدة عقيدتان : عقيدة تخلقها الظروف المادية والمطامع البشرية تشتعل بين يوم وليلة اشتعال النار في هشيم الحطب والأعشاب، تملأ الدنيا دخاناً وشراراً حتى إذا دهمتها عواصف الإرهاب ومستها رياح الشدائد استحالت في يوم وليلة إلى هشيم خامد ورماد طائر. فلا تحرق إلا نفسها

ولا تضىء إلا بدخانها، ومثلها كالثلج يذوب فى الشمس ولا يثبت على
طوارىء الجو فهذه هى العقيدة المادية . . عقيدة طلاب الدنيا وأصحاب
المطامع والشهوات إنها تعمل عمل المادة وتفنئ فناء المادة .

وعقيدة تخلقها الحقائق الكونية وتقيمها الغايات العلوية والمصالح
الاجتماعية وتنبتق من ينابيع النفس تتقد فى تربية جيلها روحاً وفكراً
اتقاد القبس السماوى وتضطرم اضطرام الجذوة القدسية وتشع إشعاع
البلور الجميل وتتوهج توهج الشمس تمدها السماء بحرارتها وتزودها
القدرة العليا بنورها فتغذوها، وتأتى رياح الفتن والشدائد فلا تفنيها
وتجلوها العواصف العاتية ولا تذرورها، ومثلها كمثل الذهب الأصيل لا
يصدأ أبداً ولا تزيده النيران إلا جلاء وبهاء وتلك عقيدة المثل الأعلى
وجنود الحقيقة الكبرى ورجال العقائد الخالدة .

ومن التجاوز أن نعتبر الأفكار المادية التى يهتف بها رجال السياسة
والاقتصاد عقائد مهما تشابهت فى مظاهرها وسماتها .

فالعقيدة تنبع من الروح وتشع من القلب وتتصل بأسباب السماء
ولذلك يكتب لها الخلود كما كتب للعقائد التى جاء بها الرسل والأنبياء
من أولى العزم ولم يكتب الخلود للنظريات والآراء الاجتماعية التى جاء
بها الفلاسفة والعلماء ورجال السياسة .

ورجل العقيدة روح عبقرى قبل أن يكون عقلاً المعياً، ورجل عام لا
يعيش لنفسه بل يعيش للحق ويموت فى سبيل الحق وحده .

ولابد لرجل العقيدة من نظرتين فى عقيدته . إنه إزاءها خادم أمين وهو

بها ملك رفيع .

رجل العقيدة جندي عامل لا فيلسوف مجادل .

وكتيبة حية لا كتاب خامد ومكافح في معركة لا مفاوض على مائدة .

لا يراوغ كالثعلب ولا يلين كالثعبان ولا يختال كالطاووس .

ولا يتلون كالحرباء ولا يلعب كالقردة ولا يساوم كالتجار .

ولا يتعاضم كالممثل ولا يتوفز كالمشعوذ بل يتحفز كالأسد .

ويلين كالماء ويزهو كالسيف ويسطع كالنجم ويسمو كالملائكة .

يعيش في الدنيا ولا تعيش فيه ويأكل منها ولا تأكل منه .

إن العقيدة لمقاييس تسمو على مقاييس الزمن والمادة .

السعادة في نظر العقيدة ليس في أن يطلبها أهلها ولكن في أن يبذلوها للناس، ولحمة العقيدة ليست اللحم والدم ولكن هي النفس والروح، ووطن العقيدة لا تحده الجبال والبحار والسهول والوديان ويتجاوز الأيام والعصور ويرتفع عن عالم الأرض إلى عالم السماء .

والعقيدة طبيعة لا علم، وشعور لا فلسفة، وخلق قبل أن تكون رأياً .
ولا عجب فإن القلب هو القبس السماوي الذي يشع الدوافع العليا؛ دوافع الحق، والحق بين مظاهر النفس الإنسانية .

وما العقل إلا مظهر التفكير المحدود وهو لا يكفي وحده لإدراك الحقائق العليا، وإن اقتنع بها في حدوده اقتناعاً عميقاً .

والعقيدة أقوى رباط يربط بين الرجل وغايته وبينه وبين من آمنوا معه .
لا رابطة أقوى من العقيدة ولا عقيدة أقوى من الإسلام .

الإسلام عقيدة العقائد :

جمع الإسلام خلاصة الأديان كلها جميعاً ويمكننا تلخيص طبيعة الإسلام وغايته في كلمتين : توحيد ووحدة وإيمان وإصلاح .

وما أعظم كلمة الرسول عليه الصلاة والسلام في هذا المعنى حين سأله أعرابي : قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : قل : آمنت بالله ثم استقم .

جاء الإسلام الحنيف نظاماً كاملاً ينظم ملكات الفرد وحياة الأسرة وطبقات الأمة ومقومات الدولة وعوامل الوحدة وسياسة العالم .

ثم هو يرد ذلك كله إلى قواعد نفسية حكيمة تمتزج فيها المثالية السامية بالواقعية التى تتصل بدنياً البشر اتصالاً وثيقاً حتى إنه ليحول كثيراً من هذه القواعد النظرية إلى أعمال يومية تتكرر كل يوم فى غير حرج أو إرهاب بل فى يسر ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

[الحج : ٧٨] .

والإسلام يقيم دولة مثالية متينة البنيان رفيعة الجنبات .

والدولة الإسلامية أشبه ما تكون بالقلعة الشامخة تقوم على أساس قويم وجدران أربعة وأسقف وسور .

فأما الأساس القويم فهو معرفة الله وتوحيده ، وأما الجدران الأربعة فهى

العبادة وأهمها الصلاة معراج المسلم إلى الله، وهى بحق عماد الإسلام الأول، بها يصل الإنسان إلى ربه ويقف بين يديه ويناجيه وهى رحلة روحية تبدأ بالتكبير وتنتهى بالتسليم.

والعبادة هى سر الخلق وغاية الوجود ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والعلم وقد مجده الإسلام وحض عليه بل حرص عليه تحريضاً، وعلى أساسه يتفاضل الناس ويتميزون، ويكفى أنه بالعلم تنال الدنيا والآخرة، كما أثار عن الشافعى: من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم.

والأخوة هى الرابطة القوية التى تربط بين مجموعة المؤمنين وتعصمهم من الانحلال وتؤلف بين قلوبهم وتجعلهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً «إنما المؤمنون إخوة».

والتشريع وهو القواعد التى تلتزمها الأمة وتسير على منهاجها، وهو الذى يحفظ للأمة كيانها، ويحدد لها وجهتها وقيمها على الطريقة.

وأما السقف الذى يمسك هذه الجدران الأربعة ويقويها فهو الحكم وهو القوة المنفذة واليد الموجهة وفى الأثر «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» وفى الحديث «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فأولها نقضاً الحكم وآخرها الصلاة». ومما يؤثر عن الحسن البصرى: لو كانت لى دعوة مستجابة لكانت للسلطان فإن الله يصلح بصلاحه خلقاً كثيراً.

وأما السور الذى يحمى هذه القلعة المنيعة فهو الجهاد، الحارس الأمين

لقلعة الإسلام .

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨].

وقد حارب المستعمرون الإسلام ركناً ركناً ودعامة دعامة، حاربوا العبادة بدور اللهو والشهوات، وحاربوا العلم بإفساد مناهج التعليم والاهتمام بالقشور دون اللباب، وحاربوا الأخوة بالأحزاب السياسية، وحاربوا التشريع الإسلامى بالقوانين الوضعية.

وهكذا حورب الإسلام حتى لم يبق فيه إلا أشباح فى المساجد، وظل فى العواطف وكلمات على الأفواه والحناجر وتضائل الإسلام فى نظر المسلمين السذج فأقصوه عن السياسة والقوة والتشريع، بل وجد من المسلمين العلماء من يؤلف فى الدعوة إلى نقض الجوانب الاجتماعية فى الإسلام، وهكذا حورب الإسلام فى الداخل والخارج.

وكما انتصر الإسلام على أبى جهل وأبى بن خلف فى مستهل الدعوة فسينتصر على جبابرة أعدائه ومطايهاهم من المنافقين فى الداخل، وسيعود الإسلام غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء كما بشر رسول الله ﷺ، والغرباء هم رجال العقائد فى كل عصر وجيل وهم الحقيقة التى تحاصر أهل الضلال والأوهام، والضوء الذى يبدد جيوش الظلام ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اِقْتَدِهِ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

خصائص رجل العقيدة:

الإيمان هو العقيدة الثابتة التي تسيطر على الوجدان والفكرة الراسخة التي تخضع الأعمال والآمال وتوجه سلوك الإنسان إلى محرابه الأكبر. والإيمان بالله هو النبع الفيض لكل الفضائل الفردية والاجتماعية. وفي الإسلام إيمان بالغاية وإيمان بالقيادة يتجلى ذلك في شعار الإسلام الأكبر وكلمة التوحيد العظمى لا إله إلا الله محمد رسول الله. والتوحيد في الإسلام هو مصدر الحرية الفردية الاجتماعية فالرجل الذي يؤمن بالله وحده الذي يملك ناصية الخلق والأمر يسلم نفسه لله خالقه، ويتحرر من نزعات الشيطان وتلك هي الحرية النفسية للفرد. والأمة التي تؤمن بهذه الحقيقة لا تخضع لجبار عنيد، ولا تذلل للنار والحديد، لأن لها من قوة الإيمان ناراً تصهر الحديد وماء يطفىء النيران. وتلك هي الحرية الاجتماعية للأمة. فرجل العقيدة يتمثل الله سبحانه وتعالى في حركاته وسكناته وأعماله وأقواله، وهو مؤمن بربه ونصره، مؤمن بنفسه، صادق في إحساسه وضميره، صادق في قوله، صادق في جهاده، يشق طريقه في الحياة غير هيب ولا وجل، لا تزيده الأحداث والمحن إلا قوة وثقة في الله.. قوى الروح والجسم.. لا تزعزعه النكبات ولا تزلزله النوائب. لا يخاف الموت، بل يرى الموت في سبيل عقيدته عين البقاء، شعاره: إن سجنى خلوة، ونفسي سياحة، وقتلى شهادة.

ولم يكن الأستاذ محمد عبد الحميد وحده كلفاً بالدعوة شغوفاً بها
مضحياً في سبيلها، بل كانت زوجته الفاضلة - رحمها الله - تبعث إليه
في سجنه بشعرها الرقراق تشد به أزره، وتقوى من عزمه وتحبى رفاق
دربه :

يا صحبة النور المضىء تحية

من كل قلب مؤمن نورانى

طوبى لكم مرحى بكم

قدمتمو أرواحكم قربانى

النار فى قلبى لأجل فراقكم

والجلد والتعمذيب هم ثان

والنور يخبى والحقيقة تختفى

والبغى يحكم والبرىء يعانى

الزوج والابن الوفى ونخببة

من خيرة الأخوات والإخوان

وأخى الشقيق وإخوة الروح الألى

أفديهمو بالقلب والوجدان

وهبوا الإله نفوسهم وحياتهم

والجسم والأعضاء شىء فان

حملوا الرسالة طائعين لأنهم
لا يؤمنون بعباد الأوثان
ما ذنب آلاف البيوت تشردت
وانقض فيها السقف مع جدران
وتحطمت نفس الشيوخ وأزهقت
وتشرد الأطفال كالولدان
والأمهات الثاكلات وقد جرى
بالخذ أخذود كذا العينان
من قسوة الأيام والبغى الذى
ساقته أيدي الظلم للإنسان
حتى الحوامل ما سلمن من الأذى
ويد الطغاة وصرخة السجان

أحقيقةً كان السلاح مخبأ
أم فرية سيقنت إلى الإخوان
فتحارب الإسلام فى وكر العدا
وتخونه بالزور والبهتان

خروشوف جذلان وجونسون شامت
ديجول يرقص رقصة النشوان
يا خيبة الإسلام فيمن ينتمى
ظلمًا له ولهدمه متفان
أحسبتم المولى بعيداً عنكمو
لا والذي قد جاء في القرآن
الحق يعلو والحقيقة تنجلي
لو طال ليل الظلم والبهتان
ستدور دائرة العقاب عليكمو
والناس تلعنكم بكل لسان

* * *

والله يخذلكم ويصعق جمعكم
يوم الوقوف إليه تختصمان
يا ويحكم مما جنيتم فاعلموا
أنا حماة الدين والقرآن
والله غايتنا ودولة مجدنا
بالحق والإسلام والإيمان

فانصر إلهي كل عبد مخلص
نصراً يحطم قوة الصليبان
نجيت إبراهيم من لفح اللظى
وحفظته من شدة النيران
أخرجت يونس من ظلام مطبق
نجّ الشبّاب المؤمن المتفان
أكرمت يعقوب بعودة يوسف
فاشّف القلوب بعودة الإخوان
وارحم إلهي كل قلب خافق
واهد السفين لخير بر أمان

برح الهم بقلبي واستحالت عبراتي
وسئمت الناس حولي وحياتي
وادلهم الخطب حنتي أنني
أصبح النور بعيني ظلمات
قد وضعنا في حصار ضيق
وكأننا قد فعلنا المنكرات

كـيـف هـذا ولـمـاذا ويـحـكـم
ألكوننا أخوات مسلمات
كلمة الحق شعاع بيننا
بينما الزور شعاع للطغاة
وكتـاب الله نور باهر
ورسول الله خير القدوات
قد زعمتم أن فيكم ثورة
فظلمتم وبطشتم بالتقاة
وارتكبتم ما حسبتم أنه
يشفى أحقاداً بكم مستحكات
لا تناموا يا ذئاباً سلطت
ووحوشاً وكلاباً مسعرات
فلكم يوم طويل مـفـزع
وعريض مثل عرض السموات
إن ربي يهزم الظلم فلا
تستهينوا باللظى والجمرات

لا تزغ ربى قلباً أرهقت
واغفر اللهم ذنوباً عارضات
فلنا بالصبر أجر وافر
فى جنان الخلد أجر المحسنات

يا خير من كانت التقوى عقيدتهم
وخير من قدموا للدين من صور
يا أيها الإخوة الأبرار معذرة
عن التخاذل والتقصير والخور
لقد سكتنا عن الظلم المحيط بكم
ويعلم الله ما بالقلب من كدر
فالنفس ملتاعة من أجلكم أبداً
والروح من أعماقها فى شر منكدر
والهم جدد أفكاراً مشتتة
وليس باليد ما يشفى لظى الصدر
لما الفؤاد اكتوى بالبين واشتعلت
نار الأسى أبداً والظلم والضرر

تركنت نفسى تحلق فوق معقلكم
لتستزيد من الإيمان والصبر
هلا حياة لقلب لا فكاك له
مكبل بقيود الضر والضرر
كم نفثة ذهب في الريح نائرة
إلى متى يا إلهى إننا بشر
يا من تجلت على الأزمان قدرته
ومن أضياء لنا بالشمس والقمر
قد ضاقت النفس بالظلم المحيط بنا
فاجعل لنا مخرجاً يا صاحب الأمر

إن الأحبة قد تفرق شملهم
ولكن سهرت من السهاد لىالى
فالسجن يشهد أن فيه نخبة
من خيرة الأعمام والأخوال
دخلوه ظلماً جائراً ولأنهم
لا يعبدون سوى الإله العالى
وحوال الحول والأبرار أين
فلا أدرى وقد نقبت جهدى

وأبحث عنهم وأدور حولي
وأهتف ويلتي من مستببد
ويا ويح الطغاة وقد تعدوا
على الأحرار سجنًا بعد جلد
فكم نالوا من الإسلام نيلًا
وكم ذهبت ضحايا غير عدد
شباب طاهر وشيوخ تقوى
وفلذات كـريحان وورد
وقد بذلوا النفس لأجل دين
سماوى به عزي ومجدي
وباعوا النفس والدنيا جميعًا
لرب قادر يهدي ويهدي
فصبراً أيها الأحباب صبراً
فذاك قضاؤنا ما عنه معد
فإن الله كاتبه علينا
وإن الأجر عند الله مجدي

الفصل الرابع

(طرائف)

فى دورة المياه

كان قضاء الحاجة أشبه بمعركة تدور رحاها بين إدارة السجن، وهى تملك سلطة الأمر والنهى بلا منازع، وبين معتقلين مقهورين، لا يملكون إلا الانصياع لهوى أصحاب السلطان ..

يساق أكثر من ألفى معتقل فى الصباح الباكر جماعات إلى دورات المياه لقضاء حاجتهم الضرورية خلال ساعتين .. وبعملية حسابية، تبين أن لكل فرد بضع دقائق، عبّر عنها الأخ عمر (من بلاد النوبة) ويعمل ساعياً بالإذاعة:

ياللى فى دورة .. ياللى فى دش

قدامك بس دقيقة ونص

وينتهى الوقت، فيندفع العساكر إلى إجلاء النزلاء بالسياط والعصى، فيتدافع الجميع فى حركة معاكسة، يخبط بعضهم بعضاً، وكثيراً ما يسقط كبار السن والمرضى تحت الأقدام، وربما اختلطت القصارى^(١) فلا يمكن تمييز قصرية الشرب من قصرية البول!! .. ونشرب والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

أما من ساء حظهم، فلم يتمكنوا من قضاء حاجتهم، فيضطرون إلى

(١) كان لكل زنزانة قصرية لمياه الشرب من الكاوتشوك ومثلها للتبول داخل الزنزانة، فكان كل أخ مكلفاً بالتناوب بحمل وتفريغ البول والعودة بهما.

قضائها داخل الزنازين فى القصيرة!!... وللضرورة أحكام!!..

وكان الماء الذى ينساب من الحنفيات قليلاً جداً (سرسوب)، وربما كان ذلك مقصوداً إمعاناً فى تكديرنا أو لحرماننا من الوضوء ثم من الصلاة فى ظنهم (١).. وأمضينا شهوراً لا يعرف الماء طريقه إلى أجسامنا، فكنا نبلى الفوطة بقطرات من الماء ثم نُدلك ما يطال من أجسامنا، وليس فى الإمكان أبدع مما كان.. وقد أدت نُدرة الماء إلى ظهور حشرة القمل بشكل مخيف حقاً، وما كان أحدنا يجد حرجاً حينما يمد أحد إخوانه يده إلى أى مكان من جسمه ليلتقط ما شاء له أن يلتقط من هذه الحشرة الملعونة، وكان الإخوان رغم ما هم فيه من بلاء يطلقون نكاتهم اللاذعة!!..

كان معنا فى الزنزانة الأخ حسن الصغير مدير إدارة بدار الآثار، وكان حاضر البديهة، خفيف الروح، حلو النكتة، يفاجئنا بخلع الجلباب أو الفانلة ثم يهتف فينا: يا لله يا أخ انت وهو ساعة لقملك.. فيقول العبد لله: حاضر يا مفعوص، ونضحك ملء أشداقنا، رغم ضراوة المحنة، حتى تبدو نواجذنا، وربما لوزناً (جمع لوزة).. أيام حلوة.. الله لا يعودها!!.. سنوات وسنوات مضت وكأنها أيام، وصارت أحداثها ذكريات ممتعة، نتندر بها ونتفكه، وباء الجلادون بغضب الله وسخطه، فوق ما ينتظرهم من حساب ومساءلة عند الله.. قال تعالى: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ

(١) زار السجن أحد كبار الضباط واسمه أحمد أنور وكان يعمل قائداً للبوليس الحربى وراح يسأل أحد الإخوان: هل عندكم ماء كفاية؟.. فرد الأخ: والله الماء قليل جداً ونشرب بالكاد، فقال الضابط: وكيف تُصلون!!؟ فقال الأخ: بنتيمم يافندى.. وبدت على وجه الضابط الكبير حمرة الخجل، إذ لم يفهم ما هو المقصود بالتيمم!!

يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿ [الكهف : ٨٧] .. إلا أن يتوبوا .

يخرج النور من وسط الظلام :

الماء شحيح .. والاستحمام أمنية عزيزة المنال .. وأسراب القمل تتبارى
على أجسامنا .. ولكن يأبى الله عز وجل إلا أن يلطف بنا ..

كان فى أحد زوايا السجن بئر مهجورة من أيام الإنجليز، قد غاض ماؤها
ولم يعد فيها ما يبلل الريق، وبينما أحد العساكر يعث بها، إذ تفجر الماء
وفاض على جوانبها، واستدعى أحد الإخوة المهندسين على عجل، فأدرك
سرهما وتم ضبطها بعملية فنية، فكانت تلك البئر أثراً من آثار رحمة الله
بنا، ومورداً ثراً للإخوان يشربون ويستحمون ويغسلون ثيابهم وأوانيهم،
فهى سحاحة بالليل والنهار .. وتطوعت فرق من الإخوان بنقل الماء من
البئر إلى دورات المياه ليغسل الإخوان ويغتسلوا، وإن كانوا من قبل هذا
الاكتشاف لمبلسين قانطين .. فانظر إلى آثار رحمة الله .. كيف يفرج
الكربات ويغير الأحوال ..

ولقد نظم الأستاذ محمد رشاد عبد العزيز - رحمه الله - من إخوان
الإسكندرية قصيدة من شعره الطريف :

يا حامل الماء إن الشعب منتظرٌ

فاملاً قصاريه يغسل ويغتسل

فدورة الماء فى الحربى معركةٌ

يُرجى النجاةُ بها للفارس البطل

ألفان فى ضيقها يقضون حاجتهم
فى لمحظة العين بالكرباج والنقل
ترى الخلائق محصورين من دبر
فإن أتوها فمحصورون من قبل
مصائب الناس فى الأرواح نعوذها
أما مصائبنا فالكسر فى القل (١)
ألا لك الله يا من بت معتقلاً
بذلك السجن فادعو الله نرتحل

وأذكر أن أخاً من إخوان الإسكندرية اسمه عبد الفتاح عبده، كان يتبارى مع الأخ المهندس محمد المنباوى الحائز على بطولة العالم فى حمل الأثقال فى نقل الماء المستعمل (البول وما يغسل به الأواني بعد الوجبات) حيث لا يُسمح لنا بالنزول إلا مرتين فى اليوم.. مرة قبل الفجر.. ومرة قبل المغرب.. وكان الأخوان (جزاهما الله خيراً) نشيطين بشكل طيب، والأخ عبد الفتاح بملامحه المريحة تتألق كأنه القمر ليلة البدر، يقوم بهذه المهمة دون تبرم أو سخط وكذلك أخوه المنباوى.. فنظم الأستاذ رشاد

(١) كان لكل زنزانه عدد من القل بعدد نزلائها تشتري من أماناتهم، وكان الإخوان يملأون تلك القلال، ويحدث أن يعثر أحدهم فتكسر قلته، وكسر القلة فى هذه الظروف، وفى الصيف مصيبة (مسيحة!!) فيمر الإخوان ينظرون إلى الضحية يُحوقلون ويسترجعون «لا حول ولا قوة إلا بالله.. إنا لله وإنا إليه راجعون» ويتساءلون: قلة من هذه؟ فيعرفون صاحبها، وربما قدموا له العزاء!!

عبد العزيز في عبد الفتاح شعراً أذكر منه :

عبد الفتاح أتى لكم

فأعدوا الماء المستعمل

تجده صباحاً منهمكاً

وكذاك الظهر إذا أقبل

إن قلت أعنى لم يبخل

أو قلت تأن لم يعجل (١)

دورة المياه في السجن كانت مشكلة المشاكل، ومن ثم تشكلت من الإخوان جماعات لإدارتها وتنظيفها بعد أن يفرغ الألواف من قضاء حاجتهم، وكانت هذه الإدارة تتكون من مجموعات من الإخوان يشرف عليهم الأخ الشيخ منصور موسى منصور - رحمه الله - وكان « جواهرجى » بالموسكى، ومن خيرة من عرفت من الإخوان، فضلاً وخلقاً وتفانياً في خدمة إخوانه .. وكان يساعده في هذه المهمة الأخ محمود ... أيضاً من إخوان الإسكندرية، اشتهر بحسنى كاوتش .. وإخوان الإسكندرية بآرك الله فيهم لهم طعم خاص .. حلوين .. حلوين بصحيح ...

مرض الشيخ منصور، وعجز عن أداء وظيفته، فأتاب عنه رفيقه في

(١) كان يمر علينا لأخذ الماء المستعمل ونحن نتغذى فنستمهله حتى نفرغ من الطعام ونغسل القروان، أو نطلب منه أن يأخذ بنفسه الماء المستعمل من القصرية لانشغالنا بالطعام فلا يبخل.

الزنزانة، الأخ أنور الزين الشاعر المطبوع، فأقام في الدورة قرابة أسبوع مديراً بالنيابة، وخلال هذه المدة جادت قريحته بقصيدة من عيون الشعر «الحلمنتيشي» جاء فيها:

أمنصور مالى أراك مريضاً
وكنت الصحيح الطويل العريضا
ومالك نمت بلا عادة
وحالك يبدو ملخبط وعيضا
كأنك قد كنت فى طلبة
وواجهت فيها الشاويش البغيضا
فأهدى قفاك بكم صفة
وحطم فيك العصايا الغليضا
أتشكو الصداع وإن الصدا
ع أمامك كان ضعيفاً مهيبا
تجلد وقاوم وإن مت يوماً
حزنتُ عليك وصغت القريضا
وأرثى جـــــهادك فى دورة
لحسنى كاوتش بأجعص قصيدة
وأقـــــرا على تربتك «هل أتى»
ووزع أورانجـــــو ولمونجـــــو وصودا

وأدى لوجدى نصيبك من

حلاوة وجبنة شستر وبيضة

وأما الكيزان فيدُ الوكيل

تُنظفها بعد كل فريضة

على يدِ (أنور) مَسْحُ البلاط

تدهور فناً وصار حضيضاً!!

القبقاب المركب

القبقاب فى المعتقل له قيمة دونها الحذاء الشمواه أو الأجلسيه!!..
فهو مركبك إلى الدورة وعدتك فى الوضوء، فإذا عدمته فاتك الشئ
الكثير!!.. وكان القدامى من الإخوان المتمرسين على الاعتقالات يدركون
هذه القيمة فيحرصون على اصطحاب قبقاب أو أكثر ساعة اعتقالهم.. أما
من لم يدرك هذه الحقيقة أو أدركها ولكنه لم يتمكن من إحضار قبقاب
معه، فإنه يضطر إلى استخدام إما شبشب إن كان عنده أو حذاءه.. حتى
إذا فنيت القباقيب لكثرة الاستعمال وتبعثها الأحذية والشباشب، وقع
الناس فى حرج شديد، إذ يضطر إلى الذهاب إلى دورة المياه حافياً!!..
لكن الإخوان الحقيقة لا تقف فى طريقهم عقبه، وفى المثل: الحاجة أم
الاختراع.. فماذا يفعلون وزيارات الأهل ممنوعة تماماً، والطرود كذلك، ولا
سبيل إلى شراء هذا الصنف ولو بأعلى ثمن. لدرجة أن أحد الإخوان زاره
شقيقه الضابط فطلب منه أن يبعث له بقبقاب فأرسله إليه، وكان الأخ
مزهواً بهذه الهدية، والإخوان يغبطونه على هذه الميزة، حتى أنشد الأخ
سعد غزال مديح صوت العرب قصيدة أذكر منها:

وشر البلايا عندنا كسر قُلَّة

وخير الهدايا عندنا قبقاب

كيف استطاع الإخوان التغلب على هذه الأزمة؟... كانت فرق من

الإخوان تخرج إلى المطبخ كطلبة، وهناك يجدون الصناديق الخشبية التي
يؤتى فيها بعلب الصلصة أو السمن، فيعمدون إلى ما يحيط بهذه
الصناديق من قطع سميكة ينزعونها ويفصلونها بقايب ويلجأون إلى قطع
شريط من البطانية يستخدمونه كسير للقباب، ولكن هذه القطع لا تلبى
طلبات المحتاجين، فيعمد الإخوان إلى وصل الخشب الرقيق طبقتين أو
ثلاث أو أربع طبقات ويثبتونها بالمسامير ثم عمل سير من البطانيات،
وكانوا يتندرون.. هنيئاً لك يا عم القبقاب أبو دورين!!.. فيقول آخر:
أمال لو شفت أبو ثلاث أدوار وأربعة!!.. وهى تسالى صارت
ذكريات!!..

الضابط محمد عباس

كان الملازم أول محمد عباس من ضباط السجن الحربى يمر على الزنازين كل صباح يتفقد الأحوال، يتبعه فرقة من الحرس، وكان مولعاً بالمظاهر والشكليات، يروقه أن يرى الحنفيات لامعة بصرف النظر عن وجود الماء أو عدمه، وليس هذا بدعاً بين الضباط، فغالبية من عرفنا يعنون بالمظهر دون الجوهر.. يزور المعسكر ضابط من ذوى الرتب العليا لواء مثلاً، فتفرش أرض المعسكر بالرمل ويؤتى بقصارى الزرع تصف على جانبي الطريق الذى يمر منه الزائر الكبير، ويبدو كل شئ فى المعسكر غاية فى التمام والكمال، وإذا انتهت الزيارة عاد كل شئ إلى ما كان عليه !!.. ما علينا.. عرف الإخوان ذلك فراحوا يتفننون فى إشباع ميوله لعل ذلك يشغله ونتقى شره.

لاحظ أثناء مروره اهتمام نزلاء الزنزانة ٦٥ بنظافة زنزانتهم وتنسيق محتوياتها، والزنزانة للمعتقل هى موطنه الذى يحوى كل ما يتعلق بدنياه وآخرته، فهى أساساً السجن الذى يؤويه، وخلوته حين يخلو إلى ربه ضارعاً متعبداً، وهى فى الصيف نار تلظى بما يعكس بابها من حرارة تحيلها إلى أتون مستعر يشوى الجلود والوجوه، ومسجده الذى يصلى فيه، وناديه الذى يمارس فيه رياضة البدن، و (الكنيف) الذى يقضى فيه حاجته إذا اقتضت الضرورة وعز الذهاب إلى الدورة !!..

أعرفت ما قاسيت في زنانة
كانت هي القبر الذي يؤويني؟
لا بل ظلمت القبر فهو لذي التُّقى
روض، وتلك جحيم أهل الدين
هي في الشتاء وبرده ثلاجة
هي في هجير الصيف مثل أتون
نلقى ثمانية بها أو سبعة
متداخلين كعلبة السردين
هي منتدانا وهي غرفة نومنا
وهي البوفيه وحجرة الصالون
هي مسجد لصلاتنا ودعائنا
هي ساحة للعب والتمارين
وهي الكنيف وللضرورة حكمها
ما الذنب إلا ذنب من سجنوني
هي كل مالي في الحياة فلم يعد
في الكون ما أرجوه أو يرجوني
الأرض كل الأرض عندي أرضها
أما السماء فسقفها يعلوني

فيها انقطعت عن الوجود فلم أعد

أعنيــــــــــــه في شئ ولا يعنيني

لا أعرف الأحلام عن دنيا الوري

إلا من الأحــــــــــــلام لو تأتيني

سر الضابط محمد عباس كثيراً بما رأى، وأعلن عن مكافأة سخية
لهؤلاء الإخوة، فما هي هذه المكافأة يا ترى؟ .. أن يسمح لهم بقضاء
ساعة في الدورة يغسلون ملابسهم ويستحمون في أمان واطمئنان ..
هي بالتأكيد مكافأة تستحق أن ينالها إنسان يعيش في دنيا الزنزانة على
النحو الذي وصفت لك، فلا تناله سياط الجلادين، ولا يضيق بزحمة
المتزاحمين.

فدورة الماء في الحربي معركة

يرجى النجاة بها للفراس البطل

ألفان في ضيقها يقضون حاجتهم

في لمحظة العين بالكرباج والزقل

تبارى الإخوان في هذا السبيل واستفادوا من خبرة إخوانهم وزادوا
عليها وشرعوا يزينون زنازينهم بلوحات وتحف يصنعونها من الصابون
الميرى الذى كان وفيراً حقيقه - رغم ندرة الماء - فهذه زهرية، وهذا
مسجد، وهذه سفينة .. وهذه كنيسة تهدي للضباط المسيحيين .. وهذا
الأخ محمد .. المدرس بكلية الفنون الجميلة يثبت بطانية على أحد

جدران الزنزانة ويرسم عليها بقطعة من الجير منظراً طبيعياً آية في الروعة والجمال، يخطف نظر الضابط فيحيل الأمر إلى حمزة وسائر الضباط فيكلفون الأخ محمد برسم مناظر طبيعية على لوحات يحضرونها له، وتتطور الأمور فيأمر حمزة بإخلاء أحد مخازن السجن وتخصيصه ليكون ما أطلق عليه (مرسم) .. وانطلق الإخوان يتبارون، كل يوظف موهبته حتى أتوا بالأعاجيب، وانتزعوا إعجاب الضباط الذين رأوها فرصة لاقتناء اللوحات والتحف وإهداء أقاربهم وأصدقائهم .. حتى الإخوان من غير ذوى المواهب أدلوا بدلوهم يحاولون أن يتعلموا .. فكانت فرصة للهرب من جو الزنزانة!! .. وبرع الكثيرون في صنع المسابح من نوى الزيتون .. كانت آية في الدقة والبراعة .. وكف الله بذلك عنا أيدي الجلادين، ولله في خلقه شعون .

فانظر إلى آثار رحمة الله يسوقها لعباده المؤمنين بأسباب هو صانعها وموحيها ﴿ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٠] .

لو لم يكن كذلك لهيأ الله أسباباً أخرى تبرز آثار قدرته وقيوميته: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٣١] .

جنود البق ..!!

ترددت كثيراً فى كتابة هذه الفقرة، حفاظاً على مشاعر القارئ الكريم أن يؤذيها ذكر هذه الحشرة اللعينة، التى دارت بيننا وبينها معركة لا تقل ضراوة عن معركتنا مع الزبانية، وكلا الفريقين ألعن من صاحبه ..!! وفى المجتمع المصرى تسمع من يقول: فلان ده دمه أتقل من دم البق!!، وكذلك هؤلاء الزبانية .. ولكنى أستميح القارئ عذراً، فأذكر طرفاً من هذه المعركة لننظر معاً إلى آثار رحمة الله ولطفه بالمؤمنين فى ساعات العسرة.

كانت أسراب البق تنتشر على جدران الزنازين بشكل مخيف، وكان أكثرها أذى الصغير منها .. وكنا نعيش بين لسع السياط، ولسع هذه الحشرة اللعينة لا ندوق للنوم طعماً!! .. وكان لابد من خطة نتغلب بها على الأعداء المهاجمين من كلا المعسكرين .. أما معسكر الأدميين – إن صح أن نطلق عليهم صفة الأدمية – فكنا نستعين عليهم بالالتجاء إلى الله القوى القاهر، من خلال الصلاة والذكر والدعاء فى الليل، وكنا نسميه « سهام السحر» .

أما معسكر البق، فقد اهتمدنا فى مقاومته إلى حيلة ظريفة فقد كان الصابون يوزع علينا بكميات وفيرة – مع ندرة الماء – فكنا نعمد إلى بشر قدر من الصابون ونشكل منه عجينة نلتقط بها ما تناله أيدينا .. أما ما يحتشد فى الجزء العلوى من الزنزانة، مما لا تناله أيدينا، فكنا نقيم حاجزاً من الصابون بارتفاع قامة الرجل عرضه ٥ سم على الجدران الأربعة،

ويتدافع البق من أعلى الجدران لينال نصيبه منا، فيقف عاجزاً أمام هذا
الحاجز فنصيده بالطريقة التي عرفت .. وربما فطنت بعض فرق البق إلى ما
ينتظرها من سوء المصير فلم تشأ أن تقامر باجتياز خط الدفاع، فتقع أسيرة
فى أيدينا، فأثرت السلامة ولزمت مكانها !!!..

وهنا تتجلى رحمة ربنا، وهى فوق كيد الكائدين، فتندفع أسراب
العصافير من خلال الشباك القريب من السقف وتؤدى دورها نيابة
عنا..!!

وهكذا تخلصنا من هذا العدو النكد، بهذه الخطة المحكمة، وبمعاونة
جند الله من العصافير، ولم تكن أسراب العصافير تخص زنزانة دون
أخرى، بل كان الجميع يتحدثون عن هذه الواقعة التى تشبه الكرامة ..
ويتلو أحدنا هذه الآية الكريمة: ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا
لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٠] ... ويتلو
الآخر قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴾
[المدثر: ٣١].

طريقة:

مع أن البق دمه ثقيل، لكنك تستطيع أن تضحك ملء شديقك وأنت
تسمع هذه النكتة التى ألفها أحدهم:

زعموا أن سرباً من البق القابع فى الأجزاء العليا من الجدران، شرع فى
القيام بجولة يلتقط فيها رزقه من دم المعتقلين، فبينما هو متجه إلى أسفل
لقيه سرب آخر يسرع العودة إلى أعلى .. سأل السرب النازل صاحبه المتجه

إلى أعلى: إيه الأخبار؟ .. فأجابه السرب الهارب إلى أعلى: ارجع انت
وهو أحسن المباحث بيقفشوا تحت فى البوكس 11..

اليهود يأكلون الدنادى ..!!

الأخ عمر محمد عمر من جبهة مركز طهطا، عامل بجمرك الإسكندرية .

إنه صعيدى رقيق الحاشية .. يتلو القرآن فلا تمل سماعه لإتقانه، ولصوته الندى .. كان يقرأ ورده اليومى، فلما وصل إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ [البقرة : ٦١] .. سكت قليلاً ثم قال : شوف اليهود ولاد ال... قعدوا يلحوا على ربنا فى طلب الفول والعدس والبصل، وأخيراً حطوا دا كله فى أربيزنا، وبقوا ياكلوا الرومى والدنادى!! .. (جمع دندى بالصعيدى والأصل جندى ومعناه ديك) .

وكان صوت الباشجاويش قبيحاً منكراً، يبعث فى النفس الاشمئزاز والاستهجان، وكان الإخوان حين يسمعون صوته يتمثلون بهذا البيت :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوت إنسان (أمين) فكدت أطيّر

ويصف الدكتور يوسف القرضاوى فى نونيته المطولة صوت أمين فيقول :

ما كاد يعرفونى الكرى حتى أرى

داعى الردى وكفاك صوت أمين

لمح أحد الإخوان يتسلل إلى الدورة ليأخذ بعضاً من الماء، فرفع عقيرته
بصوت سمعه المعتقل كله يسب الأخ:

يا واد يا للى هناك .. يا ابن الـ .. يا ابن الـ ..

فعلّق الأخ عمر على ذلك بقوله:

جَوَّجَ فِيهَا الْحَلِوُ .. يَعْنِي قَوْقُ .. أَي أَحْدَثَ صَوْتًا كَصَوْتِ أُمِّ قَوَيْقِ
المشهور .. ثم أضاف: آل يعنى خَرَبَطُوا الْجُطُنَ (القطن) بتاع أبوه !! ..

«عزيز» قتييل المحشى ..!!

الأخ عزيز محمد مدرس من الشرقية، وكان لسانه حاداً فى نقد النظام وممارساته .. وفى سنة ١٩٦٦ صدر قرار وزير التموين برفع سعر كيلو الأرز من أربعة قروش إلى ١٢ قرشاً، وفى أعقاب ذلك ذهب الأخ عزيز إلى سوق بلدته، وعاد يحمل فيما يحمل كرنبة كبيرة الحجم، فلقية أحد معارفه وسأله: راح تحشى الكرنبة دى كلها بإيه يا عزيز؟! .. وكيلو الرز ثمنه ١٢ قرشاً؟! .. فأجاب عزيز فى سخرية: أحشيه عدالة اجتماعية من عند عبد الناصر.

وطيرت الواقعة إلى مباحث الشرقية فسارعت إلى اعتقاله، وألحق بنا فى معتقل طرة بعد أسبوع قضاه فى تخشيبية المركز .. وذات يوم حضر إلى المعتقل اللواء حسن طلعت رئيس المباحث العامة إذ ذاك ليتفقد الأحوال، وفى أثناء لقائه بنا رفع الأخ عزيز يده يطلب الكلمة فأذن له .. فقام عزيز يعرفه بنفسه يقول: يا فندم أنا عزيز بتاع المحشى، فضج الجميع بالضحك .. وأردف عزيز - وكان سعر الأرز قد عاد إلى ما كان عليه قبل الزيادة - أنا طالب الإفراج عنى لذلك .

فلم يرد عليه اللواء حسن طلعت بشئ .

وكان الإخوان كثيراً ما يمزحون معه .. يا قتييل المحشى ياعزيز ..!

هو عملها وغرزنا فيها؟! ..

كان لأحد إخوان البحيرة معمل للألبان والأجبان، فاعتقل الأخ صاحب المعمل، واعتقل معه أحد العمال البسطاء، ولم تكن له أية علاقة بالإخوان.. فكان الرجل قلقاً مهموماً لا يدري مبرراً لاعتقاله، وكنا كثيراً ما نُهدىء من روعه، ونُصبره على بلوته، ونُبشره بأن الفرج قريب، وخاصة أنه لم توجه إليه أية تهمة، ولكن خاب ظننا وبعدت المدة وتناولت الشهور والأعوام، والرجل قد بلغ به اليأس منتهاه.

وذات يوم راح يسألني: مين يا عم أحمد اللي عمل الإخوان المسلمين؟! .. فأجبتُه بأنه الشيخ حسن البنا.

فعاد يسأل: وهو فين دلوقت؟! ..

فأجبتُه: إنه انتقل إلى رحمة الله.

فأجاب بعفوية ومرارة: يعنى هو عملها ومشى وغرزنا فيها؟! ..

وإيه يعنى !!

الأخ الأستاذ أحمد عامر - رحمه الله - محام بالفيوم .. وكان حريصاً دائماً على قيام الليل، ومن ثم اعتاد أن ينام مبكراً عقب صلاة العشاء، وفي الليلة التي بلغنا فيها نبأ وفاة عبد الناصر. كان لهذه المفاجأة رد فعل فى نفوس الإخوان الذين ما برحوا ساهرين، قد خاصم النوم جفونهم يتحدثون عن آثار رحمة الله أن أزاح هذا الكابوس عن صدر مصر.. ثم تفقدوا الأستاذ أحمد عامر فلم يجدوه، فذهبوا إلى حيث ينام ليوقظوه، وليبلغوه النبأ، فاستيقظ من نومه على مجموعة من الإخوان يقفون على رأسه يقولون له: قم يا أخ أحمد .. جمال عبد الناصر مات.

وبكل هدوء رد عليهم: وإيه يعنى !! ..

واستأنف نومه، وكأن شيئاً لم يكن !!

وهكذا هان جمال عبد الناصر على النفوس الأبية، بعد أن جثم على صدر مصر ١٨ سنة، سام الأحرار المؤمنين سوء العذاب، وهو الآن بين يدي ربه، وهو أحكم الحاكمين.

نأكلها احتراماً لكبر سنها...!!

الأخ الدكتور صيدلى على حتحتوت .. فى أول زيارة سألته والدته عما يقدم لنا من طعام، وهل يقدمون لنا لحوماً؟ .. فأجابها بالإيجاب .. فسألته عن كمية اللحوم التى تصرف، فبسط الأخ ذراعيه ورفعهما إلى أعلى ثم حركهما على شكل دائرة واسعة، وكأنه يصور لها الكمية الهائلة التى نحظى بها وهى مندهشة .. ولكنه سرعان ما قبض ذراعيه ونصب أصابع يده اليمنى الثلاثة: السبابة والوسطى والإبهام، يصور لها أن ما يقدم قدر حجم الليمونة!! .. ثم عادت تسأله عن نوعية اللحوم .. فذكر لها أنها من كبار البقر، وإنما نأكلها احتراماً لكبر سنها!!! ..

الباشجاويش بائع الكتاكيت !!

بعد الفراغ من المحاكمات وترحيل المحكوم عليهم إلى الليمانات والسجون، بقينا نحن المتحفظ علينا في السجن الحربى، كما كان يحلو للمسئولين أن يسمونا، وأحسنا بشئ يسير من الراحة .. وراح الإخوان يفكرون فى حيلة يخففون عن أنفسهم ضراوة المحنة، فاقترح بعضهم على الباشجاويش أمين إقامة حفلات سمر يشترك فيها الحرس مع الإخوان، فوافق واجتمعنا فى الحوش الكبير نشاهد ما يقدم لنا .. ومن الفقرات التى كانت تقدم أن يتبارى الإخوان والعساكر فى إلقاء النكات، وكان الأخ ماجد حسن فارس الحلبة، فجعل يرسل من النكات ما أضحكنا كثيراً، ولكنه فاجأ الجميع حين أعلم الباشجاويش أن لديه نكتة خطيرة يريد أن يلقيها واشترط أن يؤمنه إذا لم ترقه هذه النكتة، فكان له ما أراد وانطلق ماجد يحكى:

كان فيه واحد فى الملكية بيشتغل ببيع فراخ « كتاكيت »، وينادى فى القرية: الملاح الملاح الملاح .. أنا ببيع الملاح، واللى ما تاخذ منى يركبها جنى ولا ينوبها كبدة ولا قنصة ولا جناح .. ملاح يا ملاح .. ودخل صاحبنا الجيش ورقى من عسكرى إلى عريف إلى باشجاويش، فعهد إليه بتعليم العساكر المستجدين، فشرع فى تعليمهم حتى جاء دور تعليم السلاح، فجعل يلقي إليهم دروساً فيه إلى أن قال العبارة المشهورة: كتفاً .. سلاح السلاح السلاح .. أنا ببيع السلاح !! .. وضع الجميع

بالضحك، وعلق أمين وهو فى غاية الدهشة: دول إخوان مسلمين؟ .. دول
عفاريت!! ..

وهو اعتراف ضمنى بأن الإخوان ناس طيبون، ولكنهم طلّعوا عفاريت
مسلمين!! .

ولكن أشرب الشاي البلاشا !!

الشيخ مصباح عبده - رحمه الله - من الدعاة المرموقين وزميل الشيخ يوسف القرضاوى فى الدراسة ورفيقه على درب الدعوة .. شخصية فذة .. حاضر البديهة .. خفيف الروح .. حلو النكتة .. كان لا يعبأ بالأحداث من حولنا رغم قسوة المحنة .. يمارس نشاطه اليومى بشكل شبه طبيعى، فبعد صلاة الفجر يشرع فى ممارسة نشاطه الرياضى داخل العنبر (سويدى) ويستحث الإخوان على ذلك، ويهيب بهم ألا يركنوا إلى الحزن، ويرسل النكتة من آن لآخر يضحك بها إخوانه ويسرى عنهم ويقول: دى محنة دكر ولازم نتغلب عليها.

كانت إدارة المعتقل توزع الشاي الميرى، وحتى يخرج من المطبخ ليصل إلى أيدي الإخوان يكون قد برد تماماً فنشره كشيء مسكّر.

ورغب الإخوان فى شرب شاي ساخن، فاتفقوا مع الجاويش المسئول أن يرتب لكل عنبر جردل شاي ساخن مقابل بونات تخصص قيمتها من أرصدتنا فى الأمانات، ويأبى الشيخ مصباح إلا شرب الشاي الميرى معرضاً عن الشاي الخاص، ويقول:

ولستُ بشارب شايًا بقرش

ولكن أشرب الشاي البلاشا !!

يحدث أنه بعد أن تخرج فى الأزهر، ظل قرابة سنتين لا يجد عملاً إلى

أن توسط له الشيخ سيد سابق والشيخ محمد الغزالي لدى الشيخ
الباقورى حين كان وزيراً للأوقاف، وذات يوم توجه إلى الوزارة والتقى
بالشيخين فحملاً إليه بشرى تعيينه واعظاً بالوزارة، ثم طلبا منه أن
يصحبهما لشكر الوزير.. وفى مكتب الشيخ الباقرى اعتلى الشيخ
مصباح كرسياً - وكان قصير القامة - وراح يقدم الشكر إلى الوزير قائلاً:

سنتين وأنا أحيايل فـيـك

يا سبب تعذيبى وشقايا!!

فضج الجميع بالضحك، فلقد كان معروفاً لديهم بروحه المرحه
ودعاباته التى لا تمل .. رحم الله الشيخ مصباح عبده وأنزله منازل الأبرار.

،

،

؛

.

،

اليهود أخذوا البطانيتين !!

قبل هزيمة يونيو ١٩٦٧ طلب قائد المعتقل من أحد الإخوة المدرسين رسم خريطة مكبرة لشبه جزيرة سيناء، موضحاً معالمها وأهم مواقعها الاستراتيجية .

وخريطة مكبرة على هذا النحو المطلوب تحتاج إلى لوحة كبيرة .

ولما كانت مثل هذه اللوحة غير متوافرة، فقد اهتدى الأخ إلى فكرة تلخيص في وصل بطانيتين ورسم الخريطة المطلوبة، فحازت رضا المسئول وإعجابه، وأمر بتثبيتها على أحد جدران المعتقل، وفجأة وقعت الهزيمة، وبينما أحد الإخوان البسطاء يقوم بكنس الحوش إذ مر بالخريطة ونظر إليها فلم يستوعب ما دون عليها، فسأل أحد إخوانه عما تحتويه هذه الخريطة، فذكر له أنها خريطة شبه جزيرة سيناء، وأن اليهود استولوا على هذه المواقع وراح يشير إليها موقعاً موقعاً، فلما فرغ من الشرح، علّق الأخ بسداجة تلقائية: يبقى كده اليهود خدوا البطانيتين كلهم !!

غطس تانى علشان خاطر ك

كان الشيخ عبد المقصود حجر - رحمه الله - ناظر مدرسة ببلدته من محافظة الشرقية .. وأثناء التحقيق معه أمره الجلاد صفوت الروبى أن ينزل فى بئر المجارى، وتحت لهيب السياط صدع الرجل بالأمر، ولكن الجلاد طلب منه أن يغطس فى المجارى بحيث يختفى جسده كله، فوضع الرجل خنصره فى فتحتى أنفه وإبهاميه فى أذنيه وغمض عينيه وغطس بجسده كله، ثم رفع رأسه وعاد يغطس مرة أخرى قائلاً للجلاد دون اكترأث :

مرة ثانية علشان خاطر ك يا سعادة البيه !! ..

ألا رحم الله الأخ العزيز الشيخ عبد المقصود وأبدله من الروح والريحان والخلود فى جنة الرضوان ما يمسح عنه هذا الأذى .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى رافع قال : قال رسول الله ﷺ :
« يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار، فيصبغ فى جهنم صبغة، ثم يقال له : يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ .. هل مرّبك نعيم قط؟ .. فيقول : لا والله يارب .. ويؤتى بأشد الناس بؤساً فى الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ فى الجنة صبغة، فيقال له : يا ابن آدم، هل رأيت بؤساً قط؟ .. هل مرّبك شدة قط؟ .. فيقول : لا والله يارب، ما مرّبى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط » (رواه الإمام أحمد ومسلم وغيرهما) .

فهنيئاً لمن أودى فى سبيل الله، ثم جاهد وصبر ..

وتباً لمن آذى المؤمنين ، وكان عبرة لمن اعتبر .

تهنئة وتحذير

الأخ الكريم الأستاذ / عبد الحلیم خفاجی رفیق الدرب وزمیل الدراسة .. لم أکن اکتشفت فیہ - رغم طول صحبتنا - شاعریتہ الموهوبه، حتی فوجئنا به یلتحق بنا خلال محنة ١٩٥٤ علی أثر ضبط قصیده من إنشائه یفضح فیها ممارسات النظام .. وکان جزاؤه عشر سنوات قضاها كاملة بین السجن الحربی ومنفی الواحات مروراً بسجن طرة، ثم أعید اعتقاله فی محنة ١٩٦٥ حیث قضی قرابة ٦ سنوات «بقشیش» أنجز خلالها مؤلفه القيم «عندما غابت الشمس»، ثم من بعده کتابه «حوار مع الشیوعیین فی أقبیه السجن» .

وشارك فی العديد من المواقف التي تشرف کل الأحرار ..

کان الشباب من وراء الأسوار يتطلعون إلى بنت الحلال یكملون بها دینهم، وکانت الکثیرات من الفتیات الملتزمات من خارج الأسوار يتطلعن إلى الاقتران بهؤلاء الکرام الرابضین خلف الأسوار .

وفی إحدى المناسبات أتاحت الفرصة للاحتفال بإحدى هذه الزیجات .. کان العروسان .. الصیدلی علی حتحات .. والطبیبة راویة محمد صادق .. شقیقة الطیب المعتقل مجد الدین محمد صادق .. وقد فاجأنا الأستاذ عبد الحلیم بهذه اللوحة القيمة من شعره الرائق یحیی بها العروسین بعنوان «تهنئة وتحذیر» :

للّه درك يا على حتـحوت
قد نلتها من عالم الملكوت
أصبحت نسرأ فى السماء مرفرفأ
من بعد ما قد كنت كالكتكوت
إن الذى خلق السمعة والهنا
أعطاك منها القلب يا عكروت
هذا جزاء الصابرين إذا همو
صبروا أتاهم رزقهم كالحوت
قد كنت أرقب فى الزيارة قصة
ولدت وكانت قبلها زيجات
من يوم أن قلدت شوقى نخلة
أصبحت «راوية» ونحن ثبوت
أتوزع الشرابات فى كل عنبر
ونسيت فى دار الشفاء تفوت؟ (١)
تالله إن لم تسرعن لأنتضى
قلمى عليك كأنه نبوت

(١) كان الأخ عبد الحلیم أثناء الحفل نزىل المستشفى المجاور لوعكة ألت به .

حتى ولو مجدى تشفع بالتي
ستحاسبنا غدا على السحتوت
ما لم تبادر بالشراب وفوقه
فى الحال كم بكو من البسكوت
وحذار من شغل الصيادلة الذى
يجعلك تسقينا شراب التوت
وسألت ربي أن يبارك فيكما
لتقدمما للحق أجمل صوت

الفصل الخامس

خرج من الليمان أستاذًا بكلية الطب

فى سنة ١٩٥٤ اعتقل الأء على شهوان؁ وكان إذ ذاك طالباً بالسنة الرابعة بكلية الطلب؁ وءكم عليه بالسءن ءمسة عشر عاماً أمضاها كاملة؁ ثم رءل بعدها إلى المءقل تنفيذاً لءبارة كانت ءهة التنفيذ تءيل بها الءكم : [ىرءل بعدها إلى المءقل] .. وظل الأء صابراً مءتسباً سبعة عشر عاماً بعد أن باء بالفشل مءاولات أعوان الطاغية استءتابه برقية من بضع كلمات يؤيد فيها رأس النظام؁ وىتبراً من دعوته وىفاصل ءماعة التى تربى فى كنفها؁ فكان بفضل الله ثابتاً لا ىتزءزع؁ صلباً لا ىلن .. وءرء بعد هذه الأعوام السبعة عشر لىستأنف دراسته فى كلية الطب بالسنة الرابعة بعد أن ءءاوز الأربعين من عمره .

ولك يا أءى القارىء أن ءءصور طالباً ىنقطع عن الدراسة هذه الأعوام الطويلة لىعود إلى الكلية؁ فىءء زملاءه قد ءءرءوا وصعدوا السلم الوءىفى ءتى صار بعضهم مءرسين بالكلية وصار هو ءلميزاً لهم؁ ومنهم من ءرقى فصار مءيراً عاماً أو وءيل وزارة؁ ولكنه لم ىقم لذلك كله وزناً؁ ولم ىياس من الوصول إلى ءاىته؁ بل شق طريقه فى ءقة وىقن أن الله لا ىضيع أءر المءسنين؁ وءىنما ظهرت نءىءة امءءان البكالوريوس كان الطالب على شهوان من أوائل دفعته وعُين على الأءر مءيداً بالكلية عن ءءارة؁ وظل ىءءرء فى سلك ءءريس وهو الآن الأستاذ ءءءور على شهوان أستاذ أمراض النساء والولادة بكلية الطب ءامعة عين شمس؁ وأفاء الله عليه من فضله ما لم ىكن ىءلم به ورزقه الله زوءة صالحة أنءبء له ءمسة من الأولاء .. لو أن ءءءور على شهوان لم ىسءن كل هذه المءة

وتخرج من كلية الطب، أغلب الظن أنه لم يكن يحصل على مرتبة الامتياز، وربما عين طبيباً عادياً في الصحة المدرسية أو بمستشفى الحميات مثلاً.. ولكن الله ادخر له هذه المكانة ورفع قدره رغم السنين التي قضاها خلف الأسوار.

ألا بارك الله هذه الهمم العالية، وأعلى قدرها في الأولى والآخرة..
آمين.

* * *

مثال آخر فريد

«خرج من الليمان أستاذًا بكلية العلوم»

بطله الدكتور رشاد بيومى أستاذ الجيولوجيا بجامعة القاهرة وأحد رموز النشاط النقابى بنقابة العلميين وله تاريخ طويل فى العمل الدعوى دفع به إلى غيابة السجن عام ١٩٥٤، وكان لا يزال طالباً بكلية العلوم، حيث حكم عليه بالسجن عشر سنوات قضاها كاملة، ولم يكذ يتنفس نسيم الحرية حتى أعيد اعتقاله فى هوجة ١٩٦٥ بعد أشهر قليلة من الإفراج عنه.

وإذ كان د. رشاد ممن أمضوا عشر سنوات كاملة دون أن يرضخ لضغوط النظام لكتابة تأييد للرئيس ونظامه، فقد صب عليه ومثله وإخوانه الذين نهجوا واعتصموا بإيمانهم بالله وثبتوا على العهد.. لقد صب عليهم العذاب ألواناً وكأنه (تار بايت)، وظل رهن الاعتقال قرابة السبع سنين، وخرج فى أكتوبر ١٩٧١ بعد أن سلخ من عمره ١٧ عاماً فى السجن.. خرج ليجد نفسه كصاحبه د. على شهبان قد قارب الأربعين ليجلس فى المدرج بين شباب فى العشرينات، وليتلقى العلم على أيدي زملائه أيام الطلب إلى أن أتم دراسته ونال درجة البكالوريوس فى الجيولوجيا بامتياز وعُين على الأثر معيداً بكلية، ومن ثم حصل على درجتى الماجستير والدكتوراه فى سنوات قليلة، وأوفد من قبل الجامعة فى بعثات علمية إلى

بعض الدول الأوروبية (كندا - ألمانيا) فى إطار نشاطه العلمى المتميز، ومازال الدكتور رشاد يواصل نشاطه العلمى والدعوى رغم التحديات التى تواجه العمل الإسلامى فى المرحلة الراهنة . . ولم يحرم الرجل من الاعتقال مع إخوانه من خيرة رجال مصر أمثال الدكتور محمد حبيب، ودكتور عبد الحميد الغزالى، ودكتور عصام العريان وغيرهم، وأحيل معهم إلى المحكمة العسكرية التى برأتها مما نسب إليه زوراً بعد أن تبين لها أنه يشرف على عشرات الرسائل فى الماجستير والدكتوراه .

وقد كافاه الله فوق ذلك بزوجة صالحة أنجب منها ابنه الوحيد محمداً، وصدق ربنا الكريم ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهكذا على قدر أهل العزم تأتي العزائم .

إسماعيل النشار

الأخ إسماعيل النشار الشهير بإسماعيل مصباح، حكم عليه عام ١٩٥٤ بالسجن عشر سنوات، وكان طالباً إذ ذاك بكلية الآداب، أمضى المدة كاملة، ثم أعيد اعتقاله عام ١٩٦٥.. لم أكن سعدت بلقائه فى فترة الاعتقال الأولى، حتى كانت الفترة الثانية، والتقىنا فإذا هو نموذج فذ من الشباب المبارك كان كثيراً ما يحدث عن الدعوة مزهواً بالانتساب إليها، معتزاً بأن صار من جنودها العاملين، وكان يقول: يا أخ أحمد.. هب أننى تخرجت فى كلية الآداب وأمنية أى خريج أن يكون مدرساً، ثم مدرساً أول، ثم ناظراً، ثم مفتشاً. وهب أننى قفزت إلى كرسى الوزارة وصرت وزيراً للتربية، بل حتى رئيساً للدولة، وليست لى فى الحياة غاية أو فكرة أعيش لها إلا هذا المنصب الذى لا يلبث أن يزول عنى وينتهى.. ولكننى بحمد الله أحمل بين جنبى فكرة وأحيا لدعوة ما أحب أن لى بها أعلى مناصب الدولة.

مرت بنا ظروف كان من يُظهر تمسكه بفكرته ويستعصى على فكرة تأييد النظام يُرحل إما إلى سجن القلعة أو إلى أقاصى الصعيد، حيث سجن أسيوط، وهناك يتعرض لضغوط نفسية رهيبة وربما لآلام جسدية ويتجرع مرارة التغريب.

نما إلى علم إسماعيل أنه مرشح لهذا المنفى، فحزم حقيبته ووضعها بجانبه وأعلن أنه تحت الطلب قائلاً: إن ما يفصل بينى وبين أهلى هو

جدران هذا السجن، فيستوى عندي أن يكونوا قائمين خلفه على بعد
أمتار مني، أو يكونوا في بلاد واق الواق...!!

افترقنا بعد الإفراج عنا في أواخر سنة ١٩٧١ ثم التقينا مصادفة عام
١٩٩٤ - أي بعد أكثر من عشرين سنة - فكان لقاءً حاراً وسأل كل منا
صاحبه عن أحواله، وكان يعرف عنى الكثير، فأنا متزوج ولى أولاد، أما
هو فقد كان عزباً..

سألته: هل تخرجت في الألفية؟

قال: نعم تخرجت وتزوجت وأنجبت.

سألته: كم لك من الأولاد؟

فقال: حزر يا أخ أحمد. قلت: اثنان؟ قال: أكثر. قلت: ثلاثة؟ قال:
أكثر.

فما زلت أراجعه ويراجعني حتى أطلعني على الحقيقة.. لقد أنجبت
زوجته ١٦ ولداً بين ذكور وإناث، وجعل يعدد: فاطمة، أسماء، خديجة،
محمد، حسن... إلخ.

قلت: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. وما عملك الآن يا بو السباع؟ أجاب:
أشتغل الآن بالزراعة، حيث أمتلك قطعة أرض ورثتها عن أبي زرعتها
موالح، وبنيت في وسطها منزلاً رحباً، وأعيش أنا والأسرة نزرع الخضر
والبقول، ونربي الطيور، وربنا رازقنا من خير العميم... ولم ينس الأخ
إسماعيل في زحمة الحياة وكثرة العيال ومتطلباتهم دعوته، فهو دعوب
كالنحلة لا ينسى، يدعى فيجيب، ولا يبخل، ويفيض على جيل الدعوة

الناشيء من علمه وخبرته ما يرجى أن يكون في ميزانه يوم تزل الأقدام .
بارك الله للأخ إسماعيل في هذه الذرية، وجعل منهم خير خلف لخير
سلف أمانة وصدقاً وصلاًحاً وحقاً .. آمين .

الأستاذ جمال فوزى

وعلى ذكر الأخ المجاهد الأستاذ جمال فوزى - طيب الله تراه - لا يفوتنى وقد سجلت له موقفه البطولى فى معمعان المحنة وسعير الفتنة، إذ رد على من أراد منه أن يقول: أنا مرة، أنا راجل من ظهر راجل قبل أمك ما تولدك. لا يفوتنى أن أسجل له نفثات من شعره الرائق يصور المحنة وما تنطوى عليه من فظاعة وظلم إلى جانب ما تحمل من دروس وعبر، وذلك بعد التعريف بهذا النموذج الفذ الذى قضى زهرة شبابه فى سجون الطغاة من أجل إقامة الأمة على منهج الإسلام. دخل السجن أيام فاروق متهماً فى قضية سيارة الجيب، ثم خرج ليعود ثانية عام ١٩٥٤ فى عهد عبد الناصر، ثم خرج ليقبض عليه ثالثة عام ١٩٦٥ بعد إعلان موسكو الشهير. وفى السجن فقأوا عينه اليسرى وكسروا يده وعموده الفقرى، وهشموا أسنانه ومزقوا جسده، وصار كسيحاً يرفع ويحمل ويقذف ويركل. . . ورغم ذلك كان يبتسم ابتسامة المؤمن ويصبر الصبر الجميل، متمثلاً قول الله عز وجل: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت ٢٠].

وظل - رحمه الله - ثابتاً على دعوته، متمسكاً بفكرته، فخوراً بإسلامه. لم تزد المحنة إلا ثباتاً، ولم يزد التعذيب إلا إصراراً حتى لقى ربه راضياً مرضياً بإذن الله.

وهاكم باقات من شعره المعبر:

ابتهال مؤمن وسط حلقات التعذيب

إلهى قد غدوت هنا سجيناً

لأنى أنشد الإسلام ديننا

وحولى إخوة بالحق نادوا

أراهم بالقبيـود مكبلينا

طفغاة الحكم بالتعذيب قاموا

على رهط من الأبرار فـينا

فطوراً مزقوا الأجسام منا

وطوراً بالسياط معذبينا

وطوراً يقتلون الحر جهراً

لينطق ما يروق الظالمينا

فمهلاً يا طفغاة الحكم مهلاً

فطعم السوط أحلى ما لـقينا

وما عابوا عليه سوى جراح

تصيب الجسم دون الروح فـينا

سنبذل روحنا فى كل وقت

لرفع الحق خفاقاً مبـينا

فإن عشنا فقد عشنا لحق
نذك به عروش المجرمين
وإن متنا ففي جنات عدن
لنلقى إخوة في السابقين
وقد لاقى الشهادة يا رفاقي
رجال لا يهابون المنونا

شهيد آخر على طريق الدعوة

وهذه قصة لأخ شهيد قضى عشر سنوات سجيناً لا ينثنى ثم أعيد
اعتقاله فضرب حتى نال الشهادة، وقد حيل بين والدته وزيارة قبره بزعم
الأمن:

ذهبت يراود قلبها
أهل يحقق حلمها
ومضت تفكر كيف
تلقي غائباً عن عشها
حملته في أحشائها
ربته في أحضانها
ودعت إليه الكون أن
يرعاه من أعماقها

وتفتتحت آفاقه
وتحققت آمالها
فإذا الوليد مجاهداً
يرعى العهد جميعها
باع الحياة رخيصة
لله يرجو أجرها
حتى طوته سجونهم
دهراً وفي ظلماتها
كم ساوموه لكي يحميها
عن العهد بأسرها
ولكى يخون كتاباً
باعوا النفوس لربها
ولكى يشوه ما أضاء
الكون من صفحاتها
ولكى يكون صنيعه
الشيطان بين صفوفها
وأبى الكريم مباحج
الدنيا وطلق أمرها

ورأى السججون معاقل الـ
أحرار رغم قيودها
وأصر أن يعلى نداء الـ
حق فى جنباتهما
فقضى السنين العشر
عملاً كشم جبالها
ذهبت لكى تلقاه
يوم خروجه بحنانها
وتضمه فى لهفة
وسط الجموع لصدرها
ويضمها العملاق فى
حب يقبل رأسها
ويقول يا أمهات عاد
إلى الجهاد رجالها
أنا لن ألين ولن أخون
ولن أغادر ركبتها
أنا لن أهادن من بغوا
يومئذ على أبرارها

سأظل ناراً يحرق
الأشجار حرلهايبها
سأظل حرباً تسحق
الفسجار فى أرجائها
قالت رعاك الله يا
ولدى الحبيب فكن لها
إن تنصروا الرحمن
ينصركم على فجارها
ومضت به نحو الديار
وكبرت بربوعها
يخِذت كتاب الله
نبراساً ينيّر طريقها
لم تمض أيام على
هذا الهدوء بدارها
حتى أتى جند الطفلة
وكرروا مأساتها
كان المجد يقرأ
القرآن يُسمعه لها

ويرتل القرآن ترتيلاً
لأيجدد عهداً
ويفسر التنزيل تفسراً
يرأى عمق فهمها
وإذا بشردمة الطغاة
إاة الأثمين ببابها
فى ليلة ساد السكون
بها وأظلم ليلها
وانقض أعوان الطغاة
يكبلون حبيبها
صرخت وقالت ويحكم
ماذا جنى أظهارها؟
همت بلثم جبينه
فيردّها أشرارها
رفع المجد رأسه
فى عزة أكرم بها

ويقول في عزم الرجال
تشجعي فأنالها
الذنب ذنب شعوبها
خانت طريق كفاحها
واستسلمت للبيغى حتى
قصادها جلالها
فعدا عليها الغاشمون
وحطموا أمجادها
ستريّن يوماً شرعة
الرحمن تحكم أرضها
ويزول من كل الوجود
شراها وطفاتها
وهنا يسير به اللئام
ويسخرون بدمعها
وطوته جدران السجون
لكى يرى أهوالها

كم مزقته سياطهم
وتلقفته كلابها
حتى انتقته شهادة
علياء في جناتها
وهناك يلقي ربه
ويطل من عليائها
والأم كانت في حنين
تستجيب لشوقها
حتى نعتها لها الوفود
بكتفه في سجاداتها
رباه قد ضاق الطغاة
بمثله وبمثله
ذهبت لتشهد قبره
ترويه من عبراتها
فإذا الجنود تحوطه
في غلظة بسلاحها

والأم قـد رُدَّتْ وقـد

شُهر السلاح بوجهها

قالت أما أولى بكم

أن تملأوا مـيـدانها

سـيـناء ولـت يوم أن

سـيـجن الطغاة حماتها

ذهب العـدو بأرضكم

واحتل كل قناتها

وتمركزت قـواته

عبر الحدود بأرضها

وفررتهم في ذلة

تأبى الكلاب مثيلها

أين المدافع والبـوارج

والجيش بـزحفها

أين الصواريخ الضـخام

وأين أين أزيـزها

بل أين أين الطائرات
تدك حصن حدودها
أين الملايين التي
قد أنفقت لشرائها
الطائرات تحطمت
قبل المعارك كلها
وسلاحكم أخذته إسـ
ـرائيل فوق عتادها
والعاهرات بجيشهم
قد فزن في حلباتها
أذلن أعناق الطغاة
الاجنين بساحها
ويقلن في كبرقهرنا
العُربَ في أوطانها
والواهبون حياتهم
لله ملء سجونها

وكانهم قد أجمروا
أولوثوا تاريخها
والهاربون من المعارك
يملكون زمامها
وكانهم قد سرروا
الأرض السليب لأهلها
بئس الجيوش جيوشكم
يا وبيمة بجبينها
غرقى إلى أذق انكم
باله بار في أوحالهها
هلكى لفرده ذنوبكم
يا شر كل عصاتها
عودوا إلى شرع الإله
وطبقوا إلحادها
ودعوا جنود الحق
للحجارة يقتحمونها

لتعود أرض المسلمين
إلى عزيز كياناتها
عادت تناجي ربها
في ليلها ونهارها
تستمطر الرحمات للشـ
هداء في محرابها
دنيا المجاهد كلها
محن لصهر رجالها
الشوك بين سهولها
والزعر فوق هضابها

قطتى

فى سجن مزرعة طرة استأنست القطط المتوحشة التى كانت تخطف
لقيمات رديئة من بين أيدي المسجونين، فلما سمح بالزيارة وتوفر الطعام
أصبحت وديعة مستأنسة لا تبتدى على الطعام، وأقلعت عن خيانات
كانت فى يدها فتلاشت .

أما الجلادون فقد سرقوا الطعام وباعوا الماء للأبرار، وظلوا كما هم بلا
إنسانية ولا ضمير.

وهذه قصة قطتى :

من كل عاطفتى ومن وجدانى

من نبض كل مشاعرى وجنانى

من عمق أعماقى أخط تحييتى

شعراً إليك تصوغه الحانى

ما قلته يوماً أداهن - فاكماً

أو قلته فخراً ليرفع شانى

ما قلته لحناً لكسب معايش

شعري يصاغ لطاعة الرحمن

وبطاعة الرحمن أنشد راحتى

فى جنة الفردوس والرضوان

من بين قضبانى ومن زنزانتى
بين الظلام وقسوة السجنان
أسمعك قصة قطة كانت لها
فى النفس آثار ونبل معانى
جاءت لتختطف الطعام بخلسة
وترى وسط رحابة الجدران
ساءلت نفسى هل نجير عقابها
بالسوط والتعذيب والحرمات
كلا فما اقترفته كان أساسه
جوعاً يثير حفيظة الجوعان
ثارت على الحرمان وهى محقة
والأمر يخرج من يد الغضبان
لجأت إلى التنقيب عن زاد لها
وبرغمها جنحت إلى العصيان
ناديتها فتمنعت من - شيتى
داعتها فتوجست عدوانى
فقدت فائض وجبتى فى قربها
كيما أخفف ما ترى وتعانى

وتمر أيام فتألف صحبتي
قاهبمتها زادي بغير تواني
علمتها ذوق الحلال فطلقت
ذوق الحرام ومنهج الشيطان
وتبيت تحرس وجبتي بأمانة
عجيباً لصنع الواحد المنان
هي شرعة الرحمن كم رسمت لنا
رشيداً يحقق عزة الإنسان
كم لقنتنا الحب عذبا صافياً
تمحوبه الأحقاد في تحنان
لو أنفقوا ما في الوجود جميعه
مبا ألفوا قلباً بأى مكان
لكنه الرحمن ألف بينهم
فإذا بهم في قمة الأزمان
لو كان خير الرسل نظاً ما رأى
التاريخ شعباً حاطم الأوثان
لا يطفئ النيران نار مثلها
والحق لا يمحوه حقد ثانى

من يزرع الأشواك يجنب جرحه
بدم يسيل ودمعة الهتان
هذا طريقى فى الحياة أرومه
خلوا من الأحقاد والأضغان
كل الذى أرجوه دين محمد
تسموبه صوب العلاء أوطانى
فالدين توأمه الحكوة دائماً
إن دمحت النيات فى السلطان
الدين أصل والحكومة حارس
وهما بهذا الوصف ملتقيان
إن غاب أصلى فى الحياة فإننى
عام بجوف القبر فى أكفانى
أو ضل سلطانى فيما ويحى إذن
مما أتكابد أو يضيع كيانى
دمعى عَصِيٌّ إن أراد را سكبّه
لكن درس قطيظتى أبكاني
عجباً لامرك قطتى فى توبة
والجمع ملتفت إليك ورانى

خالفت كل محرم من بعدها
فأرقت كل طبائع الحيوان
والناس بين جهالة وضلالة
لا يؤمنون بمنهج القرآن
ضل ابن آدم نهجه متأرجحاً
ما بين مقترف الذنوب وزانى
ويبيت فى ظلماته مترنجحاً
فعمياته ليست بذات معانى
قولى لهم يا قطفى درس الهدى
وخذى بأيديهم إلى العرفان
أو لقنيهم ما ينيرو قلوبهم
بالحب والإيثار والإحسان
لا ظلم لا استبداد لا استرقاق فى
شريع الإله القاهر الديان
سأظل حراً ما حييت مندداً
بالبطش والجبروت والطغيان
روحى على كفى فداء عقيدة
فى ظلها الوافى تخذتُ مكانى

ويظل صوتي ما حيت ،جلجلاً

ذوق المهانة ليس في إمكاني

ياداهر .. عفواً

يا دهر عفواً ويا تاريخ معذرة
كم سجلوا فيكما زوراً وبهتاناً
كم ألبسوا الظلم ثوب الحق واقترفوا
من الجرائم أشكالاً وألواناً
مامات من باع للرحمن في ثقة
في ساحة الحق أرواحاً وأبداناً
إنى لاسجد للرحمن لست أرى
سواه للحق والأطهار معواناً
أين السياط وأين اليوم عصبتكم
ياداهر من أنجبت للشردنيانا
لا عقل لا دين لا أخلاق تعصمهم
كم أتقنوا من صنوف القتل ألواناً
يا دعوة الحق سيرى رغم أنفهم
و-تلجلى في الورى فخراً وإيماناً

لن نستكين لغرور يحاربنا
مهـما تطاول إلحاداً ونكرانا
هو المعز المذل الحق سـيـدنا
هو لقدير الذي للحق أبـقـانا
فلا المجازر قد أحننا، لنا عنقاً
هو الهـيـمن أخـزاكم ويرعانا
الله أكبر كبريا أـخـى فرحنا
فـالحق يحق أصنامنا وأوثانا

محنة آل مدكور تجار الفاكهة

فى غضون شهر ديسمبر سنة ١٩٦٥ عدت إلى السجن الحربى بعد غيابى عنه قرابة شهر فى أبى زعبل، وكانت جراحاتى لاتزال تشعب دماً وصيداً، وتلقانى العسكرى سمير، وهو مسيحى، وكان يعرفنى، فرجوته أن يجعلنى فى زنزانة فى الدور الأرضى قريباً من الدورة، فكان من نصيبى زنزانة ١٠٤ أمام البئر قريباً من الدورة.

وقد راعنى ما رأيت .. ويا هول ما رأيت .. رأيت شاباً فى نحو الثلاثين من عمره، وقد ارتمى فى جانب على مرتبة إسفنج وجسمه كله جراحات حتى صار عظاماً فى جلد أو -بلداً على عظام، وعاجزاً تماماً عن الحركة، ويتولى زملاؤه معاونته لقضاء حاجته فى القصرية

بعد أن اطمأن كل منا إلى صاحبه، راح إخواننا يقصون قصته، وملخصها:

أن الأخ محمد مدكور من بلدة حلابة من أعمال مركز قليوب، يقوم والده بزراعة الخضر والفواكه، ويتولى هو وإخوته تسويقها. جاء أخوه سيد إلى القاهرة يوم جمعة لقضاء بعض حاجاته، فساقته قدماه إلى شارع الأزهر، ولما جاء وقت الصلاة توجه إلى مسجد الحسين، وبينما هو فى طريقه اشتبه فيه أحد رجال الأمن، وبتفتيشه عثر معه على مسدس فقبض عليه، وسرعان ما وجهت إليه تهمة اعتزام اغتيال الرئيس، إذ وافق ذلك اليوم وجود الملك فيصل فى مصر، وقد توجه مع جمال عبد الناصر للصلاة

فى الجامع الأزهر، ووجهت للسيد مدكور وهو فلاح ليس له أى توجه سياسى أو انتماء لأية جهة، ومسدسه بحكم عمله كمزارع مرخص، وأودع فى مبنى المخبرات، حيث لقي من الأهوال ما أعجزه عن المشى، ولم يكتفوا بالسيد حائز المسدس بل اعتقل صاحبنا محمد وناله ما ناله، وكذلك أبوه وعمه وأولاده ولم يفلت نساء آل مدكور من شبكة الاعتقال، مثل ما حدث فى كرداسة وسنفا وكمشيش.. ولكن من منطق الطغاة، يحسبون كل صيحة عليهم.

وظل الرجل والعم وأولادهما رهن المعتقل شهوراً وإن أفرج عن النساء بعد إخراجهن من بيوتهن وترويعهن.

وفى هذه الأثناء تلقى محمد مدكور طرد ملابس يحتوى على جلباب صوف وقفطان شاهى وحزام شامى غير ملابس أخرى، وكان محمد قد شفى وصار قادراً على الحركة والقيام، وارتدى محمد القفطان وطوقه بالحزام ومن فوقه الجلباب الصوف بنى محروق، وكان محمد وسيماً، وجهه مشرب بحمرة، فبدأ فى ازى الجديد وجيهاً من الوجهاء من ذوى اليسار، ولما كُنت لسابقة اعتقالى أعلم أن العساكر يقصدون ذوى المراكز الاجتماعية المرموقة أو من يعرفون أنه من أهل السعة فيصوبون عليهم صنوف العذاب لهذا السبب انطلاقاً من عقدة الحقد الاجتماعى، فقد نصحت الأخ محمد أن يخلع هذه الملابس حتى لا يتعرض لسهام ذوى العقدة الاجتماعية من العساكر.

وبينما نحن نتجادل دخل علينا العسكرى المأفون زغلول، ونظر إلى محمد وهو على هذه الهيئة وشهن شهقة دلت على نفسية معقدة وقلب مفعم بالحقد على كل ذى نعمة، يبدأ فى عينيه حقد كان مدفوناً، وتوجه

إلى محمد يتحسس القفطان والحزام والجلباب وهو يتلمظ ويقول وهو
يعض شفتيه: إيه ده ياوله؟ مذن ده؟ رد الأخ محمد: اتفضل يا فندم.
فقال زغلول: الحاجات دي تساوى كام؟.. رد مدكور: والله يا فندم مانا
عارف، الجماعة بعتوهم. اتفضل يا فندم. فتوجه إلى يسألنى كم تساوى؟
فقلت وأنا أحاول بخسها القفطان ده ٣ متر × ٢ = ٦ جنيه والحزام ٢ جنيه
تقريباً وقماش الجلابية ٥ جنيه وتفصيل ٥ جنيه يعنى كلهم بالكثير ١٨
جنيه.

وانصرف صاحبنا ثم عاد بعد قليل يفتح علينا الزنزاة وبلا مقدمات
راح يهوى بالسوط على الأخ مدكور فى قسوة بالغة. وظل يتابع الأخ
محمد يتعقبه فى الدورة ويأيل له اللكمات، ولا يفتأ يزورنا ليمارس
هوايته. ودخل علينا مرة فقصد الأخ مدكور ولوى ذراعه بعنف حتى
أوقعه على الأرض، ومدكور يدهرخ ذراعى.. ذراعى، وراح الملعون يركله
بحدائه الميرى دون وعى فى بطنه وظهره وكل جسده. وبلغ الاضطهاد
أقصاه حين دخل علينا قبيل المغرب وهوى بالسوط على رأس مدكور فسال
الدم من وجهه وأذنه، ورحنا نمسح الدم بقطعة فانلة وانخرط الأخوة فى
بكاء يدمى القلوب وسألونى: «إذا نفع؟ قلت لهم: يا شباب وقعنا فى يد
من لا يرحم، وليس لنا إلا أن نلجأ إلى الله، وشرعنا ندعو بقلوب مكلومة
ونفوس محطمة، ثم انبرى أ- ندهم ولعله الأخ د. ممدوح الديرى رحمه
الله وقال: نلجأ إلى الله صريح، لكن لا بأس أن نشكو للشاويش نجم.
وكان هذا الشاويش زميلاً فى الأزهر لخيرى مدكور ابن عم محمد وكان
يعطف عليهم بسبب هذه الصلة. فقال مدكور: يا عم أحمد أنا بنضرب
على الفاضى والمليان، أنا لازم اشتكى للشاويش نجم، وراح يدق باب

الزنزانة منادياً على الشاويش نجم، الذى جاء يسأل عما نريد، فعرضنا عليه الحكاية ورأى الخرقه ملطخة بالدم . فتركنا وذهب وأحضر معه زغلول وسأله : ليه عملت كده؟ رد بقوله : أصله كان بيطل من خرم الزنزانة، فهز رأسه ثم انصرف، وجلسنا ننتظر ما تتمخض عنه هذه الشكوى، وبعد ساعة من الزمن تقريباً، جمع العسد كرفى حوش السجن وجعل يتحدث إليهم وقد سمعناه ينصح بعدم التعرض للمعتقل إلا إذا أتى ما يخل بالنظام، ونمنا ليلتنا والهم يعصر قلوبنا والحزن يغشانا لما يلقاه الأخ محمد من بلاء فوق ما صب عليه غداة اعتقاله .

وفى الصباح خرجنا إلى الدورة ثم عدنا وقد ظننا أننا بلغنا مرادنا وأن هذا العالج قد كف عنا أذاه، فإذا به يأتى إلينا ومعه عسكرى مكلف بالزنازين المجاورة، وكلاهما معجون فى الشر، مغرم به .. وبادرنا زغلول : يعنى إيه نجم؟ ويعنى إيه أتخن ضابط هنا دول كلهم على والله ياوولاد ال... لوريكو.

فعدنا إلى الالتجاء إلى الله، ثم بدا أنه كان فقط ينفس عما فى نفسه وكف الله عنا أذاه، ولكن راح يضد يقنا من طريق آخر، الزنزانة ١٠٤ اطلع بره . نطلع . ثم يأمرنا دون سائر الزنزين المجاورة بحمل القمامة لإلقائها فى المقلب خارج السجن، ونحن كذلك راضون وآخر حلاوة، ومرة أخرى الزنزانة ١٠٤ اطلع برة . نطلع .. كل واحد ياخذ صفيحة وعليكم ترشوا الحوش كله، حاضر يافندم .. ونحن نحمد الله أن صرنا زبالين نحمل الزبالة وخدامين نرش الحوش، ومقاول الأنفار بتاعنا العسكرى زغلول .

واقتنع الأخ مدكور أن يعود إلى ملابسه العادية أوفرهول كان الحصول عليه منحة يحظى بها المحظوظون .

قافلة الشهداء

[الوجبة الأولى]

فى الأيام الأولى من الانقلاب، شُنقَ العاملان خميس والبقرى من عمال كفر الدوار، فكان ذلك أول البغى!!.. وتبع ذلك جموع الشهداء من الإخوان المسلمين الذين ساندوا الانقلاب فى أول الأمر رجاء تحقيق الإصلاح المنشود. فلما انحرف رجال الانقلاب عن الجادة، وقف الإخوان وقفة رجال المبادئ الذين لا يسأومون على مبادئهم أو يُخدعون بغيرها، فكان الصدام الذى غدر فيه النظام الحاكم حتى استباح الدماء، وعضّ الأيدي التى ساندته، بجرأة ووضاحة. فكان فى أول قائمة الشهداء صفوة من قادة الدعوة ورجالها الذين سَطروا بدمائهم الزكية صفحات خالدة يتملاها الجيل بعد الجيل، واستقبلوا الموت فى شجاعة نادرة، وانطلقت ألسنتهم بكلمات مضيئة.

فماذا قال هؤلاء الشهداء؟

ذكرت جريدة فرنسا المساء فى أعقاب تنفيذ حكم الإعدام شناقاً فى شهداء الإخوان الستة عام ١٩٥٥، ما قاله الشهداء قبل التنفيذ.. بينما صمتت صحافتنا صمت سكاك القبور.

قالت الجريدة: إن عبد القادر عودة انطلق إلى ساحة التنفيذ بقوة وهو يزعق بأعلى صوته: [لايهمنى أن أموت بين أهلى.. أو يلقي بي فى

البحر.. أو أغيب فى التراب، ما دمت على الحق...].

وكانت هذه الكلمات التى ذكرتها الجريدة ترجمة لتلك الأبيات التى رتلها الأستاذ عبد القادر بقوة إثبات... وهى تلك الأبيات التى ارتجلها من قبل سيدنا خبيب بن عدى رضى الله عنه حين صلبه المشركون، وراحوا يرمونه بالسهام والرماح وهو ينشد:

ولست بمبدٍ للعدو تشعاً

ولا حزعاً، إني إلى الله مرجعى

ولست أبالى حين أقتل مسلماً

على أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ

يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قال الشهيد: [إن دمي سيفجر لعنة على هذا النظام.. اللهم اجعل كل قطرة من دمي كيداً فى نحورهم].

**** ماذا قال الشهيد يوسف طلعت؟**

تقول جريدة فرنسا المساء: [لقد بدا على وجه يوسف طلعت (نقاء) من نوع غريب]، إى والله. نقاء من نوع غريب، إنها إشراقة الشهادة التى بدت على وجهه. ولما سئل عما يرغب. قال: اللهم اغفر لى ولمن عذبونى. كلمات لاتصدر إلا من شهيد بطلب المغفرة لمن أساءوا إليه. ثم أوما برأسه إلى رئيس هيئة التنفيذ، فما دنا منه، طلب أن يشد وثاقه جيداً،

ودهش الرجل وسأله فى ذلك، فنال الشهيد: أخشى أن تنكشف سوءتى .
يا إلهى! رجل على قيد خضوات من المشنقة، وقد نزل به من العذاب
والنكال ما نزل، يطلب لنفسه لمن عذبه المغفرة، ثم هو لا يشغله إلا أن
يلقى الله مستوراً .

كلام لا يصدر إلا من شهيد .

تذكرنى هذه الواقعة الأخير بما روى من أن أحد الولاة فى عهد الدولة
الطولونية، كان يكره كبير اللماء لجرأته فى قولة الحق، فأراد أن ينتقم
منه، فجوّع أسداً بضعة أيام واستدعى الرجل وأمر أن يوضع له مقعد فى
حديقة القصر يجلس عليه، ثم أمر أن يطلق عليه الأسد الجائع، ووقف فى
شرفة القصر ينظر ما يفعل الأسد . . .

انطلق الأسد مسرعاً نحو الشيخ وهو جالس وقد وضع رجلاً على رجل
فلم يتحرك من مكانه، وظل واقداً رجلية، فراح الأسد يلحس ساقه وهو
ثابت لا يتحرك، فربت الرجل على ظهر الأسد وتمتم بكلمات، فانصرف
الأسد دون أن يصيبه بأذى، ثم وضع كفه على خده وجعل يفكر .

عندئذ أمر الوالى أن يصرف الأسد ويؤتى إليه بالعالم الرجل، فلما مثل
بين يديه سأله : هجم الأسد عليك فلم تتحرك .

فرد الرجل : لأننى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتب الله لى .

سأله الوالى : وفيم كنت تفكر؟

قال : كنت أفكر ألعاب الأسد نجس، أم طاهر؟

** الشهيد الشيخ محمد فرغاي، لم يزد على أن قال: سألقى الله وهو
عنى راض، ثم همس فى أذن الواءظ بكلمات لم نسمعها...

** الشهيد إبراهيم الطيب قال: إننى أموت مسلماً، وأحمد الله أن
اختارنى شهيداً، وغداً يتسارى الظالم والمظلوم فى الوقوف بين يدى
أحكم الحاكمين.

** محمود عبد اللطيف: (الذى نسب إليه إطلاق الرصاص على عبد
الناصر): إن الله قوى وقادر على تخلص مصر من هذه الطغمة الباغية.

** هنداوى دوير: قال: أين رعد الرئيس لى؟!... ثم تقول الجريدة:
وجرَّ الرجل!!

هذه هى الوجبة الأولى من الشهداء الذين علقوا على أعواد المشانق عام
١٩٥٤ عدا من دفنوا فى جبل المقطم، والذين قضوا تحت وطأة التعذيب،
ويلحق بهم على درب الشهداء ثلاثة وعشرون من خيرة شباب الإخوان
المسلمين قتلوا رمياً بالرصاص فى داخل العنابر أثناء قضائهم المدة المحكوم
عليهم بها فى ليماں طره عام ١٩٥٧.

﴿... أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله..؟﴾

أما الوجبة الثانية، فتتمثل في الشهيد سيد قطب.. مؤلف الظلال وصاحب القلم السيال والسحر الحلال، وإخوانه الشهداء عبد الفتاح إسماعيل، ومحمد يوسف هوائس، ورفعت بكر ابن أخت الشهيد سيد قطب، والشاعر الشهيد محمد نواد، وكمال السنانيري وغيرهم ممن غيبوا في التراب بعد أن أذاقهم الجبابرة سوء العذاب.

إن هذه الدماء الزكية التي أريقتم لم تَضِعْ هدراً، بل هي الرى الذى تُروى به شجرة الدعوة حتى تؤبى ثمارها، وقد آتت ثمارها بحمد الله. فها هي ذى جموع الشباب تندافع لتنضوى تحت لواء الجماعة، رغم يقينها بما قد تتعرض به من فتن شدائد.

والكلام عن الشهيد سيد قطب، لانتسع له هذه الورقات، وحسبى أن أسوق واقعة عاصرتها تنم عن صدق هذا الشهيد.

حين حكم عليه بالإعدام من محكمة الدجوى عام ١٩٦٥ لم ينفذ فيه الحكم تَوَافُؤاً وعلمنا أن شفاعات بدمت لعبد الناصر من الملك فيصل وعبد السلام عارف رحمهما الله ونغيرهما لتخفيف الحكم، وظن المتابعون للأحداث أن هذه الشفاعات سَنَلْقَى قبولاً من الطاغية، واستمر الحال على ذلك قرابة السنة، وكدنا نقطع بنجاح الوساطات.. وفجأة ونحن نصلى الفجر افتتح الإمام القراءة من سورة غافر، وهى تعرض للحوار الذى دار بين

مؤمن آل فرعون وقومه . . وفرغنا من الصلاة، والأذهان خالية تماماً من هذا الأمر، وفي أول نشرة للأخبار فرجئنا بهذا الخبر: نفذ حكم الإعدام [فجر اليوم] في كل من: سيد قطب إبراهيم، ومحمد يوسف هواش، وعبد الفتاح إسماعيل.

وهذا على غير ما جرى عليه العمل حيث تنفذ الأحكام في الصباح بعد أن يسمح لأسرة المحكوم بزيارته وتلبية رغباته إن كانت له رغبات. ولكن الشهداء الثلاثة أخذوا ليلاً ونفذ الحكم قبيل الفجر كما جاء في النشرة.

بينما كان الإمام يتلو قول الله تعالى: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [راجع الآيات من ٢٣ / ٤٥ من سورة غافر].

وسُئل الإمام عما إذا كان قد قصد قراءة هذه الآيات لعلم جاءه عن تنفيذ الحكم، فجزم بأنه كسائر إخوانه خالي الذهن تماماً، وأنه ما قصد هذا الاختيار وإنما أجراه الله على لسانه قدرأً.

هذه الواقعة إن دلت على شيء، فإنما تدل على صدق هذا الشهيد ورفاقه أجراها الله في حينها على لسان القارئ، وتلك عاجل بشرى المؤمن، وفي الحديث: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله، ذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر».

اللهم تقبلهم في الصالحين. وأعل قدرهم في جنات ونهر في مقعد

صدق عند ملك مقتدر.. آمين

وندع للشهيد صاحب الظلال يمتعنا بهذا اللحن الجميل من شعره
الرقراق حين شاهد إبان سجنه في الخمسينيات أخاً يرسف في الأغلال وقد
نزف الدم من جسده كتب يقول بعنوان [أخى]:

أخى أنت حرٌ وراء الأسودود
أخى أنت حرٌ بتلك القيود
إذا كنت بالله مستصماً
فإذا يضيرك كييد العبيد

...

أخى ستبديد جوش الظلام
ويُسرق في الكون فجرٌ جديد
فأطلق لروحك إشراقها
ترى الفجر يرمقنا من بعيد
أخى قد أصابك سهمٌ ذليل
وغدراً رماك ذراعٌ كليل
ستبتر يوماً فصلاً جميل
ولم يُدم بعد عرين الأسود

أخى قد سَرَتَ من يدِكَ الدماء
أبنا، أن تُشَلَّ بِقَيْدِ الإِماء
سترفعُ قُرْبانها.. للسماء
مُخَضَّبَةً بوسامِ الخلود

...

أخى هل تُراكِ سئمتَ الكفاح
وألقيتَ عن كاهليكِ السُّلاح
فمنَ للضحايا يواسى الجراح
ويرفعُ رايتها من جديد

...

أخى هل سمعتَ أنير، التراب
تدك . حصاه جيوش الخراب
تُمزقُ أحشاءه بالخراب
وتصفعه وهو صلبٌ عنيد؟

...

أخى إن ذرفتَ على الدموع
وبللتِ قبرى بها فى خشوع

فأوقد لهم من رُفاتي الشموع
وسيروا بها نحو مجدٍ تليد

...

أخي إن نمتُ نلقَ أحبابنا
فروضاتُ ربي أُعدتُ لنا
وأطيَّارها رفرفتُ حولنا

فأبوي لنا في ديار الخلود
أخي إنني ما سئمتُ الكفاح

ولا أنا ألقيتُ عنى السلاح
وإن طوقتني جيوش الظلام

فإني على ثقةٍ بالصباح

...

وإني على ثقةٍ من طريقى
إلى الله ربِّ السنِّ والشُّروق
فإن عافنى الشُّوقُ، أو عقنى

فإني أمينٌ لعهدى الوثيق

...

أخى أخى ذوك على إثرنا
وفوج على إثر فوج جديد
فإن أنا متُّ فإني شهيد
وأنت ستمضى بنصر جديد

...

قد اختارنا الله فى دعوته
وإنا سنمضى على سنتيه
فمنا الذين قضوا نحبهم
ومن الحفيظ على ذمته

...

أخى فامضٍ لالتفت للوراء
طريقك قد خضبته الدماء
ولا تلتفت ههنا أو هناك
ولا نتطلع لغير السماء
فلسنا بطير مهيض الجناح
ولن نُسْتَذَلُّ ولن نُستباح
وإنى لاسمعُ صوتَ الدماء
قويًا يُنادى الكفاح الكفاح

...

سأثأرُ لكن ربُّ ودين

وأمرُضى على سُنَّتى فى يقين

فإمأ إلى النصر فوق الأنام

وإمأ إلى الله فى الخالدين

ولا أكرم القارىء الكريم من هذه اللوحة للشهيد وعنوانها:

« بُبَلُّ هُبَلُّ »

هُبَلُّ هُبَلُّ رمز لسخافةِ والدجل

من بعد ما اندثرت على أيدى الأباة

عادت إلينا اليوم فى ثوب الطغاة

تتنشقُ البَخُورَ نحرُقه أساطير النفاق

مَنْ قُيِّدَت بالأسر فى قيد الخنا والإرتزاق

وثنُّ يقود جموعهم يا للخجل

هُبَلُّ هُبَلُّ

رمز السخافة والجهالة والدجل

لاتسألن يا صاحبى تلك الجموع

لَمَنْ التَّعَبُّدُ وَالمَثُوبَةُ وَالمُخَضُّوعُ
دَعَا فَمَا هِيَ غَيْرُ خِرْفَانِ القَطِيعِ
مَعْبُودُهَا صَنَمٌ يَرَاهُ العَمُّ سَامٌ
وَتَكْفَلُ الدُّوَلَارُ كِي يُضْفَى عَلَيْهِ الإِحْتِرَامُ
وَسَعَى القَطِيعِ غِبَاوَةٌ يَا لِلْبَطَلِ

...

هُبْلٌ هُبْلٌ

رَمَزُ الخِيَانَةِ وَالجَهَالَةِ وَالمُخَافَةِ وَالدُّجَلِ
هُتَّافَةُ التَّهْرِيجِ مَا مَلُوا الثَّنَاءَ
زَعَمُوا لَهُ مَا لَيْسَ عِنْدَ الأنْبِيَاءِ
مَلِكٌ تَجْلِبِبُ بِالعَمِيَاءِ وَجَاءَ مِنْ كِبِدِ السَّمَاءِ
هُوَ فَاتِحٌ هُوَ عِبْقَرِيٌّ مُلْهَمٌ
هُوَ مَرْسَلٌ هُوَ عَالِمٌ وَمَعْلَمٌ
وَمِنْ الجَهَالَةِ مَا قَتَلَ

...

هُبْلٌ هُبْلٌ

رَمَزُ الخِيَانَةِ وَالعَمَالَةِ وَالدُّجَلِ

صِيغَتْ لَهُ الْأَمْجَادُ زَائِفَةً فَصَدَقَهَا الْغَيْبِي
وَاسْتَنَكَرَ الْكُذْبَ الصَّرَاحُ وَرَدَّهُ الْحُرُّ الْأَبْي
لَكِنَّمَا الْأَحْرَارُ فِي هَذَا الزَّمَانِ هُمُ الْقَلِيلُ
فَلْيَدْخُلُوا السِّجْنَ الرَّمِيبَ وَيَصْبِرُوا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ
وَلْيَشْهَدُوا أَقْسَى رِوَايَةٍ فَلِكُلِّ طَاغِيَةٍ نَهَايَةٌ
وَلِكُلِّ مَسْأَلَةٍ فُلُوقٌ أَجَلٌ هُبْلٌ هُبْلٌ
هَبٌّ ... هُبْلٌ

أمثال هؤلاء الطغاة، ومثل دعة الله:

كناطح صخرة يوماً أيوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وهذا المعنى صوره د. يوسف القرضاوي في نونيته، وإليك بعضاً منها:

أظننت دعوتنا تموت بضربة

خابت ظنونك فهي شرظنون

بليت سياتك والعزائم لم تنزل

منا كحد الصارم المسنون

إننا لعمري إن سكتنا برهة
فالنار في البركان ذات كمون
تالله ما الدعوات تهزم بالأذى
أبدأ، وفي التاريخ بريمين
ضع في يديّ القيد ألهب أضلعي
بالسوط ضع عنقي على السكين
لن تستطيع حصار ذكري ساعة
أو نزع إيماني ونور يقيني
النور في قلبي، وقلبي في يديّ
ربي، وربي حافظي ومعيني
سأظل معتصماً بحبل عقيدتي
وأمرت مبتسماً، ليحيا ديني

هذا هو الشهيد سيد قطب، مؤلف المعالم والظلال وصاحب القلم
السيال والسحر الحلال، والذي ننقوه بليل بعد أن أرهقوه تعذيباً وتأنيباً،
وبعد أن يئسوا من استكتابه ما زعموه استرحاماً يقدم إلى قاتله ليعفى
رقيبته من حبل المشنقة، فأبى الشهيد البطل في عزة المؤمن واستعلائه قائلاً
فيما سمعت: إن كان هذا الحَكَم حكم الله فأنا راض به كل الرضا وإن
كان حكم الطاغية فإنني لا أتشفع عند ظالم أبدأ، وإن إصبع السبابة التي

تشهد لله بالوحدانية في الصلاة تأتي أن تخط حرفاً تُقرب به بغي هذا
الظالم .

ومضى إلى ربه راضياً مرضياً ليسعد باستقبال ملائكة الله لروحه في
السماء ولسان حاله يقول: ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي
وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿ [يس: ٦، ٢٧] .

اللهم أعلِ قدره، وتمع بالنظر إلى وجهك الكريم، كفاء ما بذل لإعلاء
كلمتك .

مذبحة ليمان طرة

مذبحة ليمان طرة - أول يواية ١٩٥٧ - وما لابسها من غدر وخسة تدفعنا ونحن نسير على قدم رسول الله ﷺ أن نستدعى من أحداث السيرة النبوية حادثتين هما توأم لحادثة هذا العصر النكد . إنهما حادثتا الرجيع وبئر معونة استشهد فيهما قرابة الثمانين من جلة الصحابة غيلة وغدراً، لنستلهم منهما الدروس والعبر ونطمئن إلى سلامة الطريق، وأن هذه الدعوة التي يحملها الجيل الحاضر ومن يأتي بعدهم هي الدعوة الأولى التي حملها النبي الكريم وأصحابه معه، وما عاناه المؤمنون ويعانونه في هذه الأيام من أذى واضطهاد هو ما عاناه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار بزعامة النبي ﷺ ، وأن ما تم من دحر الباطل وذهاب سلطانه هناك ورفع راية الإسلام عالية خفاقة هو ما ينتظره المعذبون اليوم؛ وهو محقق لهم إن شاء الله ما ستقاموا على الطريق وأخلصوا القصد لله عز وجل .

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بَنَصْرَ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٤-٦] .

وهذا وعد الله، ولن يخلف الله وعده .

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥] .

ثالث المرشدين .. عمر التلمساني

حدثني الأستاذ عمر التلمساني - رحمه الله - أنه بعد الحكم عليه من محكمة الشعب عام ١٩٥٤ [١٥ سنة] رحل إلى السجن لقضاء المدة المحكوم بها، وأودع الزنزانة منفرداً، وألقى إليه ببرش من الليف وبطانية مستعملة وقصرية كاوتشوك للشرب ومثلها للبول، وقروانة ألومنيوم يأكل فيها.

ثم خلا إلى نفسه يستعيد ذكرياته مع الإمام الشهيد الذي بين له بجلاء عقبات الطريق، وما يكتبها من مشاق، وما يلقاه المؤمن من فتنة وابتلاء وأنه أصدق النصيحة.

ويستطرد الأستاذ عمر فيقول: وقد قررت أن أقضى المدة بكامل الرضا والارتياح، أنفذ ما يلقي إلي من تعليمات بمنتهى الأمانة والدقة، دون تبرم أو سخط، وألا أدع لأحد على قابي - غير الله - سلطاناً.

وجاءت محنة ١٩٦٥ وكان اليزال رهن الحبس، فانتهازها الطغاة فرصة للضغط عليه كي يظفروا منه في دوامة الأحداث على تأييد للرئيس ونظامه، بعد أن أعيتهم الحيل فيما مضى دون جدوى، فاستدعى الرجل ليبدى رأيه في الإخوان وسيف ابغى مسلول يشتاقي إلى جز الرقاب، فكان رده الذي لا يتدلجج في خضم لأحداث وتعاضم قوى الشر والطغيان: والله ناس صحبتهم في السراء والضراء، واطمأن قلبي إلى صدقهم، ولا يليق بمثلي أن أطعن عليهم في محنتهم، فأنجاه الله بصدقته من كيد

الكائدين، فلم يظفروا منه بما أرادوا.

كما روى لى - رحمه الله - أنه وهو طالب فى كلية الحقوق، كانت له سيارة خاصة، فإذا حدثت وتطلت وعرض عليه زميل من أبناء الباشوات أن يصحبه فى سيارته اعتذر له شاكراً فى إباءٍ وشمم مؤثراً ركوب الترام، كما كان له طقم خاص للمائدة ينفرد وحده باستعماله، فلو حدث واستعمل أحد من أهل البيت لمبقاً أو ملعقة أو فنجاناً طرحه جانباً وأبى أن يستعمله.

رجل فى مثل هذا المستوى، من الرفاهية والأبهة يحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً دون جريرة. ماذا سيفعل وفرشه برش من الليف، وغطاؤه بطانية مستعملة، وقروانة ألودنيوم يقدم له فيها السوس المفلول، والعدس المحلى بالحصا، والفاصوليا الجافة، والبصارة الدكر، وكلها لا تقوى معدته على هضمها؟

ولكنه قضى مدة السجن كاملة وفوقها سنتان وأكثر، ضارباً المثل الحى للمسلم الصابر المحتسب الذى، يهزأ بالأحداث، ولا تغيره الشدائد، ولا يميل مع الريح حيث تميل.

لقد وعى عن أستاذه الإمام للدروس الغالية من مثل قوله:

إن تكوين الأمم، وتربية الشعوب، ومناصرة المبادئ، وتحقيق الآمال، تحتاج من الأمة التى تحاول هذا أو من الفئة التى تدعو إليه - على الأقل - إلى قوة نفسية هائلة تتمثل فى عدة أمور:

إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا

غدر، وتضحية عزيزة لا يحول د. نها طمع ولا بخل، ومعرفة بالمبدأ وإيمان
به وتقدير له، يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه
والخدیعة بغيره.

تحمل ذلك كله وشعاره الذى يترنم به:

وكن رجلاً كالضرس يرسو مكانه

ليطحن لا يعنيه حلو ولا مر

فإن جنح الأبطال فى كل وقعة

فم عرفت حرب بها غلب الصبر

كان المحكوم عليهم فى قضايا جنائية من غير الإخوان يقومون بالخدمة
العامة، فيتسابقون إلى خدمة الأستاذ عمر بكل سبيل لما كان يغمرهم به
من برٍ وعطف، باعتبارهم ضحايا لما يسود المجتمع من فساد وظلم نتيجة
الإعراض عن تطبيق شرع الله الذى، لو أخذ به لاستراح الحاكم والمحكوم وما
وجدت هذا الجيش من مرتكبي الجرائم حتى غدت السجون تخرج أكثر
مما تخرج المدارس والجامعات.

فى ليلة شديدة البرد أراد هؤلاء المسجونون أن يتحفوا الرجل بكوب
من الشاي يستدفىء به.. فما أتيلة وليس عندهم نار ينضجونه عليها،
وإن وجدت فما السبيل إلى إيصاله إليه والزنزانة مغلقة، ومفتاحها لدى
ضابط النوبة.

كان المسجونون يستخدمون نصيبهم من الحلاوة الطحينية كموقد

يشعلونه بعود من الثقاب يضعونه بين حجرين فينضج الشاي . . ثم
اهتدوا إلى وضع الشاي في تلمبة سلامون بيضاوى ثم إزاحتها من أسفل
باب الزنزانة حيث يبقى فراغ ٣ سم، ويهمسون للأستاذ عمر: خد دفى
صدرك يا أستاذ، ويشرب الأستاذ عمر شايأ ألد نكهة مما كان يشربه فى
الفناجين المذهبة .

كما حدث أنه كان بالسجن ضابط (نكدى) يكره الإخوان ويتفنن فى
مضايقتهم . . فمر يوماً بزنزانة الأستاذ عمر فرآه قد ارتدى البدلة الزرقاء -
بدلة السجن - مكوية، وقد بدا فيها الأستاذ عمر فى قمة الأناقة . وكان
هذا الغر قد غاظه أن يبدو الأستاذ عمر فى مظهر حسن، فسأله : إيه ده؟
فرد الأستاذ عمر: بدلة سجر، يا فندم . فعقب الضابط بقوله : انت راح
تشتري السجن؟ فرد الأستاذ عمر على الفور: لا والله ما اشتريه ولا يدخل
ذمتى بمليم . ثم راح الضابط بفتش الزنزانة ويقلب ما فيها رأساً على
عقب، فعثر على قصافة أظافر، فوجه اللوم إلى الأستاذ عمر لما أنها من
الممنوعات . وأحس الأستاذ عمر أنها راقت فى عينيه، فهتف به أن
ياخذها، فأخذها وهو فرح . يقول الأستاذ عمر: إذا كانت مثل هذه اللعبة
ترضى نفسيته فسوف أعهد إلى الأهل بجلب مثل هذه اللعبة ألهيه بها
عنى .

وهكذا الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، واستقر فى أعماق الفؤاد،
ودانت به الأرواح، لا بد أن يكون له مظاهر وآثار تدل عليه، وما أكثر ما
ترك الأستاذ عمر من آثار خلدت ذكره وانتزعت كلمات الشناء من فم
الخصوم قبل الأصدقاء .

مواقف

(١) رقة: حدث أن كنت عابداً من دورة المياه بعد أن قضيت حاجتي فلمحت الأستاذ عمر متجهاً إلى الدورة وهو يسرع الخطى، فألقيت عليه التحية فلم أتلق منه رداً، وفسرت الأمر بأنه لم يسمعني بالتأكيد. ولما عدت إلى العنبر بعد أكثر من ساعة أخبرني رفاقي أن الأستاذ عمر جاء يسأل عنى أكثر من مرة، وأنه كان يبدو قلقاً، وأكد عليهم إبلاغى فى أول فرصة، وما أن علمت برغبته -نتى سارعت إلى لقائه، ولشد ما كانت دهشتى حين رأتى وكان جالساً فنهض واقفاً يضمنى إلى صدره ويعتذر فى حياء جم دونه حياء العذارى، مؤكداً لى أنه لم يتمكن من رد التحية بسبب هجمة البول التى كانت كثيراً ما تهاجمه، ورحت بدورى أهون عليه الأمر ذاكرةً أننى واللّه ما ظننت به إلا خيراً ولا أتصور أن مثله تفوته هذه البدهية، أو أنه قطعاً لم يسمعنى، ولكن الرجل ظل ولفترة طويلة كلما لقينى يبادرنى معتذراً.

(٢) يحترم نفسه: حين قدم إلى معتقل طرة بعد قضاء العقوبة [١٥ سنة] كان طبيعياً أن يحتفى الإخوان بمقدمه، كل يبغى أن يظفر بالجلوس إليه، وتوفيقاً بين الرغبات، عهد إلى الأخ رجب الحميسى - رحمه الله (توفى فى السجن بعد قضاء ١٦ سنة) - تنظيم هذه اللقاءات فكانت تتم بالدور، فالיום مع نزلاء العنبر ٣ وغداً فى العنبر ٤ وهكذا.. ولكنه رحمه الله تفادياً لما قد يعتذر منه توجه إلى قائد المعتقل يستأذنه فى أن يتحرك تلبية لدعوات إخوانه، فإن أذن فيها ونعمت وإلا فإنه يلتزم بالتعليمات ولا يغادر عنبره، فما كان من قائد المعتقل إلا أن رحب به

ذاكراً له أن له حرية الانتقال في أى وقت دونما عائق.

وهكذا كان سلوك الرجل الذى يحترم نفسه ويتفادى ما قد يعتذر منه، ولك أن تتصور العكس أو أنه انطلق لزيارة إخوانه غير مكترث بأمر قائد المعتقل وأحس هذا بتحرّكاته فأرسل إليه معاتباً ومؤنباً.

(٣) أشكوك إلى الله : وإن أنسَ لا أنسَ موقفه الرائع الذى شنف أسماع الزمان، وتناقلته وكالة الأنباء المحلية والعالمية، وصار حديث الركبان فى كل أنحاء الدنيا. يوم أن دبر الرئيس الراحل أنور السادات خطة يستدرج بها الأستاذ عمر لحضور مؤتمر خطط له، قاصداً إحراج الرجل على الملأ، غير عابئ بمحنة الرجل بفقد شريكة حياته فجأة، وهى التى شاركته آلام المحنة على مدى ثمانية عشر عاماً صابرة محتسبة، فتعمد الرئيس الراحل دعوته إلى هذا المؤتمر وهو لا يزال يعيش حرارة البلوى وعظم المصيبة. ولبى الأستاذ المرشد الدعوة بعد إلحاح من حاشية السادات، وذهب إلى المؤتمر ليسب عليه الرئيس المؤمن جام غضبه وقد اعتلى المنصة وأحاطت به كل مظاهر الأبهة والعظمة، وهو بين حراسه وحاشيته، بينما غريمه قد قارب الثمانين وأحنت ظهره السنون التى قضاهما تحت أقبية السجون، وليس له من سند فى مواجهة الطاغية سوى إيمانه بالله الذى لا يتزعزع.

وفى تلك الليلة حاول السادات الإساءة إلى الرجل وإلى الإخوان، فاتهمه بتحريض الشباب على النظام والتآمر على أمن الدولة، وأنه فى وسعه أن يغلق مجلة الدعوة التى تَعْطَفُ وأذن بإصدارها إلى آخر ما قيل فى تلك الليلة مما سمعه الناس مذاعاً على الهواء، وأبى المرشد الراشد أن يدع الفرصة تمر دون أن يلقن صاحبنا درساً يخلد على الزمان، فانبرى

يفند هذه التهم الباطلة ويقول: نا لا أحرص الشباب على النظام، واسأل
مديرى الجامعات كيف يستعينون بى لتهدئة خواطر الشباب والحد من
ثورتهم [مش عمر التلمسانى اللى يتآمر.. أنا بعد ١٨ سنة فى السجن
جاء الخبر أن فلان - يقصد عبد الناصر - مات، فلم أشمت ولم أفرح بل
أول ما بدر منى الله يرحمه]. ثم صاح الأستاذ بأعلى صوته فى وجه
السادات: لو أن أحداً غيرك قد تهمنى وأنت رئيس الجمهورية لشكوته
إليك، أما وأنت تتهمنى فى من أشكوك؟ أشكوك إلى الله، قالها مراراً،
فأسقط فى يد السادات وارتعدت فرائصه وكاد [الباب] أن يسقط من
يده. ثم قال: يا عمر إني أخاف الله. اسحب شكواك يا عمر، وصاح من
حوله من حملة المباخر: اسحب شكواك. اسحب شكواك.

فجاء الرد قاطعاً حاسماً: لقد رفعتها إلى إله عادل يريحنى ويريحك.

عاد السادات يقول: نفتح صالحة جديدة.

فرد المرشد: صحح أنت أخطئك يا محمد يا أنور يا سادات (١). أنت
الليلة دى أخرجتنى وأذيتنى أذياً سأذهب بعدها لألزم الفراش.. وأرجو أن
يعجل الله بى إليه.

وانفض الحفل على هذا النحو. وانقلب السحر على الساحر. فالظلم
مرتعة وخيم، وهكذا من سل سبف البغى قتل به.

ولقد بعث السادات إلى الرجل فى بيته ثلاثة من وزرائه فى تلك الليلة
يسترضونه. فكان الرد: لقد رفعت شكواى إلى الله.

(١) لم يراع أنور السادات فارق السن بينه وبين الرجل الذى هو فى عمر أبيه فراح يناديه
باسمه مجرداً.. فلم يفت الأستاذ: مر أن يناديه باسمه مجرداً.. وهذه بتلك، والبادى
أظلم.

واستجاب الله دعوة المظلوم، وراح السادات صريع غدره وغطرسته على
أيد سخرها الله لذلك بعيداً عن تدبير أحد من الإخوان، وسار في جنازته
اليهود والأمريكان.

* * * :

عبد الرحمن البنان

فى أغسطس ١٩٥٤ اعتقلت ومجموعة من الإخوان بسجن القلعة، وكان ذلك قبل حادث المنشية ببضعة أشهر، والذي على أثره رحلنا إلى سجن مصر وقضينا هناك أياماً نقلنا بعدها إلى السجن الحربى، وفى الطريق إليه أخذتنا حماسة الشباب، وانطلقنا بأعلى صوتنا ننشد نشيد السجون:

اللَّهُ أَكْبَرُ — اللَّهُ أَكْبَرُ
اللَّهُ أَكْبَرُ فى سبيل الله أدخلنا السجون
والمخرجون من الديار بلا ذنوب يُحبسون
اللَّهُ أَكْبَرُ وليكن بعد الحوادث ما يكون
لا نستعين بغير ناصرنا وما نلقى يهون
والله أَكْبَرُ فى سبيل الله أدخلنا السجون
الله أَكْبَرُ نَفْحَةٌ للمسلمين الأتقياء
اللَّهُ أَكْبَرُ فَتَحَتْ، للمهتدى باب السماء
يارب قد ظلموا العباد ومثلوا بالأبرياء
لا نستعين بغير ناصرنا وما نلقى يهون
والله أَكْبَرُ فى سبيل الله أدخلنا السجون

واستمر هتافنا حتى وصلت بنا السيارة أمام باب السجن، وقد طرقت أصواتنا أسماع الزبانية وزعيمهم.

هذا السجن الذى سيظل وصمة عار فى جبين مصر لا تُمحى، وقد زعموا أنهم هدموه تنفيذاً لوصية محكمة أمن الدولة العليا فى حكمها فى قضية الجهاد. صحيح أنهم هدموه، لكنهم أقاموا بدله العديد من السجنون أهمها سجن العقرب، والبقية تأتى إلا أن يشاء الله أمراً، ولا يزال الشباب المسلم يُسام الخسف والهوان بين جدران هذه السجنون.

ونزلنا من السيارة، ولم نكد نجتاز الباب الخارجى حتى لمخنا فرقة من الشياطين مزودين بالهراوات والسياط، يتقدمهم قائدهم المظفر حمزة البسيونى، وكأنه عمرو بأجنايين، وقد ارتدى بلوفر من الجلد وبدا شعره الأشيب أشعث منفوشاً ليبدو للناظر فى صورة بطل، بينما داخله ينطوى على روح حيوان أعجم، كالهري يحكى انتفاخاً صولة الأسد.

وأعطى الإشارة للزبانية الذين انطلقوا كالكلاب المسعورة، وبين المعتقلين رجال طاعنون فى السن، فلم يشفع لهم سنهم، ولم يرحموا ضعفهم. وكانت حفلة استقبال يعجز القلم واللسان عن وصفها.

وكان معنا فى تلك الساعة الأخ المجاهد الأستاذ عبد الرحمن البنان الذى شهدت بطولاته أرض فلسطين وهو فتى فى سن السادسة عشرة. لم يرهبه هذا الحشد من الزبانية زعيمهم، فصاح فى حمزة البسيونى وجماعته: يا كلاب، وهنا ترك الزبانية جميع المعتقلين، وتحولوا إلى عبد الرحمن يوسعونه ضرباً ولم ندر ماذا كان من أمره، إلا أن الأخ د. وائل

شاهين حدثني أن الأخ عبد الرحمن ضرب المثل للأخ الصادق المحتسب خلال التحقيقات التي أجريت معه وسط أهوال السجن الحربى، حيث لم يفلت أحد ممن شاء سوء الطابع أن يقدم للمحاكمة من التوقيع على محضر الإدانة الذى دبَّجه أعوان الطاغوت، إلا عبد الرحمن الذى أصر على عدم التوقيع رغم ما حلَّ به من عذاب تنوء به العصابة من الرجال، وهو مصرٌّ على موقفه لا يتزحزج.

و حين مثل أمام محكمة الشعب - وكان الإخوان يطلقون عليها محكمة الشَّغْب [بالغين المفتوحة] - وكان شقيقه قد استقدم له محامياً للدفاع عنه، وكان من دأب النمامين إذ ذاك أن يستدروا عطف المحكمة فيستهلوا مرافعاتهم بالثناء على المتهم الضحية، ثم ينحون باللائمة على الجماعة وقيادتها التى غررت بـهؤلاء الشباب الذين لا ذنب لهم ولا جريرة. وسلك محامى عبد الرحمن هذا المسلك، فراح يكيل الثناء لهذا الشاب المسلم المشهود له بدمائة الخلق لولا أنه غرر به، يريد بهذا الأسلوب أن ينتزع البراءة لموكله.

ولم يكذ عبد الرحمن يسمع كلام المحامى حتى صاح فى وجهه طالباً منه أن يكف عن مرافعته، وأن يرفض أن يكون محامياً عنه، ثم أدار ظهره للمحكمة ورفع ثيابه ليريهم ما فعل الزبانية. ولكن هؤلاء الضباط الذين نُصِّبوا قضاة، وهم يجهلون أبا باء القانون، لم يكونوا إلا دميَّ يُحركها الطاغية كما تُحرك الدمى فى مسرح العرائس.

ونال عبد الرحمن عشر سنوات قضاها كاملة فى السجن أفرج عنه بعد انتهائها، ثم أعيد اعتقاله فى موجة ١٩٦٥ وقضى قرابة أربع سنوات.

كما نقل إلى د. وائل شاهين وقعة أخرى تدلّ على جلادة عبد الرحمن
وصلابته:

ففي مرحلة من مراحل التحقيق معه بإشراف حمزة البسيوني، اجتمع
عليه مجموعة من الجلادين يوسعونه ضرباً بالعصى والسياط وعبد الرحمن
جاثم على الأرض وكأنه صخرة. طلب إليه حمزة أن ينهض واقفاً فأبى
عبد الرحمن أن يجيبه إلى طلبه، وظل جاثماً على الأرض يتلقى الضربات
الموجعة.. عند ذلك رق له القلب الذي وكأنه قد من صخر، وأمر الجنود
بالكف عنه، وراح يتبسط معه وكأنه يريد أن يعتذر له، ثم أمر أن يطهى
له طعام خاص، وبالفعل قدمت له دجاجة محمرة، في وقت كان السوس
المفول والعدس الممزوج بالحصا والفاصوليا الجافة والبصارة الدكر [فول
صحيح] كادت تمزق أمعاءنا. أثبت نفسه الكريمة ذلك، وترك الطاغية
ليفهم - إن كان لديه مسحة من عقل - كيف يتأتى له أن يأكل من يد
ملطخة بدمه.

هذا الشاب المبارك، وأمثاله من خيرة الشباب المسلم كثيرون، ذاقوا
العذاب ألواناً على يد أناس زعموا أنهم قاموا يحررون الوطن من المحتل
الغاصب. فاللهم رفقا بهذا الوطن الجريح.

رجال شرفاء

فى غمرة الأحداث وتسلط الطغاة، يأبى الله عز وجل إلا أن يقيم الحجة على الإمّعات من أتباع الظالمين، الذين يلهبون ظهور الأحرار وينكلون بهم إرضاءً لساداتهم، بل رأينا من هؤلاء من يبالبغون فى تنفيذ الأوامر ويتفننون فى ابتكار أساليب جهنمية قد لا تخطر ببال ساداتهم المستبدين، فكانوا ملكيين أكثر من الملك.. ورأينا إلى جانب هؤلاء رجالاً شرفاء، يستنكفون أن يكونوا عصاً غليظة فى أيدي السادة تنكل بالمظلومين.

ضابط شاب يعرفه الجميع، اسمه [عثمان الجندى]، وزميل له يدعى [رشاد] من قوة معتقل أبى زعبل، كنا ننتظر نوبتهما بفارغ الصبر، حيث تفتح لنا الأبواب على مصراعيها، وتقيد شياطين العساكر وتشل أيديهم فلا تمتد إلى أحد من الإخوان بسوء، و[صول] من نفس قوة المعتقل يدعى [برعى] يعهد إليه بتعذيب مجموعة من الإخوان فى غسق الليل، فيرتفع صوته يسب الأخ [يا ابن الجامرة.. يا ابن البقرة] وينهال سوطه بالمئات لكن على الحائط، ويوعز إلى الأخ أن يصرخ بأعلى صوته ليوهم الضباط بتنفيذ الأوامر، وكثيراً ما كان يتسلل إلى العنابر خفية يطلب منا طعاماً وأغطية للإخوان المكلف بتعذيبهم.

وكان من مآثر الضابط عثمان الجندى وزميله رشاد أن صادفت نوبتهما يوم العيد، وكان عيداً من أحلى الأعياد. نعمنا فيه بقدر وافر من الرفاهية والمتعة، لعلنا فيما أحسب لم نلاحظ بمثلها بين أهل وفى زمن العافية.

فى ذلك اليوم انطلق الإخوان ينفسون عن همومهم، وتبارى الشعراء
والزجالون وهواة التمثيل، وقدموا لإخوانهم ما طابت به نفوسهم
وانشروا له صدورهم.

ومن القصائد التى ألقى فى ذلك اليوم قصيدة من شعر المحنة للأخ
الكريم الأستاذ عبد العزيز جمعة: من إخوان شبين الكوم جاء فيها:

صباح العيد قوم

صباح الأجر والمغنم

طريق الحق محفوف

بأشواك كما نعلم

وكل الناس ذو حس

وذو قلب به يرحم

فإن أحزن فلى عذرى

وإن أصبر فذا أكرم

نبى الله يعقوب

بكى أسفاً على ولد

وكان الله يرعاه

وكان الخير فى البعد

فأنقذ من مجادات

وأطلعنا على كـيـد

وصار وزيراً مـتـنـا

ولم يك ذاك في خلد

وإبراهيم يُسكـنـه

بوادٍ غـيـر ذى زرع

فـيـرـعـاه له الله

تعالى خيرٌ مسترع

فـحـين يريد يذبحـه

يجـيـب أباه: أن أـطـع

ويرزق منه أمـتـنـا

فأين قلوبنا لتـعـى؟

ونوح في رعـايـتـه

مثال الناصح الحـانـى

وما أغنى عن امـرأة

ونجل بين أحـضـان

فَمَا سَمِعَ إِلَّا بِإِيمَانٍ

وَقَدْ غَرِقَا بِطُوفَانٍ

وَإِنْ حَمَلْتَ سَفِينَتَهُ

خَلَائِقَ غَيْرِ إِنْسَانٍ

وَمُوسَى لَمْ يَطِقْ صَبْرًا

عَلَى خَضِرٍ وَمَا أَمْرًا

فَصَوَّرَ خُرْقَهُ إِبْرًا

وَصَوَّرَ قَتْلَهُ نُكْرًا

وَقَالَ لَهُ: أَلَمْ تَأْخُذْ

عَلَى بَنِيَانِنَا أَجْرًا؟

فَأَطْلَعَهُ عَلَى حِكْمٍ

وَكَنتَ أَوْدًا لَوْ صَبْرًا

لَعَنَ خُرْقَتَ لَنَا سَفْنًا

أَكْبَى نَنْجُوا إِلَّا نَصْبْرًا؟

وَإِنْ أَبْعَدْتَ عَنَّا وَدِي

فَلَمْ أَرْهَقْ، وَلَمْ يَكْفُرْ

فأبدلني يا الله
زكاةً كيف لا أشكر؟
وإن مالت لنا جُدرٌ
سيبنيها لنا الأكبر
فضاء الله لي خيرٌ
فهل من أعين تُبصر؟
فلا تعجل لكي يُقضى
فإن الله لا يعجل
فيونس حين لم يصدبر
وأبقَ يريد أن يرحل
رأينا الحوت يلقُمه
ولم يظفر بما أمّل
ولما تاب أكرمَه
ومتع قومَه لأجل

فإن كنا بطن الحو
ت في الظلمات لا ننسى

ولم نشغل عن التسبيح
ح لا شغلاً ولا بأساً
فيا بشرى بمنجاة
تزيد حياتنا أنساً
وإلا فهى تهلكة
ويا تعساً لنا تعساً
أنا رهن بما قدمت
حتى أصدق التوبة
وغيري عاش في تيه
لجاء ليجتلى دربه
وربُّ منافقٍ كـ
أبان بلاؤه قلبه
وكم من كافري بي
لكيما يرتجى ربه

وهذى سنة الرحمن
فى كل الأناسى

وما شذت لكفار
ولا حتى لهدي
ولم يؤخذ لنا عهد
بأمر غير ما أتى
لذا أرضى وأسترضى
بمقدور ومقضى

رجال أولياء

رهين المحبسين

الأخ المهندس إمام غيث - رحمه الله - من ضحايا هجمة ١٩٦٥
حكم عليه بالسجن ١٥ سنة، قضى جانباً كبيراً منها، ثم أفرج عنه في
عهد السادات عام ١٩٧٤ ولكنه دهمه داء عضال لازمه قرابة ١٥ سنة أعيا
مشاهير الأطباء، فسافر إلى إنجلترا للعلاج دون جدوى، ثم عاد يستأنف
علاجه بمستشفى عين شمس التخصصى وساءت حالته، وأدخل غرفة
الإنعاش وعاش أياماً في غيبوبة تامة.. يحدث الدكتور مأمون عاشور
الأستاذ بالمستشفى نقلاً عن الممرضة التى كانت تقوم على تمريضه، تقسم
له أنها رأت من هذا المريض عجباً كلما باشرت الغيار على الجرح استدعى
ذلك كشف نصفه الأسفل، فكان وهو فى غيبوبة كاملة يمد يده اليسرى
يستر بها عورته، مما أدهش الممرضة التى كانت تنحنى لتقبل يده رجاء
البركة، وتنخرط فى بكاء شديد.

فى سبيل الله ما لقيت، وفى ذمة الله يارهين المحبسين محبس الطغاة
ومحبس المرض.

والله المرجو الإجابة أن يجعل ذلك فى ميزانك لتفوز بالجنة التى وعدّها
الله عباده الصابرين المتقين.

الدائم المجاهد

الشيخ أحمد شريت - رحمه الله - من أكابر علماء الأزهر، وكان مفتشاً للوعظ بالأزهر وعضواً بـمكتب الإرشاد، ومن أسرة عريقة مجاهدة، فأخواه الأستاذ حامد شريت والأستاذ محمود شريت كانا على نفس الدرب .

حكم عليه في سنة ١٩٥٤ بالسجن ١٥ سنة قضاها كاملة ثم رُحِّل عام ١٩٦٩ إلى معتقل طرة، وكان هذه المدة لم تشبع نهم الطغاة في التشفي والحقد على رجال الدعوة ورموزها .

مرض الرجل مرضه الذي مات، فيه، فرحل إلى مستشفى قصر العينى، وكان يقوم على تمريضه أخ كريم هو الأخ المرحوم رجب الخميسى الذى كان بدوره مريضاً، فلما أحس لشيخه بدنو أجله - رأى فيما يرى النائم أن الشيخ أحمد نار الذى توفى فى السجن وكان محكوماً عليه بعشر سنين، يزوره ويدعوه إلى اللحاق، بإخوانه الذين سبقوه، فاستدعى الأخ رجب وأخبره بهذه الرؤيا وأملى عليه وصيته التى جعلها كلها نصائح للإخوان للاستمساك بدعوتهم وعدم التفريط فى بيعتهم .

وقد أتيت لى فرصة مصاحبة الرجل منذ وفد إلينا من سجن أسيوط بعد قضاء ١٥ سنة، فكان وجوهه بيننا بلسماً؛ كنت لاتراه إلا مبتسماً، رائق الوجه طلق الحيا، وكثيراً ما كان يردد هذا القول يصبر به إخوانه :

وكم لله من لطف خـفى

يدق، خفاه عن فهم الذكى

وكم هم نساءً به صبا حياً
وتعتبه المسرة في العشي
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً
فثق بالواحد الأحد العلى
ألا رحم الله شيخنا الجليل أحمد - شريت وأسكنه فسيح جناته.

* * *

أعمل بمبادئ حسن البنا

كان الشهيد عبد القادر عريدة من ألقى الناس صلة بعبد الناصر، لا يطيق أحدهما البعد عن صاحبه ساعة، كما أخبرني من أثق في روايته. ومن قبله كان الشهيد محمد فرغلي قائداً لكتائب الإخوان في فلسطين، وكان هناك تنسيق بينه وبين ضباط الجيش، وخاصة الإخوان منهم، وكان عبد الناصر إذ ذاك محسوباً على الإخوان، ومع ذلك لم يكن يجرؤ أن يدخل على الشهيد فرغلي مقر قيادته إلا أن يأذن له. فلما تنكر للإخوان وبغى عليهم، كان الشهيد فرغلي على رأس أول وجبة قدمت على طبق من فضة للإنجليز الذين رصدوا -- أيام معارك القنال -- خمسة آلاف جنيه مكافأة لمن يأتي بالشيخ فرغلي - تياً أو ميتاً، فقدم جمال عبد الناصر رأس الشهيد لهم مجاناً.

لقد أقدم على حل الجماعة ووجهاً لقيادتها أشنع التهم، وزج بقادتها ورجالها في المعتقلات، أدرك الشهيد عبد القادر أنه كان مخدوعاً بعد أن بدا له بيقين ما تنطوى عليه نفس صاحبه من غدر وما يحمله في قلبه من ضغن. وكان قد تعمد ألا يعتقه أي عبد القادر وآخرين معه لمساومته، ولإيهام جموع الإخوان أن قيادتهم منقسمة على نفسها، ولكن الشهيد سلك طريق رجل الدعوة الذي يحمل في عنقه بيعة، وقاد الصف بحكمة واقتدار، وواجه عبد الناصر بما ينبغي أن يواجهه به من نكث العهد، وغدر برفاق الدرب، فأصدر [بيان للنس] دحض فيه كل ما تضمنه قرار الحل

من تهم باطلة، وختمه بتجديد البيعة للمرشد وحث الإخوان على تجديدها، ثم حاول مفاوضة عبد الناصر الذى راح يزعم له أنه أخلص للدعوة من الأستاذ الهضيبى وحاشيته، وأنه أولى من المرشد بقيادة الجماعة، وشفع ذلك الادعاء بأن ذهب لزيارة قبر الإمام الشهيد فى ١٢ فبراير ١٩٥٤ وقد سمعته بأذنى يقول:

يعلم الله أننى أعمل - إن كنت أعمل - لتنفيذ المبادئ التى استشهد من أجلها حسن البنا، ثم غمز الأستاذ الهضيبى، وهو رهين الحبس، بما يفهم منه أنه نقض العهد. وهكذا رمتنى بدائها وانسلت.

وتكلم الأستاذ عبد القادر، فقال: إننا حين نلتقى اليوم لتخليد ذكرى الإمام حسن البنا، إنما نحتفل بذكرى رجل رسم طريق الثورة، ورسم خطة الإصلاح للراغبين فيه، فلا عجب أن كان حسن البنا زعيم الثائرين على وجه الأرض فى القرن العشرين

إن حسن البنا علّمنا أن الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا، فلسنا نبغى جاهاً ولا منصباً، ولا نبغى الحكم، وإنما نبغى مرضاة الله تبارك وتعالى.

ثم تكلم بعده الأستاذ عبد الرحمن البنا - شقيق الإمام الشهيد - وطلب فى آخر كلمته الإفراج عن المعتقلين وإصلاح ذات البين.

وكان عبد الناصر قد عقد العزم بعد حل الإخوان على التخلص من الرئيس محمد نجيب ليخلو له الجو. وفى ٢٦ فبراير ١٩٥٤ أذيع بيان من مجلس قيادة الثورة بتنحية نجيب. وكان للرجل شعبية كاسحة فى الجيش، وبين جموع الشعب التى أحبته لبساطته وسماحته، فثارت وحدات

الجيش، وخرجت الجماهير تصالب بعودة نجيب، فاضطر مجلس قيادة الثورة إلى إذاعة بيان بعودة نجيب فى اليوم التالى . وكانت فرحة غامرة، وانتهاز الأستاذ عبد القادر الفرصة فنظم مظاهرة ضخمة توجهت إلى قصر عابدين لتهنئة نجيب والمطالبة بإفراج عن الإخوان وإلغاء قرار الحل .

وكان يوم ٢٨ فبراير يوماً مشهوداً حقاً، وكان من تخطيط الإخوان لمثل هذه المظاهرة أن تلقى التعليمات إلى القاعدة ليتوجه الإخوان فرادى إلى المكان المرسوم حتى لا يحبط الأمن خطتهم، وفى ساعة الصفر يهتف أحدهم [الله أكبر ولله الحمد] فتندفع الجموع إلى مصدر الصوت كالموج الهادر، ثم لا يلبثون أن يغصر بهم المكان فلا يحس بهم رجال الأمن . كانت هذه هى الخطة، وفى أقل من لمح البصر اكتظت ساحة قصر عابدين بالآلاف وتعذر على رجال الأمن التصدى لها .

وقف الشهيد عبد القادر فى سيارة جيب يوجه كلامه إلى الرئيس نجيب قائلاً : يا نجيب . إن هذه الجموع الحاشدة، وإن هذا الشعب الذى أعادك إلى مكانك، جاء اليوم ليدلى برغبته . جاء اليوم ليفرض إرادته . جاء اليوم ليقدم المطالب الآتية :

١ - أن يعود الجيش إلى ثكناته ريتفرغ لمهمته فى الدفاع عن الوطن .

٢ - أن تؤلف وزارة مدنية يرتضيها الشعب .

٣ - أن يفرج عن كافة المعتقلين

٤ - أن تحكم البلاد حكماً إسلامياً أساسه القرآن الكريم والسنة المطهرة .

وبينما الشهيد كذلك، إذ جاء من يخبره بأن طالبين من الإخوان قد

قتلا عند تعرض الأمن لهما .

عند ذلك رفع الأستاذ عبد القادر عقيرته وارتفع صوته، وكأنه منذر جيش قائلاً: يا نجيب . كنا نود أن يمر هذا اليوم بسلام دون إراقة دماء، ولكن نفرأ من ضباط الأمن أبوا إلا أن تراق الدماء، وإلا أن يستشهد نفر من أبنائنا الطلاب .

ثم أردف يقول: إننى أطالب بتحقيق سريع يأخذ المسىء بإساءته .

وهنا بلغ هياج الجماهير مـ.اه، وارتفعت الحناجر تشق عنان السماء تهتف بسقوط جمال الأمريكى، وبسقوط حكم الفرد المطلق . واشترك فى هذه المظاهرة الأخ إبراهيم كروه - رحمه الله - الذى كان يمتطى فرساً ويطلق أعيرة نارية فى الهواء، وكذلك طلاب سودانيون من الإخوان، وكان لهم سمة مميزة وهم يهتفون: الهديبى يا نجيب [يقصدون الهضيبى] المعتقلين يا نجيب .

كانت جماعة الانقلاب قد اختفوا ذلك اليوم، فلم يظهر على الساحة إلا خالد محيى الدين الذى كان على رأس المطالبين بعودة نجيب .

وحاول نجيب صرف المتظاهرين من خلال الميكروفون، ولكن صوته ضاع وسط الحشود الهائجة، فلم يجد نجيب بداً من الاستعانة بالأستاذ عبد القادر، فأرسل من الضباط من يحملونه إلى حيث يقف نجيب فى الشرفة المطللة على الميدان، وتناجى الرجلان هنيهة، أمسك على أثرها الأستاذ عبد القادر بالميكروفون ووجه كلاماً قائلاً: أيها الإخوان . لقد أدبتم واجبكم، فأرجو أن تنصرفوا فى هدوء، وشكر الله لكم .

وفى مثل ملح البصر، أضحي الميدان الذى كان منذ لحظات يعج بالآلاف قاعاً صنفصفاً لاترى فيه ثراً لأحد .

ومما يذكر أن عبد الناصر ذهب فى ذلك اليوم لزيارة الجرحى من الطلاب فى القصر العينى، فثاروا فى وجهه وهمّوا بطرده، فعاد أدراجه خائباً لايلوى على شىء .

كان من نتائج هذا التدبير انكم أن تتابعت بيانات جامعات القاهرة والأسكندرية تطالب بما طالب به الأستاذ عبد القادر عودة، من عودة الجيش إلى ثكناته، وإلى إطلاق الحريات . وتبعهم الأستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة - رحمه الله - ببيان مماثل، وحفلت الصحف اليومية بمقالات من ذوى الرأى والفكر تدور حول هذه المعانى . وسرت بين جموع الشعب موجة سخط صارمة . ونظم طلاب الجامعات والمدارس مظاهرات تندد بالظلم وتطالب بالإصلاح .

وفى عشية ذلك اليوم، اعنقل الأستاذان عبد القادر عودة وعمر التلمسانى وتعرضا لتعذيب شديد، فقد كان عبد الناصر لايزال يتحرك . ولكنه فى النهاية حنى رأسه للعاصفة وقرر الإفراج عن المعتقلين، وأعلن تشكيل لجنة لوضع دستور للدبلاد على رأسها على ماهر والدكتور السنهورى، ولم يكن ذلك إلا - نداعاً ليلتقط أنفاسه، ويستأنف عدوانه على الأمة من جديد، والدليل على خداعه أنه أرسل جماعة من الغوغاء إلى مجلس الدولة للاعتداء بالعرب على رئيس المجلس الأستاذ الدكتور عبد الرازق السنهورى الذى بدأ يصرح بضرورة إطلاق الحريات والأخذ فى وضع دستور بصورة جديدة، بعد أن أحس أن فى الأمر مناورة، فكان

جزاؤه ما عرفه القاصى والدانى من إهانة وإيذاء، وراح الغوغاء من هيئة التحرير يهتفون [يسقط المحامين الجهلة] . وعلى رأسهم طبعاً القانونى الفقيه الدكتور السنهورى . . احنى عبد الناصر للعاصفة كما ذكرت وقرر تشكيل لجنة لوضع دستور للبلاد والإفراج عن المعتقلين، وتوجه عقب الإفراج إلى منزل الأستاذ الهضبي معتذراً .

ثم بدأ بمساندة من الأمريكان فى وضع خطة لسحق الحركة الإسلامية متمثلة فى جماعة الإخوان المسلمين . فكانت تمثيلية المنشية المشهورة للتنكيل بالإخوان .

شر البلية ما يضحك

ومن عجائب ما شاهدناه، تلك المهزلة المبكية المضحكة التي تنم عن عقلية فجأة وأفكار ساقطة، حين يعمد القائمون على أمر السجن، وعلى رأسهم حمزة البسيونى، إلى حشد الإخوان فى ساحة السجن على هيئة سرايا، وأمام كل سرية يقف أحد القادة الكبار (المرشد وإخوانه) ليقوم بدور المايسترو، ويجبر الجميع على سماع أم كلثوم وهى تغنى الأغنية المشهورة:

أجمل أعينادنا المصرية

بنجاتك يوم المنشية

ويردد الأطهار من طليعة هذه الأمة - وفيهم رجال القضاء (مستشارون ومحامون ووكلاء نيابة) والأطباء والمهندسون والمربون من أساتذة الجامعات، وخيرة من علماء الأزهر الشريف وغيرهم من كل الطبقات، يرددون هذا الهذر السخيف الذى ابتليت الأمة بصانعيه لحملهم قسراً على الولاء للطاغية المفتون.

ورغم بشاعة المهزلة، فقد كان الشباب يعبرون عن شعورهم بالاستخفاف والازدراء ويرددون فى سخرية:

أنيل أعينادنا المصرية

بنجاتك يوم المنشية

ويتداولون فيما بينهم: أتوا بطلاً وسلوا سيوفاً وقالوا: صدقنا.. فقلنا:
لا، بملء الفم.. ويذكر أحدهم قول الله تعالى على لسان موسى عليه
السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾
[القصص: ١٧].

هذه هي العقلية الهزلية التي تحكم البلاد فأكثرت فيها الفساد وأوردتها
المهالك، وقادتها باقتدار إلى هزيمة يومية المشؤومة، والتي لاتزال الأمة
تتجرع غصصها وتكتوى بنارها.

لقد زعموا أنهم نجحوا في إغلاء الإنجليز عن مصر، وبئس ما صنعوا فقد
جلبوا لها العار والشنار بهزيمة النكراء أمام إسرائيل، ذلك السرطان
الخبث الذي تغلغل في أحشاء الأمة فأفسد البلاد والعباد، ولا يدري إلا
الله متى وكيف تتخلص الأمة من شره وبلائه.

وصدق من قال: إن الحاكم الذي يستبد بشعبه في الداخل يسلمه
لأعدائه من الخارج.. وهذا ما كان.

وهذا عبد الرحمن الكواكبي أحد زعماء الإصلاح في العصر الحديث
- رحمه الله - يمتعنا بما أودع في كتابه «طبائع الاستبداد» فيقول:

المستبد يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم، ويحاكمهم بهواه
لابشريعتهم، ويعلم من نفسه أنه الغاصب المعتدى فيضع كعب رجله
علي أفواه الملايين من الناس يمدّها عن النطق بالحق والتداعي لمطالبته.

المستبد عدو الحق، عدو الحرية، وقاتلها، والحق أبو البشر والحرية
أمهم، والعوام صبية أيتام يام لا يعلمون شيئاً، والعلماء هم إخوتهم

الراشدون، إن أيقظوهم هبوا، وإن دعوهم لبوا.
والمستبد يتجاوز الحد لأنه لا يرى حاجزاً، فلو رأى هذا الحاجز لما أقدم
على الظلم.

الفصل السادس

قالوا عن الإمام البنا

نورد هنا قليلاً من كثير ممن كتبوا عن هذا المصلح العظيم ليقف الجيل الجديد على ملامح تلك الشخصية الفذة التي فاجأت مصر والعالم العربي والإسلامي كله بدعوتها وتربيتها الفريدة، وجهادها الذي لا يني، وعزمها الذي لا ينثنى.. من هؤلاء:

(١) ولدى الشهيد .. في ذمة الله (*)

(للأستاذ الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا - والده)

« عن أنس بن مالك رضى الله عنه في قصة موت إبراهيم بن النبي ﷺ، قال: فجاء رسول الله ﷺ فدعا بالعبي فضمه إليه، قال أنس: فلقد رأيت بين يدي رسول الله ﷺ وهو يكيأ بنفسه. قال: قال رسول الله ﷺ: (تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا عزوجل، والله إنا بك يا إبراهيم لمحزونون).

تتمثل يا ولدى الحبيب في صررتين: صورة وأنت رضيع لم تتجاوز الستة شهور، وقد استغرقت مع والدتك في نوم عميق، وأعود بعد منتصف الليل من مكتبي إلى المنزل، فأرى ما يروع القلب ويهز جوانب الفؤاد: أفعى مروعة قد التفت على نفسها وجثمت بجوارك، ورأسها ممدود إلى جانب رأسك وليس بينها وبينك مسافة يمكن أن تقاس.

وينخلع قلبي هلعاً فأضرع إلى ربي وأستغيثه فيثبت قلبي، ويذهب

(*) من كتاب « الإمام الشهيد حسن البنا » مطابع معتوق إخوان - لبنان د. م.

عنى الفزع، وينطق لسانى بعبارة واردة فى الرقية من مس الحية وأذاها
وما أفرغ من تلاوتها حتى تنكش الحية على نفسها، وتعود إلى جحرها،
وينجيك الله يا ولدى من شره لإرادة سابقة فى علمه، وأمر هو فيك
بالغى .

وأتمثلك يا ولدى وأنت صرع وقد حملت فى الليل مسفوكًا دمك،
ذاهبة نفسك، ممزقة أشلاؤك، هبت أذاك حيّات الغاب، ونهشت جسدك
الطاهر حيّات البشر، فما هى إلا قدرة من الله وحده تُثبت فى هذا الموقف،
وتعين على هذا الهول، وتساءل فى هذا المصاب، فأكشف عن وجهك
الحبيب فأرى فيه إشراقة النور وهناءة الشهادة، فتدمع العين، ويحزن
القلب، وأقوم يا ولدى على غمك وكفنك، وأصلى وحدى من البشر
عليك، وأمشى خلفك أحمل صفى ونصفى محمول، وأفوض أمرى إلى
الله إن الله بصير بالعباد .

أما أنت يا ولدى، فقد نزلت الشهادة التى كنت تسأل الله تعالى فى
سجودك أن ينيلك إياها، فهبتنا لك بها . . فقد روى البخارى عن أنس
رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى
الدنيا وأن له ما على الأرض من شىء إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع إلى
الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة » .

اللهم أكرم نزه وأعل مرتبة، واجعل الجنة مثواه ومستقره، اللهم لا
تحرمننا أجره ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله، وبلغه أمله من القرب من
رسولك ﷺ ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾

وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿ [النساء: ٦٩] .

وأما أنتم يا من عرفتم ولدي واتبعتم طريقه، إن خير ما تحيون به ذكره
أن تنسجوا على منواله وترسوا خطاه، فتتمسكوا بأداب الإسلام
وتعتصموا بحبل الأخوة، وتخلصوا العمل والنية لله .

وأوصيكم أن تكونوا صورة صادقة لسيرة ولدي رحمه الله، لا تبتغون
من الناس جزاء، ولا تخشون غير الله رباً، ولا تضمرون لأحد شراً أو أذى:
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣)
وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ امْنَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ
عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ
عَظِيمٍ ﴿ [فصلت: ٣٣-٣٥] .

* * *

(٢) المرشد الملهم

بقلم الأستاذ / حسن الهضيبي

« عرفتة أول ما عرفتة من غيب يده . كنت أدخل المدن والقرى فأجد إعلانات عن « الإخوان المسلمين » . دعوة الحق والقوة والحرية . فخلت أنها إحدى الجمعيات التي تعنى بتعظيم القرآن والإحسان إلى الفقراء ودفن الموتى والحث على العبادات من صوم وصلاة . . . وأن هذه قصاراها من معرفة الحق والقوة والحرية . . فلم أحفل بها .

فكثير هم الذين يقرأون القرآن دون أن يفقهوه ودون أن يعملوا به وأكثر منهم الذين يصلون ويصومون ويحجون دون أن يكون لذلك أثر في نفوسهم ، والإحسان إلى الفقراء كثيراً ما يوضع في غير موضعه . . ولم أحاول كما هي العادة أن أعرف شيئاً عن الإخوان المسلمين .

ثم التقيت يوماً بفتية من الرفيق أقبلوا عليّ - على غير عادة الأحداث مع من هم أكبر منهم سناً ومركزاً - يحدثونني . فوجدت عجباً؛ فتية من الرفيق : لا يكاد الواحد يتجاوز في معارفه القراءة والكتابة يحسنون جلوسهم مع من هم أكبر منهم في أدب لا تكلف فيه . . ولا يحسون بأن أحداً أعلى من أحد ويتكلمون في المسألة المصرية كأحسن ما يتكلم فيه شاب متعلم مثقف ، ويتكلمون في المسائل الدينية كلام الفاهم المتحرر من رق التقليد . ويبسطون الكلام في ذلك إلى مسائل مما يحسبه الناس من صرف المسائل الدنيوية ، ويعرفون من تاريخ الرسول - وتاريخه هو تاريخ الرسالة - ما لا يعرفه طلاب الامعات . . فعجبت لشأنهم وسألتهم أين

تعلمتم كل ذلك؟ فأخبروني أنهم من الإخوان المسلمين.. وأن دعوتهم تشمل كل شيء.. وتعنى بالتربية والأخلاق والسياسة والفقير والغنى والاقتصاد وإصلاح الأسرة وغير ذلك، من الشئون صغيرها وجليلها.

من ذلك الوقت تتبععت حركة الإخوان المسلمين وصرت أقرأ مطبوعاتهم وأتصل بهم دون أن أعرف الداعى إلى ذلك.

ولكنى عرفت من غرس يده.. قبل أن أعرف شخصيته.

كان يوم خرجت أنا وبعض زملائى لمشية العصر على حافة النيل فوجدنا جمعاً من الجواله سألناهم عن شأنهم فعلمنا أن حسن البنا سيلقى خطبة فى حفل الليلة فوافينا الحفل، ودخلنا السرادق الكبير، فلم نجد موضعاً لإصبع لا لقدم، وبرغم ذلك فقد شققنا طريقنا.. وعرفنا بعض المحامين الأقباط الذين حضروا الاجتماع فقدموا لبعضنا مقاعدهم ولكنى أصرت على أن أجلس على الأرض لأستمع إلى حسن البنا.

لقد تعلقت أبصارنا به ولم نجد لأنفسنا فكاً من ذلك. وخلت والله أن هالة من نور أو مغناطيساً بوجهه الكريم فتزيد الانجذاب إليه. خطب ساعة وأربعين دقيقة وكان شعورنا فيها شعور الخوف من أن يفرغ من كلامه وتنقضى هذه المتعة التى متعنا بها ذلك الوقت.. مائة دقيقة انقضت عليه وهو يجمع قلوب المسلمين فى قبضة يده فيهبها كما يشاء وكما يريد، وانتهت خطبته ورد إلى المستمعين قلوبهم.. إلا أنا فقد ظل قلبى فى يده.

كان كلامه يخرج من القلب إلى القلب شأن المتكلم إذا أخلص النية

لله.. وما أذكر أنى سمعت خطباً قبله إلا تمنيت على الله أن ينتهى خطابه
فى أقرب وقت.. كان كالجداول الرقاق الهادىء ينساب فيه الماء.. لا علو
ولا انخفاض، يخاطب الشعو فيلهبه والقلب فيملؤه إيماناً.. والعقل
فيسكب فيه من المعلومات ألواناً .

انقضى وقت طويل دون أن ألتقى به.. ولما أذن الله بذلك التقينا فإذا
تواضع جم، وأدب لا تكلف فيه، وعلم غزير، وذكاء فريد، وعقل واسع
ملم بالشئون جليلها وحقيرها وآمال عراض.. كل ذلك يحفه روح دينى
عاقل لا تعصب فيه ولا استهته ر.. وكذلك جعلناكم أمة وسطاً؛ إنه كان
ملهماً وأقسم أنى التقيت به وداشرته فما سمعت منه كلمة فيها مغمز فى
عرض أحد أو دين أحد، حتى من أولئك الذين تناولوه بالإيذاء والتجريح
فى ذمته ودينه وكان فى ذلك هـ تتزماً حد ما أمره الله .

هذا هو حسن البنا الذى قتلوه.. لقد قتلوا أخطر داعية ظهر على
الأرض منذ قرون .

لقد لامنى عند القبر ور على البكا

رفيقى لتذراف الدموع السوافك

وقال: أتبكى كل قبر رلقىته

لقة بر ثوى بين اللوالد كادك

فقلت له: إن الأسى يدعث الأسى

دءونى فهذا كله قبر مالك

والآن فإن الغرس الذي عرفت فيه حسن البناء قد نما وترعرع وصارت
دعوته إلى كتاب الله مستقرة في القلوب، وصار تلاميذه يعلمون الناس ما
علم ويلهمونهم ما ألهم وزاد عدوهم على البأساء والضراء حتى أصبحوا
أقوى جلدًا مما كانوا، وأعرف بشؤون الحياة وأصبر على المظالم وأعلم بأن
أعداء دعوتهم أكثر من أنصارهم فأعدوا أنفسهم لكفاح طويل في
سبيلها.

ولقد صار «الإخوان المسلمون» اسمًا لا يعبر عن منظمة في مصر، وإنما
يعتبر عنواناً لنهضة الإسلام وبعثه وحيويته في جميع البلاد الإسلامية من
المحيط إلى المحيط.. فاسم الإخوان في أندونيسيا والباكستان وكل البلاد
العربية، وصارت دعوتهم رعباً للمستعمرين وأنصار المستعمرين والمنافقين
والظالمين، لأن الباطل يفرح من الحق، أينما كان وحيثما وجد.»

وما كان يدور بخلد الأستاذ الهضبي أنه سيخلف الإمام في مهمته
الصعبة، ولكنها يد الله تعمل وهو جل شأنه يختار لدعوته ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ
حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...﴾ [الأنعام: ١٢٤].

* * *

(٣) إمام.. وداعية.. وشهيد

(للأستاذ / السيد عمر بهاء الدين الأميري)

(أ) إمام... (*)

سمعت عنه كثيراً.. ورأيت له.. في مرايا قلوب محبيه.. صوراً لامعة
رائعة.. فتراءى لعقلي.. عملاق هدى.. ورأى.. وحكمة.
وتخيلته أمام عينيَّ عملاقاً في جسمه أيضاً... جباراً في قسامته
وسماته وأما محبوه... فقد حاولوا تصويره لى.. كأنه ملك كريم:

أنت لو أبصرت، في

غُرُورِهِمْ، بَسْمَتَهُ

أولمستَ عقله

وهزَّ يهدي حكمتَهُ

أوسميتَ جبرُسَهُ

وهذو يدعو دعوتَهُ

أورأيتَ خلستَهُ

في صلاةٍ وقفتَهُ

مشفقاً مستبشراً

له يُغالب عَبرته

أوتأملت، على

أهلِ خُطبٍ، عطفَتَهُ

(*) عن مجلة «المسلمون» العدد الثاني - السنة الثالثة - ديسمبر ١٩٥٣.

من كرم عـ باثـر
 جـدٌ يـحـو عـ ثـرتـه
 ومـ صـاب باذـى
 راح يـأسـو كـربـتـه
 لـعـشـيـقت رـحـبـه
 صـباغ مـنـها رـحـمـتـه
 ثم لو شـيـمـت، إذا
 جـدٌ جـدٌ، عـزـمـتـه
 وإذا الداعـى دـعا
 لـجـه هـاد، هـمـتـه
 وعلى البـاغـى عـلى
 أى حـق، غـضـبـتـه
 قلت هذا قـسـمـور
 ها جـيـزجـى ضـرـبـتـه
 وهو فى الواقـع شـهـم
 ثار احمـى أمـتـه
 صـيـحـة الأجداد انى الأحـف
 اد مـساكت صـيـحـتـه

وَأَنبِئُ الْمُجْرِمِينَ فِي أَيِّ مَقَامٍ
— سَادَ أَوْرَى ثَوْرَتَهُ
إِنَّهُ صَوْرَةٌ شَعْبٍ
هَبْ يَغْذُو وَثَبَّتَهُ
إِنَّهُ جِيَاءٌ مِنَ الْإِسَاءِ
لَا يَبْنِي نَهْضَتَهُ
أَنْتَ لَوْ أَبْصَرْتَهُ
لَقَدْ دَرَّتْ قُدْرَتَهُ
بَشَرٌ مِنْ مَلِكٍ
قَدْ تَلَقَى فِطْرَتَهُ

سَعَيْتُ إِلَيْهِ .. أَطْوَى الْبَحَارِ وَ قَفَارِ .. مَشُوقًا إِلَى تَعْرِفِ حَقِيقَتِهِ .

وَلَمَّا رَأَيْتَهُ بَيْنَ صَحْبِهِ .. أَوَّلَ مَا رَأَيْتَهُ .. مَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ هُوَ !

ثُمَّ قُدِّمْتُ إِلَيْهِ ، فَتَلَقَانِي فِي بَدَايَةِ .. لَا تَكْلَفُ فِيهَا

وَرَحِبَ بِي .. مُنْسَاقًا مَعَ فِطْرَةِ رَحْبَةٍ .

* * *

لَمْ أَجِدْ لَهُ فِي مَشَاهِدَتِي ... دَوْرَتَهُ فِي مَخِيلَتِي

كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْقَصْرِ .. مِنْهُ إِلَى الطُّولِ

وأدنى إلى الوداعة... منه إلى الجبروت
في صراحته إباء... وفي جرأته، إغضاء
لا يكاد يطالع الناظر إليه... من الحزم الذي سمعه عنه
إلا تقطبية بين الحاجبين.. تصغر منها عين... وتكبر عين...
كلما تحدث في أمر هام.

وهو بعد ذلك... تتلقاه المشهدة الأولى.. في مستوى الرجل العادى
هنداماً وقسمات... ومظاهر حياء.

زرتة في بيته.. فوجدته زاهداً بسيطاً.
وأكلته في مائدته.. فوجدته ائقيراً كريماً.
وصحبته في أسفار.. فلم أر أكثر منه أنساً وإيناساً.. في مواطن
الراحة.. ولا أكثر منه فناءً في العسل.. وقت العمل.
ولزمتُ حياته أياماً.. فوجدتها دأباً مستمراً.. وجهداً مرهقاً؛
كلما اشتدت عليه.. زادت بهناشةً روحه.
فبدا أشد انهماكاً في السعى.. وأكثر إمعاناً في التسليم.. وأقوى تألقاً
بالاستبشار.

ما رأيته مرة.. إلا زدت إكباراً له.. وتعلقاً به.

(ب) داعيه .. (١٥)

شاهدته يتكلم بين أفراد ... فلم أجد صوته .. يتناول على الأصوات
ولاح لي أميل إلى الإصغاء ... ه ه إلى إبداء الآراء .
فإذا دخل الحديث طور المراء .. صمت في إعراض ...
أو أقبل في ابتسام .. هو بين لإشفاق والشفقة ...
حتى إذا انتهى الأمر .. إلى زياته .. كانت كلمته هي الفاصلة !

وأصغيت إليه .. وهو يخاطب ملأه ...
فخيل إلى .. أنه يحاول أن يُسكت لسانه ... ويُنطق قلبه ..
بل وكل جوارحه .

(*) عن مجلة « المسلمون » العدد الثالث - السنة الثالثة - يناير ١٩٥٤ .

وإذ ذاك .. كان يمعن النظر .. فى من أمامه .. وكأنه يُحدِّق فى أفق
بعيد ؛ فينبعث من عيونه ... شبه نور وهّاج ،
يتصل شعاعاً شعاعاً ... بقلب فقلب ...
وإذا بالملأ .. تحت تأثيره المطلق .. قد أسلموا إليه ..
عقولهم .. يهديها .. وقلوبهم .. يخفق فيها ...
وسواعدهم وكواهلهم .. يحملها ما يرى من أعباء ... أعباء رسالته
ورسالتهم .

وسمعه يخاطب الجماهير .. أوجدته الطّبّ الخبير
يبدأ ، ويبدو معهم .. - فى أكثر الأحيان - ... واحداً منهم
مُحدثاً ... أكثر منه خطيباً .
يُكثر من سوق التشابيه والأمثال .. يبسط بها فكرته .. فتلقفها
الأذهان بيسر ...

وقد يعالج فى ثنايا بيانه .. شؤوناً من صميم حياة المستمعين .
حتى ليظن أحدهم .. أنه كونهف بخويصة مشكلته ... وأخذ يصف
له الدواء .. فإذا آنس .. أن القوم تد ركنوا إليه ...
اشتد عليهم فى موعظته .. وبأدرهم بإهابات خطابية .. وجلجل
بصيحات الحق .. تتخلل حديثه اندفاق .. المرصع بآى الله .
فيستأثر بإعجابهم .. وتعظم عيبته ، ومحبتة وقوته ؛
فيضعون أنفسهم منه .. دون اختيار .. موضع الرعية من الراعى .

وهكذا .. يبلغ منهم لدعوة . ما يريد
وينتهى غير مملول ... محبواً ... مرهوباً .

كيف يسرى الذنم السَّاء
ثغ ، فى الآذان نشْـوَه
هكذا من قلبٍ — هـ المؤ
من يُزجى الهَدَى ... دعوَه
زاخرُ الأعماق بالإيد —
— ان فى دعوته
مُنكرُ الذات حكيم ال —
— يُر فى وجْهَه
طَبُّ أرواح ، فـا 'تخـ
— سى عليه خافيه
باسطُ الصدر ، بعيدُ ال —
— ور ، شهم داعيه

ما كان يغادر دقيقةً من وقته . إلا ويجندها لله ؛
فإذا مشى فى الشارع .. ذكر فى نجواه ،
وإذا كان فى حافلة أو سيارة عامة ... آنس من معه .. ووعظهم
بلطف ،

وإذا خلا إلى قلمه .. أقبل عليه بكليته .. وأملى عليه كالبرق
الخاطف ...

مخزونات ... عقله .. وقلبه .. وحكمته .

وإذا جلس إلى زائر أو صديق ... أصغى إليه بجوارحه .. واستدرجه
برفق .. ليستخلص من كلامه .. ما يستجره به إلى نصره فكرته ...
ووثق بذلك .. دون أن يشعر .

أما إذا فرغ إلى عمله الأصيل .. فى تكوين جيل ...

فكل جارحة من جوارحه .. تعمل فى نطاقها .. بفناء بالغ فى الله ...
فإذا أضناه السهر ... رغم المنهات ،

وأعياه العمل والدأب ... رغم المسكنات ؛

انصرف بُعيد صلاة الفجر .. ينام ساعات ،

لا ليسترىح .. بل ليتقوى علمه استئناف جهاده ... فى سبيل الله .

(ج) ... شهيد (*)

ملاً المنابر هدىً .. والميادين كفاحاً

وآذان الظالمين .. جلبةً .. يهدر فيها صوت الحق

وعمر بيوت الله إيماناً .. وقلوب الناس نوراً

وأصبح الأب المحبوب .. والجاه، المخطوب

حتى إذا أكرمه الله بحبه ... ابتلاه

(*) عن مجلة «المسلمون» العدد الثالث - السنة الثالثة - يناير ١٩٥٤ .

ابتلاه ... فى أعز ما يُبتلى به مثله :
دعوته التى أنشأها ... وفنى بيها
وأبناؤه .. الذين عشقهم ورباهم .. وآثر هدايم على كل حظوظ
نفسه .

كانت الدنيا تزغرد له ... وهـ عنها عزوف
وإذا بها فى طرفة عين .. تقاب له ظهر الجن .. وتسدد إلى حبة قلبه
.. أنفذ سهم .

رياحين الأرض والسماء .. من شباب دعوته ..
فى وغى الظلم .. ينكل بهم اخس تنكيل
ودور الهدى .. والخير .. الجهاد .. تهدم على رؤوس الهدى ..
والخير .. والجهاد .
والذين كانوا يحومون حوله .. يتلمسون منه البركات
وقد تزيوا بزى رجال الدين .. وأقحموا أنفسهم على الإسلام ..
يتاجرون به .

أخذ يظهر منهم .. وجههم الثانى .. بل وجههم الأول الصحيح
فيحاربون الرجل وجماعته .. فى بيوت الله التى عمروها
ويلغون فى دمائهم .. شرهاً رجشعاً ...

ويأكلون لحومهم نيئة .. بنهم وضراوة .

كـبـلـوا من حـولـه أبنـاءه
ورمـوه بين أشـداق الأفـاعى
جرده خـلسـةً فى خـسـةٍ
وتند دواً ، وهـو فـردٌ ، للـنزاع
وذئـاب البـغى حـامت ، ونضى
كلُّ نذلٍ حـوله سـيف القـراع
والجـمـاهـير الـنى من ذـاته
بذل الرّفـد لها دون انقطاع
حـوقـلت فى خـورٍ وانـطـلقت
لاتبـالى بـجـهاد وصرع
والألى كـانوا يقـولون له
ملقاً : قد جـئت بالامر المطاع
خـذـلوه وبدت أوجـهـهم
فى الـلاسـوداء من غـير قناع
وشـرى البـاغـون ، نـهم ألسـنـا
بذـلـها ما دعى للمـال داع

فى بىوت الله سببوا فنداً
خرداع للهدى فىها وراع

كلما اشتد عليه الكرب .. استد صبره
وكلما ضيق عليه الخناق .. استحت له مع الله آفاق
حتى إذا بلغ من القرب منزلة .. لا تنبغى لها حياة الأرض
انطلق فى معارج الأجل ...
وقد دبر الله له .. من كيد الئائدين .. شرفاً رفيعاً
ومن إجرام المجرمين .. مجدداً وخلوداً
... وأشرق الله عليه بالشهادة ...
والجناة لا يعلمون .. من أمر له شيئاً .
لقد تركوا دمه الطاهر ينزف .. يريدون أن يُجهزوا عليه ...
وما دروا .. أن كل قطرة من دمه
كانت تضع عن كاهله عبئاً ...
وترتفع به شوطاً .. فى رحلت إلى النور الصراح
وهكذا ... أخذ يتصاعد ...
روحا سامياً ... سامياً إلى الله .

لقد حرم .. تشييع البشر لجهنمه .. فى الأرض
ولكنه نعم .. باستقبال الملائكة لروحه .. فى السماء .

(٤) من أعظم الشخصيات الإسلامية المعاصرة

للشيخ / حسنين مخاوف - مفتى مصر الأسبق (*)

الشيخ حسن البنا أنزله الله منازل الأبرار . . من أعظم الشخصيات الإسلامية في هذا العصر ، بل هو الزعيم الإسلامي الذي جاهد في الله حق الجهاد ، واتخذ لدعوة الحق منهاجاً صالحاً وسبيلاً واضحاً استمده من القرآن والسنة النبوية ومن روح التشريع الإسلامي ، وقام بتنفيذه بحكمة وسداد ، وصبر وعزم ، حتى انتشرت الدعوة الإسلامية في آفاق مصر وغيرها من بلاد الإسلام واستظل برايتها خلق كثير .

عرفته رحمه الله منذ سنين ، وتوثقت الصداقة بيننا في اجتماعات هيئة وادى النيل العليا لإنقاذ فلسة لين الجريحة ، وتحدثنا كثيراً في حاضر المسلمين ومستقبل الإسلام ، فكان قوى الأمل في مجد الإسلام وعزة المسلمين إذا اعتصموا بحبل القرآن المتين ، واتبعوا هدى النبوة الحكيم وعالجوا مشاكلهم الاجتماعية والسياسية وغيرها بما شرعه الله في دينه القويم .

ففي الإسلام من المبادئ السامية والتعاليم الحكيمة ما فيه شفاء من كل مرض وعلاج لكل داء وحل لكل مشكلة ، وفيه من الأحكام ما لو نفذ الحدود والعقوبات ما لو أقيم لسعد الناس في كل زمان ومكان بالاستقرار والاطمئنان وعاد المسلون إلى سيرتهم الأولى يوم كانوا أعزاء أقوياء .

تلك لحظة من حديثه وهي عقيده كل مسلم وأمل كل غيور على

(*) من كتاب « الإمام الشهيد حسن البنا » مطابع معتوق إخوان - لبنان د . م .

الإسلام .. غير أن العلماء حبسوا هذا العلم الزاخر في الصدور ولم يرددوه إلا في حلقات الدروس وفي زوايا الدور .

أما الشيخ البنا رحمه الله فقد أخذ على نفسه عهداً أن يرشد العامة إلى الحق ، وينشر بين الناس هذه الدعوة وينظم طرائقها ويعبّد سبلها ويربّي الناشئة تربية إسلامية تنزع من نفوسهم خواطر السوء وأخطار الهواجس ، وتعرفهم بربهم ومدنيهم من دينهم الذي ارتضاه الله لهم فكان له ما أراد ، وتحمل في ذلك من المشاق والمتاعب ما لا قبل لاحتتماله إلا للرجل الصبور والمؤمن الغيور الذي يبتغى رضاه ربه بما يعمل ويشعر بدافع نفسي قوى إلى إنقاذ أمته من شر وبيل وذل مقيم .

من الطبيعي وهذه دعوته أن يمس السياسة عن قرب وأن يأخذ في علاج مختلف الشؤون على ضوء التعاليم القرآنية ، وهنا يقول الأستاذ بحق ما نقوله نحن ويقولوه كل من درس الإسلام وأحاط خبراً بالقرآن أن الإسلام دين ودنيا وسياسة وولة . والمسلم الحق هو الذي يعمل للدين والدنيا معاً .. فقد جاء القرآن بالعقائد الحقة ، وبالأحكام الراشدة في العبادات والمعاملات ونظم الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وجاء بالأوامر والنهي ، ومايصونها من العقوبات والزواجر والزوم المسلمين كافة بالعمل بها وإقامة الدولة على أساسها ، فإذا دعا الشيخ حسن البنا إلى ذلك فقد دعا إلى ما دعا إليه الله ورسوله ودعا إليه الصحابة والتابعون وسائر الأئمة والفقهاء وزعماء الإسلام في كل زمان ... يعيب عليه بعض الناس أنه توغل في السياسة ، وقد نوهت بالرد على

ذلك في عدة أحاديث أذعتها في مناسبات شتى ، فالسياسة الراشدة من صميم الدين ، والصدارة فيها من حق العلماء ، بل من واجبهم الذي لا يدفعهم عنه أحد ، وما أصيب العلماء بالوهن والضعف وما استعلى عليهم الأدنون وتطاول عليهم الأرزلون إلا من يوم أن استكانوا لأولئك الذين يحاولون احتكار السياسة ويستأثرون بالسلطان في الشعوب والأمم الإسلامية قضاء لمآربهم واغتصاباً المحقوق .

وإذا صح فصل الدين عن السياسة أو بعبارة أخرى الحجر على رجال الدين في الاشتغال بسياسة الدولة – بالنسبة لسائر الأديان – فلا يصح بالنسبة للدين الإسلامي الحنيف الذي امتاز على غيره بالتشريع الكفيل بسعادة الدين والدنيا معاً .

وقد كان الأئمة في مختلف عهود الإسلام أعلام دين وسياسة ، فما بال الناس اليوم ينكرون على علماء الإسلام أن يعنوا بشؤون الشعوب الإسلامية ويغضبوا لكرامتها ويجاهدوا لإعزازها ورفع نير الاستعباد عن أعناقها ، وتبصير الناس بما يموء به الاستعماريون من حيل ويدبرون من فتن ويدسون من سموم .

وما الذي خولهم حق احتكار السياسة والحكم ؟

إن من حق العلماء وأعني بهم القائمين بالدعوة إلى الله لا خصوص حملة الشهادات العلمية الرسمية أن يمثلوا في كل شؤون الدولة وخاصة في السلطة التشريعية حتى لا ينزع في الدولة الإسلامية ما ينافي أحكام الإسلام ، وأن يكون للتشريع الإسلامي الذي لهم به اختصاص واضح الأثر

الأول فى التشريع والتنفيذ .

إن الدعوة فى جوهرها دعوة و ضحة المعالم والقلوب الموفقة قد انعطفت إليها والشعب قد آمن بها ، و من إنكار الحقائق أن يزعم زاعم انصراف السواد الأعظم من الأمة عنها .

وكلما أمعنت السياسة فى تمهينها ازدادت قوة و ذيووعاً وأيقن الناس بما فيها من خير وصلاح ومن الإخلاء لولاية الأمور الصدق فى القول والأمانة فى الأداء .. فليعلموا أن الدعوة عقيدة استقرت فى النفوس وأن مقاومة السياسة لها ولدعاتها لا يزيد إلا ثباتاً ورسوخاً .. وإن من الراسخ فى العقائد أن اليهود ومن ورائهم دولة الغاصبة والدول الاستعمارية هم الذين يكدون لها و يبذلون كل ما فى استطاعتهم لا ستئصالها .. ولكن هيهات ما يريدون .

وبعد ، فإننا نسأل الله تبارك وتعالى للمسلمين خيراً عميماً ورشداً مبيناً وتوفيقاً سديداً لكل من يدعو إلى خير ورشاد .. ورحمة واسعة للأستاذ العظيم .

(٥) حسن البناء وعبقريّة البناء

للشهيد سيد قطب (*)

فى بعض الأحيان تبدو المصادفة العابرة كأنها قدر محتوم ، وحكمة مدبرة فى كتاب مسطور .. حسن « البناء » إنها مجرد مصادفة أن يكون هذا لقبه .. ولكن من يقول : إنها مصادفة ، والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هى البناء ، وإحسان البناء ، بل عبقرية البناء ؟ ...

لقد عرفت العقيدة الإسلامية كثيراً من الدعاة .. ولكن الداعية غير البناء .. وما كل داعية يملك أن يكون بناء ، وما كل بناء يوهب هذه العبقرية الضخمة فى البناء .

هذا البناء الضخم .. الإخوان المسلمون .. إنه مظهر هذه العبقرية الضخمة فى بناء الجماعات .. إنهم ليسوا مجرد مجموعة من الناس ، استجاش الداعية مشاعرهم ووجداناتهم ، فالتفوا حول عقيدة .. إن عبقرية البناء تبدو فى كل خطوة من خطوات التنظيم .. من الأسرة إلى الشعبة ، إلى المنطقة ، إلى المركز الإدارى ، إلى الهيئة التأسيسية ، إلى مكتب الإرشاد .

هذه من ناحية الشكل الخارجى ، - وهو أقل مظاهر هذه العبقرية - ولكن البناء الداخلى لهذه الجماعة أدق وأحكم ، وأكثر دلالة على عبقرية التنظيم والبناء الروحى .. هذا النظام الذى يربط أفراد الأسرة وأفراد الكتيبة وأفراد الشعبة .. هذه الدراسات المشتركة ، والصلوات المشتركة ،

(*) من كتاب « الإمام الشهيد حسن البناء » مطابع معتوق إخوان - لبنان د.م.

والتوجيهات المشتركة ، والرحلات المشتركة ، والمعسكرات المشتركة ..
وفي النهاية هذه الاستجابات المشتركة والمشاعر المشتركة ، التي تجعل نظام
الجماعة عقيدة تعمل في داخل النفس ، قبل أن تكون تعليمات وأوامر
ونظماً .

والعبقرية في استخدام طاقة الأفراد ، طاقة المجموعات ، في نشاط لا
يدع في نفوسهم ولا يدعهم يتلون هنا أو هناك ، يبحثون عما يملأون به
الفراغ .. إن مجرد استثارة الوجدان الديني لا يكفي .. وإذا قصر الداعية
همه على هذه الاستثارة فإنه سينتهي بالشباب خاصة إلى نوع من الهوس
الديني ، الذي لا يبني شيئاً . وإن مجرد الدراسة العلمية للعقيدة لا
تكفي . وإذا قصر الداعية هذه على هذه الدراسة ، فإنه سينتهي إلى
تجفيف الينابيع الروحية التي تكسب هذه الدراسة نداوتها وحرارتها
وخصوبتها . وإن مجرد استثارة لوجدان والدراسة معاً لا يستغرقان الطاقة،
فستبقى هنالك طاقة عضلية ، وطاقة عملية ، وطاقة فطرية أخرى في
الكسب والمتاع والشهرة والعمل والقتال ..

وقد استطاع حسن البناء أن يفكر في هذا كله .. أو أن يلهم هذا كله
.. فيجعل نشاط الأخ المسلم متداً - وهو يعمل في نطاق الجماعة - إلى
هذه المجالات كلها ، بحكم قيام الجماعة ذاته ، وأن يستنفد الطاقات
الفطرية كلها ، في أثناء العمل للجماعة ، وفي مجال بناء الجماعة ..
استطاع ذلك في نظام الكتائب ، ونظام المعسكرات ، ونظام الشركات
الإخوانية ، ونظام الدعاة ، ونظام الفدائيين ، الذين شهدت معارك
فلسطين، ومعارك القنال نماذج من آثاره ، تشهد بالعبقرية لذلك النظام .

وعبقرية البناء فى تجميع الأناط من النفوس ، ومن العقليات ومن الأعمار ، ومن البيئات .. تجميعها كلها فى بناء واحد . كما تتجمع النغمات المختلفة فى اللحن العبقري .. وطبعها كلها بطابع واحد يُعرفون به جميعاً ، ودفعها كلها فى اتجاه واحد .. على تباين المشاعر والإدراكات والأعمار والأوساط ، فى ربع قرن من الزمان .

ترى أكانت مصادفة عابرة أن يكون هذا لقبه ؟ أم إنها الإرادة العليا التى تنسق فى كتابها المسطور بين أصغر المصادفات وأكبر المقدورات فى توافق واتساق .

ويمضى حسن البناء إلى جوار ربه ، يمضى وقد استكمل البناء أسسه ، يمضى فىكون استشهاده على النحو الذى أريد له ، عملية جديدة من عمليات البناء .. عملية تعميق الأساس ، وتقوية للجدران ، وما كانت ألف خطبة وخطبة ، ولا ألف رسالة للفقيد الشهيد لتلهب الدعوة فى نفوس الإخوان كما ألهمت قطرات الدم الزكى المهراق .

إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع ، حتى إذا متنا فى سبيلها دبت فيها الروح وكتبت لها الحياة .

وحينما سلط الطغاة الأقزام الحديد والنار على الإخوان ، كان الوقت قد فات ، كان البناء الذى أسسه حسن البناء قد استطال على الهدم ، وتعمق عن الاجتثاث . كان قد استحال فكرة لا يهدمها الحديد والنار ، فالحديد والنار لم يهدما فكرة فى يوم من الأيام . واستعلت عبقرية البناء على الطغاة الأقزام ، فذهب الطغيان ، وقى الإخوان .

ومرة بعد مرة ، نزت فى نفوس بعض الرجال - من الإخوان - نزوات .. فى كل مرة سقط أصحاب هذه النزوات كما تسقط الورقة الجافة من الشجرة الضخمة ، أو انزوت تلك النزوة ، ولم تستطع أن تحدث حدثاً فى الصفوف .

ومرة بعد مرة، استمسك أعداء الإخوان بفرع من تلك الشجرة، يحسبونه عميقاً فى كيانه، فإنا جذبوه إليهم جذبوا الشجرة، أو اقتلعوا الشجرة .. حتى إذا آن أوان الشد خرج ذلك الفرع فى أيديهم جافاً يابساً كالخطبة الناشفة، لا ماء فيه و' ورق ولا ثمار! .. إنها عبقرية البناء، تمتد بعد ذهاب البناء...

واليوم يواجه بناء الإخوان خليطاً مما واجهه فى الماضى .. ولكنه اليوم أعمق أساساً، وأكثر استتالة أشد قواماً .. اليوم هو عقيدة فى النفس، وماض فى التاريخ، وأمل فى المستقبل، ومذهب فى الحياة .. ووراء ذلك كله إرادة الله التى لا تغلب، وم الشهيد الذى لا ينسى .

فمن كان يريد بهذا البناء . وءاً، فليذكر أن طغيان فاروق - ومن خلفه إنجلترا وأمريكاً - لم يهدم منذ حجراً، ولم يترك فيه ثغرة . إن المستقبل لهذه العقيدة التى يقوم عليها بناء الإخوان، وللنظام الاجتماعى الذى ينبثق من هذه العقيدة .. وفى كل أرض إسلامية اليوم نداء بالعودة إلى الراية الواحدة، التى مزقها الاس نعمار ذات يوم، ليسهل عليه ازدراد الوطن الإسلامى قطعة قطعة، وقد آن الأوان أن تتضام هذه المزق، وتنتفض جسماً حياً كاملاً، يمزق الاستعمار .

إن طبائع الأشياء تقتضى انتصار هذه الفكرة، فلقد انتهت موجة التفكك والتمزق.. ولم تمت الفكرة الإسلامية فى تلك الفترة المظلمة، فتهيأت إذن أن تموت اليوم فى موجة اليقظة والانتفاض والإحياء..

ولقد اختلطت الفكرة الإسلامية ببناء الإخوان المسلمين، فلم يعد ممكناً أن يفصل بينهما التاريخ، ومن ثم لم يعد ممكناً أن يفصل بينهما أحد فى اليوم أو الغد.. ولقد كان الاستعمار فى الماضى يستخدم أجهزة للتخدير يلبسها ثوب الدين: استخدم رجال الطرق، واستخدم رجال الأزهر، كما استخدمهم طغيان السراى.. أما اليوم فلم يعد ذلك ممكناً.. إن الفكرة الإسلامية اليوم، يمثلها بناء الإخوان تمثيلاً قوياً فلا سبيل إلى التمويه بأى جهاز.. والأزهر ذاته - قد خضع للطغيان طويلاً، وخضع للاستعمار - ها هو ذا آخذ فى الانتفاض والتحرر، وهؤلاء طلابه وأساتذته، ينضمون جماعات وأفراداً إلى صفوف الإخوان، المحضن الأول للفكرة الإسلامية كما ينبغى أن تكون.

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١].

(٦) غصن! اسق في شجرة الخلود..

للشيخ محمد الغزالي (*)

في وحشة الليل، وسورة غدر، ويقظة الجريمة، كان الباطل بما طبع عليه من غرور، وما جبل عليه من قسوة، وما مرد عليه من لؤم. كان مستخفياً ينساب في أحياء النهار الغافلة يجمع سلاحه، ويبث عيونه، ويسوق أذنايه من الكبار والصغار، ويعد عدته لكي يغتال حسن البناء.. مرشد الإخوان المسلمين.

وليس قتل الصديقين والصالحين في هذه الدنيا بالأمر الصعب!

إن القدر آذن بأن يعدوا له عماراً قديماً على أنبياء الله، فذبحوا وهم يحملون أعباء الدعوة، أفكثير على من تلقفوا هذه الأعباء أن تسقط على الأرض، أن يردوا هذا المورد؟! بلى! ومن طلب عظيماً خاطر بعظيمته.. ومن هوان الدنيا على الله أن ترك كلاب المترفين فيها تشبع.. مع المترفين! وأن ترك حملة الوحي يهونون. مع الوحي! لا بأس.

سمع رسول الله رجلاً يقول: اللهم آتني أفضل ما آتيته عبادك

الصالحين!!

فقال له: «إذن يعقر جدك ويراق دمك!» حتى الجواد يقتل مع صاحبه.. أصابه من الشهادة سها القانى! ولو كان مربوطاً بعربة بضاعة لعاش دهرًا.

وكذلك أبى ربك أن يستريح المختارين من عباده- بعدما أدوا رسالتهم

(*) من كتاب «الإمام الشهيد حسر البناء» مطابع معتوق إخوان - لبنان د.م.

فى الحياة- أبى أن يتركوا هذه الحياة سالمين من طعناتها الفاجرة .
وجراحاتها الغادرة .

فمزق علع من المجوس أحشاء عمر . وعدا مأفون غر على حياة على .
وقتل يزيد الماجن الحسين سبط الرسول . وتآمرت دولة الأوغاد على قتل
حسن البنا . . ولا تزال سلسلة الشهداء تطول حلقة حلقة ما بقى فى
الدينا صراع بين الضياء والظلام .

عفاء على دار رحلت لـيرها

فليس بها للصالحين معرج

كدأب على فى المواطن قبله

أبى حسن والغصن من حيث يخرج

لقد قتل حسن البنا يوم قتل والعالم كله أشفه شىء فى ناظريه! . . ماذا
خرقت الرصاصات الأثيمة من بدن هذا الرجل؟

خرقت جسداً أضنته العبادة الخاشعة وبراہ طول القيام والسجود . .
خرقت جسداً غبرته الأسفار المواصله فى سبيل الله، وغضنت جبينه
الرحلات المتلاحقة . . رحلات طالما أصغى الملايين إليه فيها وهو يسوق
الجماهير بصوته الرهيب إلى الله، ويحشد هم أوفاً أوفاً فى ساحة
الإسلام! . .

لقد عاد القرآن غضاً طرياً على لسانه . . وبدت وراثه النبوة ظاهرة فى
شمائله . . ووقف هذا الرجل الفذ سخرة عاتية انحسرت فى سفحها أمواج

المادية الطاغية . وإلى جانبه ، للائع الجيل الجديد الذى أفعم قلبه حباً للإسلام واستمساكاً به .

وعرفت «أوربا» البغى أى خطر على بقائها فى الشرق إذا بقى هذا الرجل الجليل . فأوحت إلى زببيتها .. فإذا بالإخوان فى المعتقلات وإذا بإمامهم شهيد مخرج فى دمه الزكى !

ماذا خرقت الرصاصات من جسد هذا الرجل؟ خرقت العفاف الأبى المستكبر على الشهوات، المستلى على نزوات الشباب الجامحة؟

لقد عاش على هذه الأرض أربعين عاماً لم يبت فى فراشه الوثير منها إلا ليالى معدودة . ولم تره أسدته فيها إلا لحظات محدودة .. والعمر كله بعد ذلك سياحة لإرساء دعائم الربانية وتوطيد أركان الإسلام فى عصر غفل فيه المسلمون . واستبىظ فيه الاستعمار، ومن ورائه التعصب الصليبي، والعدوان الصهيونى، والسيل الأحمر! فكان حسن البنا العملاق الذى ناوش أولئك جميعاً حتى أقض مضاجعهم . وهدد فى هذه الديار أمانهم .

لقد عرفت التجرد للمبدأ فى حياة هذا الرجل .

وعرفت التمسك به إلى الرق فى مماته .

عرفت خسة الغدر يوم قدم رفات الشهيد هدية للمترفين الناعمين .
كما قدم – من قبل – دم على مهراً لامرأة .

عجباً لهذه الدنيا وتباً لبريائها، وارجمتهاه لضحايا الإيمان فى كل عصر ومصر! أكذلك يقتل الرشد المرشد؟؟

ودُّعَا أَيُّهَا الْحَفِيَّانِ ذَلِكَ الشَّخْصُ .. إِنَّ الْوَدَاعَ أَيْسَرَ زَادَ
وَإِغْسِلَاهُ بِالْدمْعِ إِنْ كَانَ طَبِيراً، وَادْفِنَاهُ بَيْنَ الْحَشِيِّ وَالْفِئُودِ
وَخِذَا الْأَكْفَانَ مِنْ وَرْقِ الْمَاءِ حِفْ كَبِيراً عَنْ أَنْفَسِ الْأَبْرَادِ
أَسْفَ غَيْرِ نَافِعٍ وَاجْتِهَادٍ : يُؤَدِّي إِلَى غِنَاءِ اجْتِهَادِا ...

(٧) إهداء...

د. يوسف القرضاوي (من ديوان: المسلمون قادمون)

لك يا إمامي يا أعز معلم
يا حامل المصباح في الزمن العم
يا مرشد الدنيا لنرجح محمد
يا نفحة من جيل دار الأرقم
أهديك نفسي في قصائد صغتها
تهدي وترجم فهي أخت الأنجم
حسبوك مت وأنت حي خالد
هات غير المستبد المجرم
حسبوك غبت وأنا، فينا شاهد
لو بنهجك كل درب معتم
شيدت للإسلام صرحاً لم تكن
لناته غير الشيباب المسلم
وكتبت للدنيا وثيقة صحوة
وبيت إلا أن توقع بالدم
ثم في جوار زعيمك لهادي فما
شيدت يا بناء لم يتهدم
سيظل حبك في اللوب مسطراً
و هناك في الأبواب واسمك في الفم

(٨) الإسلام يصوغ النور في لحم ودم

د. سعيد رمضان (١)

١٣ فبراير ١٩٤٩ :

فاجعة.. ١٣ فبراير ١٩٤٩ صليت الفجر وجلست أكتب على الآلة الكاتبة بعض أشياء للمؤتمر الإسلامي، ثم عدت فوجدت في انتظاري خبر الفاجعة الكبرى أكاد لا أصدقها!!.. يدي لا تستطيع أن تحرك القلم!.. مقتل حسن البنا.. لا أكاد أصدق!.. كذب!.. لا بل حق هو خبر أذيع: أصيب الرجل العظيم بالرصاص مساء أمس ثم نقل إلى المستشفى مضرراً بدمه الطاهر، ثم فاضت روحه أثناء الليل إلى عليين!!.. وتركتنا على الأرض نعاني شرها ومُرّها!!.. قتلت يد آثمة، أساءت إلى الإسلام الإساءة الكبرى.

هيه يا فضيلة المرشد: سلام عليك حيث أنت!.. في قدسك وعلياتك، وجزاك الله خير ما جزى إماماً عن تلامذته وأتباعه.

كان حسن البنا إماماً بكل ما تسع الإمامة من معنى.. كان مثلاً أعلى في كل شيء: في علمه.. في إيمانه.. في إخلاصه.. في نشاطه.. في حدة ذكائه.. في دقة ملاحظته.. في قلبه الكبير وروحه الطاهرة.

كان حسن البنا حجة الله في نفسى على أن الإسلام يصنع الرجال ويحقق المثل العليا، ويصوغ النور المصطفى من لحم ودم.. كان عقلاً هائلاً.. وروحاً موصولاً بالسر الأبدى لا يفتر عن ذكر الله.. كان قمة شامخة، فيها العلو، وفيها الثبات وفيها قوة الجبل.. كان عظيماً موفقاً

(١) عن مجلة «المسلمون» العدد الرابع - السنة الأولى - مارس ١٩٥٢ .

لا يخطيء الوجهة .. كان راعاً ملاً قلوبنا بحب الله، وأشعل صدورنا بحب الإسلام، وصهرنا فى بوة نة طاهرة لا تشوبها شائبة .

قتل حسن البنا فى يوم أسد من أيام التاريخ، وفقدت الإنسانية بفقده «إنساناً» قلما يجود الزمان بمثا .

قتل حسن البنا بعد عشرين عاماً قضاها فى جهاد مرير متصل الأيام والليالى .

لن أنسى جولاته فى الأقاليم لا ينام إلا ساعتين أو ثلاثاً كل يوم، ولن أنسى سهره الليل عاكفاً فى المركز العام، أو فى منزله، أو فى الشهاب على أعمال الدعوة .. ولن أنسى موعه التى طالما هتنت فى غفلة من الناس على الإسلام والمسلمين .

هذا الصوت العميق الرخيم، وهذا الإيمان الحى الغامر، وهذه الروح المشرقة التى عرفتُ بها الله، وابتوتنى أشعتها ونشرتني سبع سنين كانت حلماً عزيزاً .

هذا الرجل العجيب الذى بحث الأمة من أعماقها، وهزها هزة عنيفة أسالت الحياة فى وجدانها، ولم يتركها إلا وقد خلف فيها جيلاً كريماً حياً، يعرف ربه، ويؤدى واجبه .

الجمعة ١٨ مارس سنة ١٤٩٩

لم تمت :

كنت أنظر الآن من شرفة رفقتى بفندق «سرتاج» بكراتشى، فرأيت شاباً ينحنى انحناءة ذكرتني بأخى عزيز من إخوان مصر .

هيه يا إخوة مصر.. يا شبابها الطاهر.. يا نور النبوة وميراث المجد
الغابر، وعزاء القلب الجريح.. ما كان يدور بالبال أن يوماً سيأتى يحال فيه
بيننا بهذا السياج الآثم من زبد الرياح الهوج، بعد أن تنسمنا أنسام الحق
والحرية بين يدي الرجل العظيم.

كان حسن البنا نسمة حلوة جادت بها رحمة الله على الإنسانية
الظائمة.. ثم مرت عابرة بعد أن ذكرتنا بأيام الأناجى الأولى: أيام الأنبياء
والمرسلين وأحباب الله فى أرضه، وحببت إلينا الجنة والخير، والمثل العليا
والسمو، وكل ما بينه وبين الله نسب من القبول والرضا؛ لأن حسن البنا
كان نسبة خالصة ليس فيها لغير الله نصيب.. كان روحاً نعباً منه ولا
يغيب، وبحراً صافياً تذوب فيه نمل أوساخنا ويظل هو طهوراً مرسللاً لا
يضيق ولا يعتكر.

هيه يا فضيلة المرشد.. أحق ما يقولون من أنك مت.. ومت قتيلاً فى
شارع من شوارع القاهرة، ودفنت بمد أن صلى عليك نفر قليل فى مسجد
قيسون، وكان المشيعون بضعة من أهلك وأقاربك؟ لم تمت يا فضيلة
المرشد!! لا والذى خلقك!!.. لا والذى أنعم علينا بك!!.. ومتتبعنا
بصحبتك!.. لقد فتحت قلوبنا على النور، ووضعنا أيدينا على أول
الصراط وجمعنا من شتات.

سنمضى إلى حيث كنت تدعو وتربى وتشرق بالليل والنهار.. لا زالت
دروس الثلاثاء، وكتائب المركز العام، وأحاديثك الخاصة، وخطب
السراديات، وهمسك فى لحظات الصفاء؛ لا زال ذلك كله طى قلوبنا،
وأمانة الله فى أعناقنا.

لقد تركتنا يا فضيلة الأسد اذ بعد أن حملتنا العباء القاسى، وجعلته
شهداً مذاباً فى طوايانا وأعصم بنا!!.. فاهناً - يا حبيب الروح - فى جنة
الخلد، واسعد كفاء ما كافحت الكفاح المر الطويل.

الجمعة ١٠ يونيه سنة ١٤٩٩

نجوى:

(فى حجرتى العالية بمستى فاطمة جناح أرمباغ كراتشى باكستان
حوالى الساعة العاشرة صباحاً) .

سيدى فضيلة الأستاذ المرشد

السلام عليك ورحمة الله وبركاته . . وأسعد الله صباحك أيها الرجل
العظيم . . وهل فى الجنة صباح ومساء؟ . . هكذا أراد الله لك الجنة، وأن
تتركنا هنا حيارى بين ظلمة نور . . كنا معك يا فضيلة الأستاذ طيوراً
أطلقتها بإذن ربك من أقفاصنا؛ فراحت تخفق بأجنحتها فى هواء طلق،
ولكنها كانت لا تلبث أن تعود إليك، وتخفق خفقة الولاء لله بين
يديك . . أما بعد أن تركتها وطرت إلى أقدمس جوار وأصدق منزل، فقد
تناوشتها الرياح، وهى الآن ترحل عن وكر هادىء تجتمع لديه . . ليس
يعلم إلا الله - يا سيدى - ما خبئه الأيام لنا إلا أننا نسائل الله أن يثبتنا
على العهد .

أين روحك - يا سيدى - نزيل الران عن قلوبنا؟ . . أين عيناك نقبس
منهما نوراً من أنوار السماء؟ . أين شرك الرائع الذى كان يجعلنا دائماً
فى ثقة من أننا على الصراط، وفى اطمئنان إلى أن حسن البنا ليس فيه

لغير الله شيء؟ .. كنت - يا سيدي - الرجل الذي أومن به، وأطمئن إليه،
وأجد الراحة كاملة في صدق الفناء فيه .

لا زلنا نذكر كلماتك: «أيها لإخوان .. إني لا أخشى عليكم الدنيا
مجتمعة .. فأنتم بإذن الله أقوى منها .. ولكني أخشى عليكم أمرين
اثنين: أخشى أن تنسوا الله فيكلّمكم إلى أنفسكم، أو أن تنسوا أخوتكم
فيصير بأسكم بينكم شديداً» .

يا فضيلة الأستاذ: لن ننسى الله، ولن ننسى أخوتنا، وما فعل أعداء الله
أكثر من أن ذكرونا بهما ...

سيدي الأستاذ .. تذكر يوم جاءك خبر استشهاد الأخوة الكرام في أول
معركة في فلسطين .. وتذكر أنك قلت ساعتها «اشتقنا إلى الجنة، لا إلى
خيراتها وفواكهها، ولكن إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، والصحب
الكرام، وهؤلاء الشهداء الأعزاء» .. وقد استجاب الله لك .. هل
رأيتهم؟ .. وكيف وجدتهم؟ .. نبيئاً لك ما أنعم الله به عليك، عزة في
الدنيا، وكرامة في الآخرة:

﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ﴾ [آل عمران : ١٤٨] .

آه يا أستاذ، لم تعد مكذباً فأسألك !! .. ولسنا لنعلو إليك
فنسمعك !! .. أصبح علينا أن نواجه الحياة بإيمان وعزم .. وبذرك الذي
بذرتة سيؤتى أكله ومع اليوم غد ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا
بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] . السلام عليك يا حبيب الروح ورحمة
الله وبركاته!

الثلاثاء ١٩ يوليه سنة ١٤٤٩ هـ

آخر لقاء:

(الساعة الآن التاسعة مساءً وقد انتهيت من الإفطار منذ دقائق، وأنا
أغسل يدي في ركن يطل على شارع محاذ لحديقة أرمباغ).

لمحت عربة تشبه عربة فضيلة الأستاذ المرشد التي تعود أن يركبها..
خفق قلبي وغار بين جنبى، وأحسست بلفح الذكرى يهز نفسي هزاً.. لا
زلت أذكر آخر لحظات رأيت فيها فضيلة المرشد الشهيد - أعزه الله -
كأنها منذ ساعات فقط، أو أنها لا تزال باقية، وكل ما أذيع من الأنباء
كذب لا ينال منها، ولا يؤثر فيها.

ها هو فضيلة المرشد الحبيب، جالس بجلبابه الأبيض، وعباءته البيضاء
إلى مكتب فى الحجره القريب من مسجد المركز العام للإخوان.. وجه
مشرق حلو، وسمات ربانية عالية، وصوت رخيم عذب فيه رضاب النبى
الحبيب وجرس السماء الحلو.. و...

انتهى فضيلة الأستاذ لتوّه من محاضرة ألقاها بالمركز العام، ودّع فيها
الإخوان لعزمه السفر إلى الحجا صبيحة الغد.

دعاني إليه، وطلب إلى أن أستعد للسفر إلى شرق الأردن، وزودنى
بخاصة أمره فى ثقة عالية، هـ أظل أعتز بها العمر كله.. ثم قبّلت يده
وقبّلت رأسى.. وما كنت أعلم أن هذا آخر لقاء لنا فى الدنيا!!.. إلى أن
يجمعنا الله مرة أخرى.

اللهم تقبل حسن البنا أحسن قبول .. فقد كان - وأنت أعلم به -
عبداً صادقاً، ومجاهداً أميناً، وإماماً جمع الكثيرين من فرقة، وطهرهم من
دنس، وهداهم بإذنك من ضلال .. اللهم ارفع درجاته عندك، واجعله مع
النبیین والصدیقین، وأسعده بالنظر إلى وجهك الكريم، واجزه عنا خير ما
أنت أهل له، وأكرمه الإكرام كله .. اللهم أسعده .. اللهم أسعده .. اللهم
أسعده .

اللهم وألحقنا به في الصالحين، وثبتنا على العهد الذي عاهدناه،
وعوضنا عنه خيراً، وألق في قلوبنا نوراً ينير لنا الطريق .. اللهم آمين،
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

٩) الجوهرة

للأستاذ الشاعر / محمد فهمي (*)

أذرف الدمع لاه... بل كـ فـكفنه

لا قـل مـات... إنه في الجنة

إنما روحه استـفـاضت سناء

في حنايا القلوب ملء الأكـنه

إنه الآن قد تهـامـس نحوى

في حنان.. في رقـة.. في غـنه

إنني الآن هاأرـ مطلاً

بالسبوح المنير وسط الدجـنه

في ابتسام كأنه لغة السحر

حـلالاً من الخلود... وأنه

قارئاً آية السلام جـهـيراً

فانصتوا... فإنها المرثـه

السلام السلام رهط سحابي

.. عليك السلام يا ابن البـنه

(*) من كتاب «الإمام الشهيد حسن بنا» مطابع معتوق إخوان - لبنان د.م.

يوم منعك أى طعنة غدر
دَهت الشرق فارتقى يتقلب
ذعرت مصر والشآم تلوى
ومشى الهول راعداً فى المغرب
دمعت قبلة الحج از وباتت
قبلة القدس بالسواد تحجب
الأماني فى سماها استحالت
شقاء شع بالدماء تخضب

ماتم الدين اطلعتته سماء
تشرك الأرض بالمدامع تُسكب
رقصت عصابة اليه يد وكانت
نهبا خوف يروعها وترقب
ثلثم الركن بعد عز ييام
إن ظهر العروبة اليوم أحذب

يا شهيد البلاد لسه ، قتيلاً
لا واهم تسلك الفناء سبيلاً

فى السواد العميق من كل قلب
لك : شرش نحوطه تبجيلا
وعلى الجمع فى الصلاة تجلى
منك روح حـدالنا ترتيلا
أنت بالدم الطهور صبـيباً
قـست غاية وعشت طويلا
سيجئ الزمان دهراً فدهراً
ويحور الأنام جيلاً فجيلاً
ويذوق الطغاة مهـل عذاب
حكمة الله لن ترى تبديلا
وهذاك .. من ذرى الخلد بهـبو
موكب السالكين .. ظلا ظليلا

كنت للحق عدة وقد واما
كنه ، للدين هادياً وإماماً
كنت للناس خادماً ورقيقاً
مُذتواصيت ما خفرت ذماماً
تقشع الظلم عن قلوب الحيارى
بين كـفـيك بارق يترامى

قصص الكحل في رحابك رفدا
صديق الظن .. قد رأوك غماما
يعمل الناس للشراء وتأبى
عينة النفس .. أن تذوق حراما
تبسط الكف بالألوف وباتت
صهية البيت يشتهون الطعاما !..

إن جيلاً من الشباب محبته
كان نهب الضلال أنت هديته
كان يضحى على صغار فعال
ثم أمسى على الخنا فرشده
وإلى الدين والهوى سدده
وإلى المجد باذخاً وجهته
كان كنزاً مضيعاً لحفظته
كان يأساً مخيماً فقشعته !
أى عمر من السنون الخمس
ثم عشرين داعياً قضيته
كنت تدعو إلى الكتاب مبينا
كل آى بحكمة فصلته

يا لسحر البيان إذ ررقته
يال هـد الحديث إذ أرسلته
يا الحشد من المنى تتوالى
كان أعلى من السها .. أدنيتها !

أيها الخالد الأبى سلام
خَدت منك شعلة وضرام
نُيرات من الرفاق سـتبقى
أبد لدهر للضلال سهام
قبست منك خارقان صِفات
هى كالخلد فى السماء يُرام
غرق الناس فى جحافل فوضى
وسـتجتاح بعدها الأفهام
ويسوق الأنام شـردعاة
قرب الهول .. خطوة فصدام
ويُنسخ الوجود تحذـدماء
وفعال تعافها الأنعام

بينما الشرق يسـ تطيل علواً
وسـ تعنو لبأسه الأيام
حكمة الله أن فيـ كتاباً
لذبي أتى به العـلام
لا يُضيع الإله من عـرفوه
قد هـا الحق .. بل هم الحكام
وستبقى الإخـوا، مثل منار
سـ اطع الضـوء .. إنهم أعلام

* * *

(١٠) كان لله .. بقلبه وقالبه (١)

وهذه كلمة عالم الشام وفقهها الفذ الشيخ محمد الحامد - رحمه الله
- كتب يقول :

«إن المسلمين لم يروا مثل حسن البنا منذ مئات السنين ، في مجموع الصفات التي تحلى بها وخفقت أعلامها على رأسه الشريف ، لا أنكر إرشاد المرشدين وعلم العالمين ومعرفة العارفين وبلاغة الخطباء والكاتبين وقيادة القائدين وتدبير المدبرين وحنكة السائسين ، لا أنكر هذا كله عليهم من سابقين ولاحقين ، ولكن هذا التجمع لهذه المتفرقات من الكمال قل ما ظفربه أحد كالإمام الشهيد - رحمه الله - ، عرفه الناس وآمنوا بصدقه ، وكنت واحداً من هؤلاء العارفين به ، والذي أقوله فيه قولاً جامعاً : هو أنه كان لله بكليته ، بروحه وجسده ، بقلبه وقالبه ، بتصرفاته وتقلبه ، كان لله فكان الله له ، واجتباؤه وجعله من سادات الشهداء والأبرار .

حدثني عالم في مصر كانت له صلة به قال لي : إن الإلحاد امتد إلى مصر ، وانتشر فيها وغزا كثيراً من أوساطها ، ولم يستطع الأزهر الشريف ولا الجمعيات الدينية رد سيله الجارف ، حتى جاء حسن البنا فدرأ خطره وأنجى من شره ... قال هذا العالم هذا القول وكنت أرى بعيني توفيق الله لأصحابه ، وقد كانوا من قبل في ظلمات فأخرجهم منها إلى النور .

(١) من كتاب «الإمام الشهيد حسن البنا» مطابع معتوق إخوان - لبنان د.م.

(١) الإمام الشهيد

بقلم معالى الأستاذة وليم مكرم عبید (باشا) (١)

فى الذكرى الثانية للإمام الشهيد ، طلبت مجلة « الدعوة » فى عددها الصادر فى جمادى الأولى ١٢٧١ هـ - ١٩٥١ م من معالى الأستاذ وليم مكرم عبید (باشا) كلمة بهذه المناسبة .. فكان مما كتب قوله :

فإذا كنتم أيها الإخوان المسلمون قد فقدتم أخاكم الأكبر الخالد الذكر ، فحسبكم أن تذكروا أن هذا الرجل الذى أسلم نفسه لله حنيفاً قد أسلم روحه للوطن عفيفاً ، حسبكم أن تذكروه حياً فى مجده كما ذكرتموه ميتاً فى لحده .

وما من شك أن فضيلة الشيخ البنا هو حى لدينا جميعاً فى ذكره ، بل كيف لا يحيا ويخلد فى حياهه رجل استوحى فى الدين هدى ربه وفى الآخرة وحى قلبه .

اذكروه أنتم أيها الإخوان ، اذكروه ، ففى ذكره حياة له ولكم .

ومن ذا الذى يقول بهذا ؟ . هو مكرم عبید صديقه المسيحى الذى عرف فى أخيه المسلم الكريم الصدق والصدقة معاً ، ولئن ذكرت فكيف لا أذكركم تزاورنا وكم تأزرنا بان حياته ، ولئن شهدت فكيف لا أشهد بفضله بعد مماته ، وما هى وأى الحق إلا شهادة صدق أشهد عليها ربه إذ ينطق بها لسانى من وحى قلبى ، بل هى شهادة رجل يجمع بينه وبين

(١) وليم مكرم عبید (باشا) الشهيد بمكرم عبید (باشا) كان من أقطاب الوفد البارزين وكان محامياً من ألمع المحامين فى مصر إلا أنه انشق عن حزب الوفد وكون لنفسه حزباً أسماه حزب الكتلة الوفدية .

لفقيد العزيز الإيمان بوحدة ربه وبوحدة شعبه ، والتوحيد فى جميع الأديان المنزلة لا يكفى فيه أن توحيد الله بل يجب أن تتوحد فى الله .

لقد زرتة رحمه الله إثر موته فى منزله ، فكانت زيارة لن أنسى ما حييت أثرها الفاجع والدامع ، ولقد هالنى أن أجد قوة من البوليس تحاصر الشارع الذى به منزل الفقيد ، ولولا أن ضابط البوليس عرفنى فسمح لى بالمرور لما تيسر لى أن أؤدى واجب العزاء ، ولئن نسيت فلن أنسى كيف كان والده الشيخ متأثرا بهذه الزيارة حتى أنه قضى عاما والدمع يفيض من عينيه ، كيف منعوا الناس من تشييع جنازة الفقيد ، ولم يسمح لغير والده بالسير وراء نعشه ، كما لم يسمح للمعزين بالعزاء فى منزله ، وراح الوالد الكريم يشكرنى ويدعو لى دعواته المباركة التى مازلت أتبرك بها ، ولو أنى قلت له : إن واجب العزاء هو فرض واجب الأداء فإذا ما قصرت فيه أنا أو أى مصرى كان ذلك تنكراً لأبسط أولويات الوفاء .

* * *

هذه شهادة قطب بارز من كبار الأقباط ، عايش الإمام الشهيد وتزاورا وتآزرا .. كتبها بعد أن لقي الإمام ربه وغيب مريدوه فى غيابات السجون ، كتبها لا رغبة فى مغنم يأتية من قبل مريديه المكبلين ، ولا رهبة من سياط الطغاة الفاجرين « وما هى - وأيم الحق - إلا شهادة صدق أشهد عليها ربى ، إذ ينطق بها لسانى من وحى قلبى » كما قال هذا الزعيم الكبير .

وهى شهادة تدحض ما يفتريه المفترون من العلمانيين ومن يلف لفهم من أن الإخوان يثيرون ريح الفتنة الطائفية جاهلين بل متجاهلين أن

الإسلام قد حسم الأمر وفض القضية وانتهت منذ أربعة عشر قرناً ،
وطويت فى طى النسيان ، والذين يثيرون هذه القضية لا يجدون لها
موضوعاً ، وإنما يثيرونها ابتغاء الفتنة وإشاعة القلق .

فالإسلام قد كفل للمواطنين غير المسلمين حرية العقيدة وحماها ﴿ لا
إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ
النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩] ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى
بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا
كَارِهُونَ ﴾ [هود: ٢٨] .

وما حاجة الله أن يُكره أحداً على اعتناق الإسلام إذا كان الله ينظر إلى
قلوب الناس لا إلى صورهم ولا إلى ما يقولون دون ما يعتقدون .

وأباح الإسلام كذلك حرية العبادة ، فلغير المسلمين أن يقيموا
معابدهم كيفما شاءوا ، وأن يعبدوا الله فيها من غير حرج عليهم فى ذلك
﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ
يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج: ٤٠] .

وكثيراً ما حصل أن بنت الدولة الإسلامية الكنائس المسيحية يؤدون
فيها شعائر دينهم ، ولا يزال المسيحيون واليهود يتمتعون بهذه الحرية إلى
اليوم .. لا يستطيع مسلم أن يحرمهم منها ، لأنه إن فعل ذلك يكون
عاصياً لله سبحانه وتعالى غير مطيع لأمره .

والمسلمون حين يبيحون حرية العقيدة وحرية العبادة لا يفضلون على

أحد بذلك وإنما يفعلونه عبادة لله تعالى وقربى له دون أن يملكوا له منعاً .
وفى أحوالهم الشخصية فإنهم يطبقون قواعد دينهم تحكم فى ذلك
محاكمهم .. فالزواج والطلاق والنفقة والعدة والرضاعة والنسب والميراث
والوصية والهبة كل ذلك وغيره مما يدخل فى هذا الباب ، قد أمرنا فيه
بتركهم وما يدينون لا يتعرض لهم أحد فى ذلك ، فإذا أتوا إلينا طائعين
مختارين حكمنا بينهم بما أنزل الله .

ويحضرنى هنا ما سبق وأدلى به الأستاذ الهضيبى لمراسل جريدة أجنبية
فى أغسطس ١٩٥٢ وقد سأله عن معاملة غير المسلمين من اليهود
والنصارى وغيرهم ممن ليسوا على دين الإسلام ، قال :

« نحن مأمورون بأن نشهد بالله وملائكته وكتبه والنبين . وتعظيم
كتابنا لعيسى وموسى أكبر مما يعظمهما اليهود والنصارى ، ولئن كانوا
ظلموا التاريخ بتشويهه حقائقه فليس علينا إلا أن نعدل فيهم ونتبع هدى
القرآن » .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ
بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء : ٥٨] .

ولم يقل الله تعالى : وإذا حكمتم بين المسلمين ، فإن العدل فى
الإسلام عدل إنسانى لا يعرف التفرقة بين مسلم وغير مسلم .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : ٨] . فنهانا الله بذلك عن أن نفرق فى عدلنا فنعدل
فيمن نحب ولا نعدل فيمن نكره ، بل يجب علينا العدل بين الناس فى

كل الأحوال .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ [النحل : ٩٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا
قُرْبَىٰ ﴾ [الأنعام : ١٥٢] .

وأحكام الإسلام تأمرنا أن نعامل الناس كافة بالعدل ، ولو قال لنا
الإسلام شيئاً آخر لفعلنا ، ولو قال قاتلوهم لقاتلناهم (١) يقصد أننا نلتزم
بأمر ربنا لا نحيد عنه .

وليس هذا مجال تفصيل لكلام عن معاملة غير المسلمين في ظل
الدولة الإسلامية ، فقد كتب فيه ، كثير من الكاتبيين من مسلمين وأجانب ،
وأحيل القارئ الكريم إلى كتاب د . القرضاوى (غير المسلمين في المجتمع
الإسلامي) .. وأسجل هنا ما كتبه جوستاف لوبون في كتابه حضارة
العرب فهو يقول : « لقد أدرك الخلفاء السابقون الذين كانت عندهم من
العبقرية ما ندر وجوده في دعاة الديانات أن النظم والأديان ليست مما
يفرض قسراً ، فعاملوا أهل سورية ومصر وإسبانية وكل قطر استولوا عليه
برفق عظيم تاركين لهم نظمهم ومعتقداتهم غير فاضين عليهم سوى

(١) مجلة «المسلمون» العدد العاشر - السنة الأولى ذو الحجة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م :

إشارة منه إلى قول الله عز وجل في عجز الآية ٨ من سورة المتحنة : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ
الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

جزية زهيدة إذا قيست بما كانوا يدفعونه فيما مضى ، على أن تكون تلك
الجزية فى مقابل حفظ الأمن بينهم ، فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين
راحمين متسامحين مثل العرب ، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم» (١) .

فليكف قوم رموا الإسلام بسموم حرابهم بغية تشويه تعاليمه وصرف
الناس عنه ، وإثارة الفتنة بين عنصري الأمة .

﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[المائدة : ٧٣] .

(١) راجع فى هذا كتاب « حضارة العرب » ص ٧٢٠ جوستاف لوبون - ترجمة محمد
عادل زعيتر .

(١٢) ونختتم ما قيل من الإمام البنا بما قاله هو نفسه بهذا
العنوان : هذا أنا .. فمن أنت ... !!؟ (*)

سأل صحفى الإمام الشهيد عن نفسه ، وطلب منه أن يوضح بنفسه
عن شخصيته للناس .. فقال رضى الله عنه :

« أنا سائح يطلب الحقيقة ، وإنسان يبحث عن مدلول الإنسانية بين
الناس ، ومواطن ينشد لوطنه الكرامة والحرية والاستقرار والحياة الطبيعية فى
ظل الإسلام الحنيف .

أنا متجرد أدرك سر وجوده ، فنادى : إن صلاتى ونسكى ومحياى
ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين .
هذا .. أنا ...

فمن .. أنت ... !!؟

مواقف دعوية للإمام البنا

الأستاذ محمد السيد وادى ، من شيوخ الدعوة السابقين – أطل الله
حياته وتمعنه بالعافية

خرج الأستاذ البنا فى الأربعينيات فى جولة دعوية إلى مدينة المنصورة
وما حولها من المراكز والقرى ، لمربكفربدواى وقدمه الإخوان هناك إلى
الأستاذ البنا للتعارف ، وبعد حديث ودى بينهما دعاه الأستاذ الإمام
لزيارته فى القاهرة فى أول فرصة مواتية ، وفوجيء الأستاذ البنا ذات يوم

(*) من كتاب «الإمام الشهيد حسن البنا» مطابع معتوق إخوان – لبنان د.م.

بزيارة الأستاذ وادى له فى المركز العام ، وأثناء الحديث معه ، فهم منه أنه قادم لزيارة شقيقه المريض بمستشفى قصر العينى غداً ، وانتهى اللقاء مع تمنيات الأستاذ للمريض بالشفاء .

يقول الأستاذ وادى : وفى صباح اليوم التالى بينما أنا متوجه لزيارة شقيقى إذ فوجئت بما لم يكن فى الحسبان .. وجدت الأستاذ البنا قد سبقنى ومعه مجموعة من الإخوان لزيارة أخى ، فأدرکت أن الرجل صاحب فكرة ورسالة ، وآليت على نفسى ألا أغادر القاهرة إلا وفى عنقى بيعة وعهد على الانخراط فى سلك الدعوة والعمل تحت لوائها .

كان الأستاذ البنا - رحمه الله - صاحب دعوة وفكرة ، وكان لا يفتأ يهتم بشئون الإخوان أياً كانت مواقعهم ومراكزهم ، يعقد لهم عقود الزواج ، ويبارك الأولاد ويشاركهم فى سرائهم وضرائمهم .

** يحدثنى أحد الإخوان أن الأستاذ البنا زار قرية من قرى المنوفية على حد ما أذكر ، وكان لأحد الإخوان جاموسة أصابها المرض فلم يغادر القرية إلا بعد أن اطمأن على الجاموسة وأنها تعدت مرحلة الخطر ، ولما التقى بهذا الأخ بعد مدة سأل عن حال الجاموسة .

** تلقى برقية من أحد الإخوان يخبره فيها بأنه رزق بمولودة بعد عقم دام سنين وأنه يرغب إلى الأستاذ فى اختيار اسم لها وقرأ الأستاذ البرقية على أعضاء مكتب الإرشاد فقال بعض الحاضرين : « احنا فاضيين للكلام .. »

فما كان من الإمام إلا أن قال : « هذا من صميم دعوتنا ... » .

ثم تناول ورقة وقلماً وحرر برقية نصها: الأخ فلان... «بارك الله لك
في مريم وأنتها نباتاً حسناً».

وأمر بإبلاغها على الفور.

**** قُدِّمَ إليه أكثر من مائة «كرنيه» بأسماء شباب الجواله في إحدى
المحافظات لتوقيعها، فراح يمعن النظر في صورة كل جوال ويحفظ اسمه،
ولما توجه بعد أكثر من سنة لزيارة بعض قرى هذه المحافظة، كان يلتقى
بالإخوان ويناديهم بأسمائهم، ولم يكن قد التقى بهم من قبل، فكان
ذلك مثار دهشة الجميع.**

**** كان الإمام الشهيد - رحمه الله - حريصاً على كسب النفوس
وتأليف القلوب، ولا غرو أن التفت حوله هذا الجيش الضخم من جميع
الطبقات في سنين قليلة، حتى ذكر مصطفى أمين في حديث له أن أنصار
الشيخ البنا بلغوا من الكثرة والترابط حداً لدرجة أنه إذا عطس في
الإسكندرية سمع صوتاً آتياً من سوان يقول له: يرحمك الله.**

**** ولعمري لو كان الإمام - حسن البنا حياً في أيامنا هذه وعطس في
القاهرة أو في الإسكندرية أو في قاع الريف المصري.. في قرية.. أو كفر..
أو عزبة.. أو دسكرة.. لتداعت الأصوات من كل فجاج الأرض.. من
روسيا.. وأمريكا.. وإنجلترا.. وفرنسا.. والنمسا.. وألمانيا.. وكندا..
وبلوخستان.. وطاجستان.. وما حولها.. فضلاً عن بلاد المغرب العربي
والمشرق العربي.. يقولون له: «يرحمك الله».. وذلك بعد أن اجتازت
دعوته الحدود، وتخطت السدود، وأصبحت علماً على الجماعات**

الإسلامية العاملة على الساحة العالمية التي تحمل ذات المنهاج، وإن تسمت بأسماء مغايرة للجماعة الأم.

وهكذا يجب على رجال الدعوة أن يلتحموا بالناس على اختلاف مواقعهم ومستوياتهم، وأن يهتموا بقضاء حوائجهم ومساعدتهم ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً مستهدين بالحديث الشريف:

« حق المسلم على المسلم خمس:

– إذا لقيته فسلم عليه.

– وإذا عطس فشمته.

– وإذا مرض فعهده.

– وإذا استنصحك فانصح له.

– وإذا مات فشيعه.

وأن يرعوا يتيماً، ويرحموا مصاباً، ويقيلوا عشرة، ويفرجوا كربة .. فهذه كلها أمور من صميم الدعوة إلى الله، وبها يكسب الدعاة القلوب.

قال بعضهم: عجبت لمن عجز عن شراء الناس بالمال، كيف لا يشتريهم بالإحسان!!؟ ...

* * *

الفصل السابع

مختارات من شعر الدعوة

يامسـمون (*)

للدكتور / حسان حتوت (١)

حمل الهوى قلبى إليك وطارا

يطوى البلاد ويذرع الأقطارا

كأس الحياة إذا نظرت، حلاوة

فإذا شربت بها وجدت مرارا

أأكون صاحبها وهذا اسمها

تسمى الندامى منه والسّمّارا؟

إنى لتاركها لأكرم، ساحة

تحوى النبى وآله الأطهارا

(*) ألقى في حفل افتتاح مستشفى المدينة المنورة حضره الملك سعود - رحمه الله - حيث كان د. حسان يعمل طبيباً بهذا المستشفى .

(١) من الرعيل الإخوانى الأول، عايش الدعوة منذ نعومة أظفاره، وتفوق في مهنته كأستاذ بكلية الطب، كما برع في نظم الشعر حتى غدا شعره قريباً من شعر (حسان) شاعر الرسول ﷺ، وله ديوان عنوانه: «جراح وأفراح» أودع فيه كثيراً من الأفكار الإسلامية تناول فيه موضوعات شتى: دعوية واجتماعية وسياسية وفكرية، وقد رحل إلى أمريكا منذ ما يقرب من عشر سنوات وقبل بدو غه سن المعاش حيث تفرغ للدعوة هناك تعاونه زوجته الفاضلة الدكتورة...، ولهما في هذا المضمار باع طويل، وقد اهدى على أيديهما خلق كثير من جميع الجنسيات - بارك الله جهادهما وجهودهما وتقبل منهما.

بلد الألى هاجرتُ من وطنى إلى
أوطانهم فوجدتهم أنصارا
ذوبت نفسى فى الغرام قصيدة
وجعلت شعرى للوداد شعارا
ودعوت فيها دعوة أبدية
ياربّ حىّ نبيك المختارا

أسعود إن المسلمين بأسرهم
قد رگزوا الآمال والأنظارا
شُدّها على بلد الرسول محلة
تجلوا ظلاماً أو تقيل عثارا
تنفى بها وبمثلها أسقامنا
وترد ليل البائسين نهارا
هى من شئون الملك فارغ صرحها
واحسم بها الأدواء والأوضارا
الشعب فيه هو الأساس وكلما
قوى الأساس به فلن ينهارا

أرقأ مدامعه وواس -صراحه
وأعدّه للمكرمات كـبارا
زمن القوى وعالم لا يستحي
أن يستبيع دم الضعيف جهارا
إن لم تكن تلك الجسم قوية
لم تلف جندياً ولا طيارا
فأعدّ ما يحيى الجسم كليله
وأعدّ ما يهدى النفوس حيارى
واسأل رجال الطب عن أدوائهم
ودوائهم يجعلوك الأسرارا
إننا نحس قلوبهم وصـدورهم
ونفوسهم والسمع والأبصارا
نُجرى المباحض بالشفاء وتارة
نُجرى الكلام وننظم الأشعارا

يا مسلمون وما لعيني لا ترى
للمسلمين الورد والإصدارا

دار الزمان عليهمو فتغيروا
ليت الزمان عليهمو ما دارا
سكنوا إلى الدنيا سكينه غافل
ياويل للدنيا الغرورة دارا
حسبوا بأن الدين عزلة راهب
واستمروا الأوراد والأذكارا
عجباً أراهم يؤمنون ببعضه
وأرى القلوب ببعضه كفارا
والدين كان ولا يزال فرائضاً
ونوافلاً لله واستغفارا
والدين مصباح حملنا نوره
لنبث ما بين الدجى أنوارا
والدين ميدان وصمصام وفر
سان تبيد الشر والأشرارا
والدين عز المسلمين فما ارتضى
فى أرضهم ذلاً ولا استعمارا
والدين حكم باسم ربك قائم
بالعدل لا جوراً ولا استهتارا

ذاك الهدى يامن يسائل ما الهدى؟

فبأى للاء الهدى تتماهى

وانظر عداة المسلمين فإنهم

داءً أناخ على الحمى وأغارا

متنافرين فإن تراءى مسلم

حسموا الخلاف ووحدوا الأوطارا

خوف من الإسلام يملأ قلبهم

رعيباً ويؤزكى فى الجوانح نارا

مهلاً عداة الله إن غرتكمو

دنيا شهدنا حالها أطوارا

حاصرتم الدنيا فهل انى طوقكم

أن تحكموا حول اليقين حصارا

يارب ثبتنا بيوم موشك

نهب الدماء لديه والأعمارا

يارب هد الظالمين ولا تذر

منهم على أوطاننا دياراً

ولرب جرح فى فلسطين جرى
بدم فأجرى المدمع المدرارا
مازال ينتظر الدواء كتائباً
تهوى الحمام وأنفساً أحرارا
سنرده ونردهم عن أرضه
ونفك عنه ربقة وإسارا
مابال جبار الحديد كأنه
نسى الإله الواحد الجبارا
قد قررروا ما قررروه وإننا
دون الكرامة لا نقررّ قرارا

أملا بنى الإسلام هذى يثرب
تحبى اليقين وتحفز الأحرارا
بلد الرسـول، وأى درس ناصع
عمر القلوب وأطرب الأفكارا
هذا رسـول الله يم شطره
يطوى إليه مهامها وقفارا

يفشى المخاطر ماله إلا السرى
ليلاً وإلا الاختفاء نهارا
حتى أتى غاراً فألهم أنه
وصديقه يستوطنان الغارا
والكفر عصبته تنقب عنهما
تتلسس الأخبـار والآثارا
بلغت مكانهما فلم تشهدهما
فقدُ البصيرة يُذهب الأبصارا
أضحى ببيض للحمام وقاية
وغدت خيوط العنكبوت ستارا

يارب ليس لنا سواك وإننا
لم نلدن غيرك راحماً غفارا
بارك لنا فيما يصير به المدى
من أمرنا واغفر لنا ما صارنا
يارب إن الناس ضل ضلالهم
فتجبروا واستكبروا استكبارا

ثار العباب بنا فنجُ سفينا
واهد الرياح وسخر التيارات
يارب نهضتنا على دين الهدى
بنيت فعزت رفرفاً وجدارا
خيلُ نعد رباطها ومهند
مازال في كف الهدى بتارا
وعقيدة وعزيمة وحكومة
تخذ الكتاب هداية ومنارا
إنا دعونا في جوار محمد
عز الرسول شفاعة وجوارا

السجود لله (*)

للدكتور عبد الوهاب عزام

سجدة تخفض الجباه، ولكن
عزَّ فيها مسبح وتعالى
ظنها الجاهلون غلا على العبد
ولكن تحطم الأغلالا
خرَّ فيها لساجد كل شيء
يرهب الكون قوله والفعالا
تثبت الوجه والجرارح في الأر
ض ولكن تقلقل الأجبالا
تهدم الشرك والوسوس في النف
س ولكن تشييد الأجيالا
في سكون وللقلوب مسير
سخر الأرض رهبة وجلالا
هي لله وحادثه فققرت
ومحت كل غاشم يتعالى
من وعها وعى السيادة في
الأرض جللاً ورحمة وجمالا

(*) مجلة «المسلمون» - العدد التاسع - السنة الأولى - يوليو ١٩٥٢.

المسلمون (*)

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

من هؤلاء التائهون

الخابطون على التخوم؟

أعشى خطا أبصارهم

وهج الزوابع والغيوم..

والليل ينفض فوقهم

من يأسه قلق النجوم

ويسوقهم زمراً إلى

حُفْرِ مـولـولة الرجـوم

السُّوطُ يُرْقِلُ حـولها

والموت أنسُّـره تحـوم

والقَيْدُ يـخـصـفُ من صدره

م المذلة والهـمـوم

ويسومهم من عسفـه

ولظاه أبشع مـا يسـوم

(*) مجلة «المسلمون» - العدد التاسع - السنة الأولى - ديسمبر ١٩٥٢ .

فإذا غَفَرُوا .. فعلى مواط
ئ كلُّ جَلادٍ غَشِوم
وإذا صَحَّحُوا .. فعلى خطأ
للذُّر خاشعة الرسوم

من هؤلاء الضائعون؟ ..
أف هؤلاء المسلمون؟!
أبدأ..! تُكذبني، وتر
جُمُني الحقائق والظنون

أبدأ.. وكيف؟ وفي يمي—
نهم كتابٌ لا يهون
أبدأ.. وكيف؟ ودون
سَطوتيه وتنتحرُ الظنون
ويبيدُ طفيلان العتَا
ة، ويَهلكُ المتجَبُّرون

ويخربون بين يديه من
وهج الضياء الغاشمون
الفساسدون، المفسدون
الظالمون، المظلّمون
الشاربون الدمع ممن
في المجازر يصرخون
السائقون الخلق كالقط
عان ساجدة العيون
مبهورة، منهورة
بالسؤوط، تجهل ما يكون
بلهَاء، روعها الصدى
واجتاح قينتها الجنون
وأحالتها غداً يكبر
للردى.. لو تسمعون!

من هؤلاء الخانعون؟..

أف هؤلاء المسلمون؟!

أبدًا... تُكذِّبُنِي، وتَتر

جُمُنِي الحَقَائِقُ وَالظَّنُونُ

أنا منهم.. لكنني

نَعَمُ بِسَمْعِهِمْ شَرِيدُ

ربضت به الأصْفَادُ.. بل

طحنته غمغمة العبيد

وجُؤارُ شَرْقِ مُبْدِيءِ

بأنين أمته مُعِيدُ

أبكي عليهم.. أم على

غلُّ يُكْبَلُنِي شَدِيدًا

إنا هجرتنا الله... هجـ

رتنا للشيطانِ مريد

عاتِ تروضُنَا حَضَا

رته لكل هوى مُبِيدُ

ولكل من يُحسبى لنا الإســــــــــــــــ

سلام فى كــــــــفَنٍ جديد..

نسجته أخيلَّة العصور

السُّود مُذ زمنٍ بعيد

لُتُحيلَ دينَ «محمدٍ»

وَهَمًّا على نَعشٍ مجيد

وإذا الجنازة لوعــــــــــــــــة

حَرَّى مشيئتها سعيد

من هؤلاء الهــــــــــــــــالكون؟..

أفــــــــــــــــهؤلاء المسلمون؟!

أبدأ... تُكذِّبُنِى، وتُـر

جُـمُنِى الحَقائِق والظنُون

من كان للإســــــــــــــــلام

فليضربْ بِمِقْوَلِهِ الفسَاد

فِيصِيحُ بِاللَّصِّ الْعَتِي:

كَفْنَاكَ مِنْ شِبَعٍ وَزَادَ

وَيَصِيحُ بِالْفُسِّ سَق:

إِيَّاكُمْ وَأَعْرَاضَ الْعَبِيدِ

وَيَصِيحُ بِالطَّاعِينَ:

أَسْرَفْتُمْ، لِكُلِّ مَدَى نَفَادَ

وَيَصِيحُ بِالْبِغَاغِينَ:

وَيَحْكُمُ، لِقَدِّ ذَهَبِ الرَّفَادِ

وَيَصِيحُ بِالْفِغَاوِينَ:

وَيَلْكُمُ، إِذَا حَانَ الْحَصَادُ

وَطَوَاكُمُ حَادُ الْمَنَاجِلِ

بَيْنَ أَذْرَعِهِ الشُّدَادُ

وَنَظَرْتُمْ... فَاذَا الظَّلَامُ

عَلَيْكُمْ حَنِقُ السُّوَادِ

رِيحُ مُصْرِصِرَةِ الزُّيْرِ

كَأَخْتِهَا فِي يَوْمِ «عَادِ»

أذان دائم (١)

للدكتور عبد الوهاب عزام (*)

يدى على الدهر هذا الأذان

فما ينقضى ساعة واحدة

إذا بلدة خففت صوتها

تنادى التى بعدها جاهدة

فما سكت الصوت مرّ العصور

ولم تُلف أنغامه هامدة

من السموات أنغامه

وتلقى الجبال لها رعدة

فكيف غفت عنه هذى القلوب

وظلت لترجيعه جاحدة

ولم تقشعر بأصدائه

ولم تمسك النغمة الشاردة

(١) اختلاف التوقيت فى البلاد الإسلامية يؤدى إلى دوام الأذان فى كل وقت .

(*) عن مجلة «المسلمون» - العدد العاشر - السنة الأولى - أغسطس ١٩٥٢ .

كما أعلن الصوت مذياعه

ودوى بنغماته صاعده (١)

أهدى القلوب بإحساسها

أقل من الآلة الجمامدة ١٩

(١) كيف لآتمس قلوب المؤمنين بالأذان كما يدرك المذياع الأصوات فيعلن بها ١٩..

بين الشهاب والمسلمون

كان الإمام الشهيد يؤمن إيماناً راسخاً بأثر الكلمة المقروءة وكذلك المسموعة، وكان كما يحدث عن نفسه يكتب مثلما ما يخطب، ويخطب مثلما يكتب. عني عناية عظيمة بنشر الدعوة عن طريق الصحافة، فأنشأ لذلك مجلة «النذير» في فجر الدعوة، ثم جريدة «الإخوان اليومية»، وقبل استشهاده بأشهر قلائل أنشأ مجلة شهرية أسماها «الشهاب» تنهج نهجاً أكاديمياً، وكان كتابها: الشيخ محمد أبو زهرة، والشهيد عبد القادر عودة، والأستاذ العقاد - رحمهم الله - وغيرهم، وقد صدر منها أربعة أعداد استشهد بعدها الإمام الجليل.

ومن أروع ما كتب تحية لتلك المجلة أبيات من الشعر للأستاذ حسين شمس الدين من لبنان عنوانها: «تحية إلى الشهاب»: (١)

هذا شهاب مقاصد القرآن

يهدى الورى لحقيقة الإيمان

قبس من الذكر الحكيم مشعشع

بالحق والأحكام والبرهان

سطعت أشعته بشهر محرم

فى عامنا هذا على الأكوان

(١) عن مجلة الشهاب «العدد الثانى» - السنة الأولى - ديسمبر ١٩٤٧.

من مصر قد ظهرت فأشرق نورها
فى الشام والأقصى وفى لبنان
فى الرافدين وفى الجزيرة هللت
وشمال أفريقيا إلى تطوان
وجزائر الهند العظيمة أكبرت
للمرشد البنا وباكستان
الله أكبر دعوة لاتنطفئ
ما دام مشعلها يد الرحمن
للعالمين تنزلت وحيأعلى
قطب الوجود ومعدن الإحسان
يا أيها الإخوان دعوتكم سرت
فى الناس مثل الماء فى الأغصان
« وشهابكم » هزم الظلام وناره
لابد تحرق مظلم الوجدان

ثم انقشعت محنة الإخوان فى أخريات ١٩٤٩ على إثر إقالة وزارة
إبراهيم عبد الهادى، وعاد الإخوان إلى الساحة من جديد ليستأنفوا
نشاطهم.

فأصدر الأستاذ / سعيد رمضان - رحمه الله - مجلة أسماها

«المسلمون» على غرار مجلة الشهاب، ليتم ما بدأه الأستاذ الإمام...
وفي العدد الأول أرسل الأستاذ / محمود أبو النجا تحية للمجلة هذا
نصها: (١)

طلعتُ على ليل الوجود ضياءً
وتضوَّعتُ في قفـره فيحاءً
وتدفقت من صخره أنهارها
تروى نفوساً للجهاد ظمأً
وتجردت أقلامها، وكأنها
بيضٌ يسيل مدادهنّ دمأً
فلها التحية من سواد قلوبنا
ونصوغُ من نور العيون ثناءً

[المسلمون] صحيفة [قمرية]
غراءً، تُحيى السمحة الغراء
قامت على صرح الشريعة تبتني
أمجادها وتُعِيدها شمأً
والمجد لا يعطى شراباً سائفاً
إن رُمتَ مجداً، فاسأل الشهداء

(١) عن مجلة المسلمون «العدد الأول» - السنة الأولى - نوفمبر ١٩٥١.

يا قادة الشرق المهيض استيقظوا
فالغربُ أعلنها لكم شعواءً
حرباً تُمسُّ الدينَ في تقديسه
وتبيد أطفالاً لكم ونساءً
وتزعّمثها [انجلترا] وهى التى
عَقَدتْ لحرب المسلمين لواء
الأمس مَكَّنَتِ اليهودَ فأنشأوا
وسط المهازل، دولةً عرجاء
وغدتْ [فلسطين] الشهيدة موطناً
لهمو، وأصبح أهلها غرباء
واليوم فى مصر العزيزة جردتْ
جيشاً يناجزُ أمةً عزلاء
للشـرق داءٌ لا يُرجى برؤهُ
إلا إذا أخذ «الكتاب» دواءً
واللهُ - جلَّ اللهُ - أخبر أن فى
آياته للمؤمنين شفاء

* * *

سِرِّيَا [سعيد] بنور ربك ماضياً
إِنِّي عَهْدْتُكَ [كالشهاب] مَضَاءً
فلقد نشأت على مبادئ دعوةٍ
بَنَتِ الرَّجَالَ الْعَامِلِينَ بِنَاءً
صَمَدُوا لِأَهْوَالِ شِدَادٍ، فَاثْنَتُ
عَنَّهُمْ، وَزَادُوا بِالْخَطُوبِ نَقَاءً
وَتَعَلَّمُوا فَنَّ الْجِهَادِ، وَمَارَسُوا
صَفَقَاتِهِ بِيَعَا لَهَا وَشِرَاءً
رَبَّاهُمْ «الْبِنَا الشَّهِيد» فَأَصْبَحُوا
مُثُلًا، وَأَضْحَى كُلُّهُمْ «بِنَاءً»

كلمة وفاء

ولا أستطيع أن أودع القلم إلا بعد أن أسجل كلمة وفاء لأخي وأستاذي الذي أدين له - بعد الله - بهدايتي ولزوم الصراط المستقيم.

كان الدكتور سعيد رمضان من ألمع شباب الإخوان منذ كان طالباً بالحقوق . وكان خطيباً لا يشق له غبار، يجيد إلى جانب العربية اللغتين الإنجليزية والفرنسية كتابة وخطابة، تربى في حجر الإمام فورث منه الكثير، وكان الإخوان يدعونه المرشد الصغير. أبى الاشتغال بالمحاماة كمهنة ولو كان قد فعل لكان له حديث ذائع الصيت ومجد شامخ، ولكنه أقام من نفسه محامياً عن قضية الإسلام وحدها، وشارك في الدفاع عن شباب الإخوان في قضية سيارة الجيب الشهيرة وغيرها، وأبلى في ذلك بلاءً حسناً، وكان سبباً في انضمام الكثير من الصفوة المثقفة إلى صف الدعوة ومن بينهم المستشار أحمد كامل ثابت بك رئيس محكمة الجنايات التي حكمت في قضية سيارة الجيب المشهورة، وفي مرافعته أبكى جمهور الحاضرين ومنهم هيئة المحكمة، وراح المستشار محمود عبد اللطيف عضو الهيئة يوارى دموعه بنظاراته الشمسية مما اضطر رئيس المحكمة إلى رفع الجلسة للاستراحة.

وفي عام ١٩٥٤ حين ساءت علاقة الإخوان بالحكومة بينما كان هو وأخواه الأستاذان عبد الحكيم عابدين وسعد الدين الوليلي - رحمهما الله - في مهمة دعوية في سورية، صدر قرار بإسقاط الجنسية المصرية

عنهم وظلوا مطاردين إلى ما بعد وفاة عبد الناصر.. ولكن «سعيد» رحل من سورية إلى الأردن، ثم إلى لبنان، ثم إلى السعودية، وكلها ضاقت به، ففر إلى جنيف بسويسرا ليأمن على نفسه من ملاحقات النظام الذي كان يسعى للقبض عليه وترحيله داخل صندوق كما كان شأن النظام بالنسبة لكثير ممن فروا من ظلمه، ورغم هذه الملاحقات فقد كان دعواً في العمل للدعوة، واستمر في إصدار مجلة «المسلمون» التي أنشأها سنة ١٩٥١ من سوريا مستعيراً اسم د. مصطفى السباعي مراقب الإخوان هناك.

وفي جنيف أنشأ المركز الإسلامي فكان أول مركز يقيم في أوروبا، وباشر من خلاله الدعوة إلى الله، واهتدى على يديه خلق كثير.

وخلال ذلك حصل على درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية من جامعة بولونيا بألمانيا الغربية باللغة الإنجليزية وترجمها ابنه الأكبر د. أيمن إلى اللغة الفرنسية ويعتزم ترجمتها قريباً إلى اللغة العربية ليعم بها النفع، وتابع إصدار المجلة ذاتها، ولكن مكرت به وبها أيد أئيمة فتوقفت عن الصدور.. وظل رغم ذلك يعمل لدعوته دون كلل أو ملل رغم صدور حكم بالإعدام عليه حتى اشتدت به العلة وأقعده المرض وطال إلى أن اختاره الله لجواره في جنيف غرباً طريداً وذلك في شهر أغسطس ١٩٩٥، ولم تطأ قدمه أرض مصر منذ أن غادرها عام ١٩٥٤ ولكنه عاد لا سيراً على قدميه بل محمولاً في نعش متواضع ليدفن إلى جوار إمامه ووالد زوجته الشهيد حسن البنا بناء على وصيته، وخلف من ورائه ذكراً حسناً وقلوباً طالما استمعت إليه واستمتعت بعطائه.

ولم ينس جيل المثقفين في غمرة الأحداث المتدافعة، وفي غفلة من دنيا

الناس سعيد رمضان، رغم السنين الطويلة التي قضاها غريباً شريداً، لأنه دافع عن الإسلام بقلمه ولسانه وبأكثر من لغة؛ لم ينسوا ما أغدق عليهم من عطاء وافر، وعلم غزير، فرثاه أحبابه ومريدوه في كل أقطار الدنيا وفاء بحقه، واعترافاً بفضلته .

ونختار من هذه المرثيات هذه اللوحة المبدعة التي سطرها بقلمه الرشيق الكاتب الإسلامى الأستاذ أحمد بهجت فى عموده الثابت بجريدة الأهرام فى ٦ أغسطس ١٩٩٥ إثر علمه بالفاجعة بعنوان: رجل مضى .

نوردها هنا ليعرف الجيل الحاضر بعض آثار الجيل السالف فيحفزه ذلك إلى مواصلة السير فى طريق الدعوة والتضحية فى سبيلها بالنفس والمال وهجرة الأوطان شأن الجيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان من أمثال الراحل الكريم، وهم الحمد لله كثر تزخر بهم كل أقطار الدنيا مما يبشر بأن المستقبل لهذا الدين، وأنه لاتزال طائفة من هذه الأمة قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون .

كتب الأستاذ أحمد بهجت بعنوان « رجل مضى » يقول :

كان يؤمن أن الدعوة الإسلامية تشق طريقها فى عصر تقدم فيه العلم المادى، وتغيرت فيه أساليب الكلام والكتابة، وتطورت طرائق محاربة الإسلام إلى وسائل أشد فتكاً، ووسائل تتخذ ثوب العلم، وتستغل فى شبابنا المثقف جهله بالإسلام، ومركب النقص فيه إزاء ما شاهده من ضخامة الحضارة المادية لتثير فى رعوسه الشك وتقطعه عملياً عن الإسلام،

ولا أحد ينكر أنها نجحت في ذلك إلى حد بعيد .

ونحن مسئولون أن نواجه هذه الحرب بأسلحتها، وأن نرد على دعوى العلم بالعلم، وأن نستعمل أسلوب العصر في مخاطبة أهله، وأن نقدم للمشكلات المستحدثة حلولها التي تحقق بها الشريعة مصالح الناس، وهذه مسئولية هائلة سيحاسب الله عنها كل القادرين على الاضطلاع بها، سواء كانوا ممن علموا شئون الدين وأغفلوا شئون الدنيا، أو كانوا ممن علموا شئون الدنيا ولم يبالوا بما يطالب به الدين . كلا الفريقين مسئول لأن عقله أمانة الله لديه، ولأن الدين والدنيا في الإسلام وحدة يحكمها أمر الله ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ .

هذه كلمات داعية إلى الله هو الأستاذ سعيد رمضان، وهو داعية انتقل إلى رحاب الله بعد صراع مع المرض في جنيف منذ يومين .

سمعت الخبر وتذكرت أيام الشباب، حين كنا طلبة بالثانوى أو طلبة بالجامعة .

كان سعيد رمضان رحمه الله تعالى نموذجاً للداعية القادر على الوصول إلى قلوب مستمعيه بوداعته وهدوء صوته ويسر عبارته وجللاء أفكاره، عندما كان يخطب الجمعة فى مسجد الروضة، وهو مسجد بسيط فرشت أرضه بالحصير وصنعت قوائمه من جذوع النخل .

وكانت الصلاة خلفه متعة تشف فيها الروح وتسمو، ويرق فيها القلب ويصفو، وتدمع فيها العين وتغسل النفس بالبكاء . . وكنا نخرج من الصلاة وكأننا نولد من جديد .

وفى مجلة المسلمون التى أنشأها وكانت تصدر كل شهر، كان سعيد رمضان يستكتب فيها أفضل العلماء والمفكرين وأصحاب القلوب المستنيرة، وكان الإسلام الذى يدعونا إليه مشروعاً حضارياً راقياً يسعى إلى تغيير الحياة بالفكر الواعى والعلم النافع.

ولقد مضى الرجل يجاهد فى سبيل الله، ويهدى الناس إلى منابع الفطرة والإيمان والتقدم، ويصد السهام عن الإسلام حتى وافاه الأجل المحتوم وهو فى الغربية.

رحم الله سعيد رمضان وجزاه عن جهاده خير الجزاء».

.....

رحم الله أبا أيمن ونضراً وجهه كما نضّر جبين الدعوة بعظيم جهاده وصبره وثباته، وخلفه فى عقبه بخير ما يخلف به عباده المتقين، وأنزله منازل الأبرار مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.. آمين.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	الإهداء
٧	تقديم للشيخ محمد عبد الله الخطيب
١٢	مقدمة المؤلف
	الفصل الأول
١٥	- من ذكريات الطفولة والصبا
٣١	- بين عهدين: الوفد والإخوان المسلمون
٤١	- رجال تأثرت بهم
٥٣	- الهضيبي مرشداً ١٩ أكتوبر ١٩٥١
	الفصل الثاني
٧١	- مع المصحف السجين
١٠٨	- ذهبت إلى الدار الآخرة
	الفصل الثالث
١٤٥	- أنفاس معدودة في أماكن معدودة
١٥٠	- المنشر وتطبيق الشريعة
١٥٢	- الرئيس المؤمن
١٥٤	- رد اعتبار
١٥٩	- عود إلى الأستاذ محمد عبد الحميد

١٦٤ - خصائص رجل العقيدة
الفصل الرابع	
١٧٩ - طرائف
١٨١ - فى دورة المياه
١٨٣ - يخرج النور من وسط الظلام
١٨٨ - القبقاب المركب
١٩٠ - الضابط محمد عباس
١٩٤ - جنود البق
١٩٧ - اليهود يأكلون الدنادى
١٩٩ - عزيز قتيل المحشى
٢٠٠ - هو عملها وغررنا فيها
٢٠١ - وإيه يعنى؟
٢٠٢ - نأكلها احتراماً لكبر لسنها
٢٠٣ - الباشجاويش بائع الكتاكيت!
٢٠٥ - ولكن أشرب الشاى البلاشا
٢٠٧ - اليهود أخذوا البطانيتين
٢٠٨ - غطس تانى علشان خاطرك
٢٠٩ - تهنئة وتحذير
الفصل الخامس	
٢١٣ - خرج من الليمان أستاذاً بكلية الطب!
٢١٧ - مثال آخر فريد
٢١٩ - إسماعيل النشار
٢٢٢ - الأستاذ جمال فوزى

- ٢٢٣ - ابتهاج مؤمن وسط حلقات التعذيب
- ٢٢٤ - شهيد آخر على طريق الدعوة
- ٢٣٥ - قطتى
- ٢٤١ - يادهر عفواً
- ٢٤٣ - محنة آل مذكور تجار الفاكية
- ٢٤٧ - قافلة الشهداء - الوجبة الاولى
- ٢٦٢ - مذبحة ليमान طرة
- ٢٦٣ - ثالث المرشدين عمر التلمساني
- ٢٦٧ - مواقف
- ٢٧١ - عبد الرحمن البنان
- ٢٧٥ - رجال شرفاء
- ٢٨٢ - رجال اولياء - رهين المحبس
- ٢٨٣ - العالم المجاهد
- ٢٨٥ - أعمل بمبادئ حسن البنا
- ٢٩١ - شر البلية ما يضحك

الفصل السادس

- ٢٩٥ - قالوا عن الإمام البنا
- ٢٩٧ - ولدى الشهيد فى ذمة الله
- ٣٠٠ - المرشد الملهم
- ٣٠٤ - إمام وداعية وشهيد
- ٣١٥ - من أعظم الشخصيات الإسلامية المعاصرة
- ٣١٩ - حسن البنا وعبقريته البناء
- ٣٢٤ - غصن باسق فى شجرة الخلود

٣٢٨ إهداء -
٣٢٩ الإسلام يصوغ النور فى لحم ودم -
٣٣٦ الجوهرة -
٣٤٢ كان لله بقلبه وقالبه -
٣٤٣ الإمام الشهيد -
٣٤٩ هذا أنا.. فمن أنت؟ -
٣٤٩ مواقف دعوية للإمام البنا -
الفصل السابع	
٣٥٣ مختارات من شعر الدعوة -
٣٥٣ يامسلمون -
٣٦٣ السجود لله -
٣٦٤ المسلمون -
٣٧١ أذان دائم -
٣٧٣ بين الشهاب والمسلمون -
٣٧٨ كلمة وفاء -
٣٨٣ الفهرس -

رقم الإيداع: ٢٥٣٩ / ١٩٩٨ م .

الترقيم الدولى:

I . S . B . N . 977 - 291 - 197 - 1